الجمـهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية الآداب، اللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها



"التبليغ بين البلاغة العربية و نظرية التواصل"

مذكّرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

مشروع العلوم اللغوية و الإتصال

إعداد الطالبة:
بن منصور نصيرة

إشراف الدكتور:
أحمد عزوز

لجنة المناقشة:

د/ حبار مختار...........رئيسـا

د/ سليمان عشراتي............. مناقشـا

د/ بشير إبرير.................مناقشـا

د/ أحمد عزوز............... مشرفـا

السنـــة الجامعيـــة

2008-2007

بسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة على أشرف المرسلين ، الحمد لله الذي ثبتنا و سدد خطانا و أعاننا على خير العلم و العمل .

إن تراثنا العربي الإسلامي يرتكز من جملة ما يرتكز على مجموعة دعائم تحفظ وجوده و تضمن له سيرورته المعرفية و العلمية على الخطاب الديني و ما يشتمله من أهمية و ما انجرف نحوه من دراسات لغوية مهمة جدا لا تزال إلى اللحظة محط أنظار الباحثين و اللغويين حيث استمدت هذه الدراسات جديتها و قيمتها و أهميتها من قيمة و أهمية هذا النص الخالد ألا

و هو القرآن الكريم و من جملة هذه الدراسات " البلاغة العربية " ، و من هنا كانت انطلاقتنا لهذا البحث وصولا إلى أحدث النظريات اللغوية و هي " نظرية التواصل " .

فكتب التراث غنية بمعالجة قضايا التواصل إلا أن الدارسين العرب القدامى تحدثوا عنه تحت أسماء عديدة برز جلها في مفهوم البلاغة .

و هكذا فقد تفطن علماؤنا العرب لمثل هذه المفاهيم الحديثة في علم قيل عنه أنه " علم لم ينضج و لم يحترق " ، و هذا يعني أنه علم له آفاق ما يزال قابلا للبحث و مناقشة أغوار أفكاره و تطويره في اتجاه دراسة البلاغة العربية بطريقة جديدة مأمونة العثار في ضوء متغيرات العصر ، و تجديدات الفكر الراهن و ثورة التواصل التي تجعل من العلم " قرية إلكترونية " كما سماها ماك لوهان ، الشيء الذي يقتضي ضرورة البحث عن هذا العصر بكل متغيراته التي صارت تجمع بين الذوق و الفهم و الموضوعية ، و بالتالي فدراستنا ستكون – إن شاء الله – قائمة على نقاط جديدة موروثة تحتاج إلى البحث و التوسع أكثر في ظل الأصالة و المعاصرة .

فكان بحثنا بعنوان **" التبليغ بين البلاغة العربية و نظرية التواصل "** و لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بمحض الصدفة و إنما جاء بعد شغف كبير لمعرفة خبايا الدرس اللغوي البلاغي من ملامح التواصل بطريقة عملية و موضوعية تطرقوا إليها و نبهوا لها قبل أن يؤسس لها الغربيون .

و قد حرصنا في بحثنا هذا الالتزام بمنهجية واضحة و دقيقة للغاية المرجوة فكانت في شكل مدخل و ثلاث فصول كما اجتهدنا في وضع بعض المصطلحات و الجداول لتسهيل الشرح و الإيضاح .

فأما **المدخل** فقد جاء بعنوان :**" مدخل إلى التواصل "** فكان بمثابة توطئة علمية لمفهوم التواصل و ما يشمله من مفاهيم تأسيسية كعناصره و وظائفه و أنواعه المختلفة إما من حيث اللغة المستخدمة أو من حيث المستخدمين .

أما **الفصل الأول** : فجاء بعنوان : **" التبليغ في البلاغة العربية "** و قد حاولنا في هذا الفصل تحديد جذور مفاهيم التبليغ في عمق البلاغة العربية انطلاقا من البلاغة ذاتها و محاولة تأصيل الأسس النظرية لنظرية التواصل في مختلف مبادئها وصولا إلى استنباط أهم نقاط التقاطع الموضوعي العلمي من عناصر و أنواع و وظائف التواصل في شكل فصل تمهيدي مهدنا به دراستنا التواصلية في البلاغة العربية .

أما **الفصل الثاني** : **" بناء الرسالة الإعلامية و الخطابة العربية "** ، سلطنا الضوء على كيفية بناء الرسالة الإعلامية و ما مدى تأثير بعض الثنائيات في تشكيل لغتها ، أهمها: الاختيار و التأليف ، اللفظ و المعنى ، الإيجاز و الإطناب ، الحقيقة و المجاز .

و من أهم أشكال الرسائل " الخطابة العربية باعتبارها وجها آخر للبلاغة التي لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه خاصة أنه ملفوظ العرب الذي انطلقت منه دراسات لسانية مختلفة كالظواهر الفونولوجية التي لها أثر كبير في كيفية الإلقاء و أثر الوظيفة الإقناعية و آلياتها التي يعتمدها الخطيب قصد إقناع الآخر.

أما **الفصل الثالث** :فقد جاء بعنوان **" نحو بلاغة جديدة "** و هو محاولة رؤية جديدة للبلاغة و مثل هذه الدراسات جاءت كنتيجة للتوجهات و الدراسات اللسانية الحديثة للبلاغة .

فحاولنا دراسة أهم هذه الرؤى في ظل اللسانيات التداولية خاصة عنصر السياق انطلاقا من دراسته عند علماء الأصول إلى أهم ما تطرق إليه بعض البلاغين في صورة إجمالية لا تفصيلية، ثم أهم العلوم المساهمة في بناء اللغة الإعلامية من سياق و أسلوب و صولا إلى البلاغة البرهانية و كنموذج عن هذه البلاغة اخترنا خطبة الوداع لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم " دراسة إعلامية بحتة" .

و انهينا بحثنا بخاتمة تضمنت خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج .

ومن الصعوبات التي اعترضت بحثنا هي صعوبة الموضوع في حد ذاته ، و قلة المراجع المتخصصة لا سيما تلك التي تجمع بين البلاغة التقليدية ونظرية التبليغ الحديثة .

ورغم ذلك تم هذا البحث ليكون رؤية و قراءة موضوعية مبدئية وفتية لمن أراد التبحر فيها و الغور في منافعها و اكتشاف دررها .

تمـهـيد:

اللغـة والتواصل :

إن اللغة في استعمالنا اليومي أداة يستخدمها الإنسان للقيام بعملية التواصل بين أفراد المجتمع، وعنه قال كلودليفي ستوراس (cloude levy strausi) أنه مجموعة أفراد تتصل ببعضها، وهذه الصلات قائمة على تحليل الرموز[1]، وبها يتم التعبير والتبليغ والتعامل بين الأفراد والجماعات، وبها يعبر عن عواطفه وأفكاره، أين تتشكل حلقة بين المرسل والمرسل إليه ،حيث يخاطب غيره مرسلا ما عنده إليه، وبها يستقبل ما عند غيره إليه، وهذا ما يفهم على أنها ظاهرة اجتماعية فكرية.

ومن هنا تعد اللغة من أهم المواضيع التي نالت اهتمام الدارسين لأنها منبع تدفق العلوم وحاجة لا يستغنى عنها، كما أنها من أنجح طرق التواصل على حد قول فرديناند دوسوسير:" اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما، فإنها – هنا – تشبه الكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية وضروب المعاملة، والإشارات العسكرية ...إلخ، إنما وحسب، أهم هذه المنظومات على الإطلاق"[2].

وهكذا تعتبر اللغة أداة للتفاهم والتواصل القائم بين أفراد المجتمع الواحد، ومختلف الحضارات وأصبحت المعارف البشرية ترتكز بشكل أساسي على نجاح الإنسان في توصيل رسائله باستعمال وحدات دالة في نظام تواصلي، ويكون جوهره حسن استخدام وحدات لسانية تعبيرا عن أغراضه.

فهي كما يعرفها فندريس قد تكونت في أحضان المجتمع، وأنها وجدت يوم أحس الناس بحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، فهي وليدة الاحتكاك الاجتماعي وأقوى العرى التي تربط الجماعات[3].

فإن كانت اللغة هي تدفق للمشاعر والأحاسيس والعواطف فهي بالدرجة الأولى وسيلة مغزاها التبليغ أو التواصل انطلاقا من الفطرة الإنسانية و هذا ما

---

[1]- voir: judith lazor: la science de la communication -que sais je? Edition dahlab, p 46.

[2]- فرديناند دوسوسير:"محاضرات ققي الألسنية العامة"، تر:يوسف غازي، مجيد نصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص 27.

[3]- ينظر: فندريس –اللغة- تر:عبد الرحمان الدواخلي-محمد القصاص-مكتبة الأنجلو، المصرية، ص 35.

يفهم من تعريف رومان جاكبسون للغة في قوله:" اللغة هي التنظيم الأساسي لإقامة الاتصال"[1].

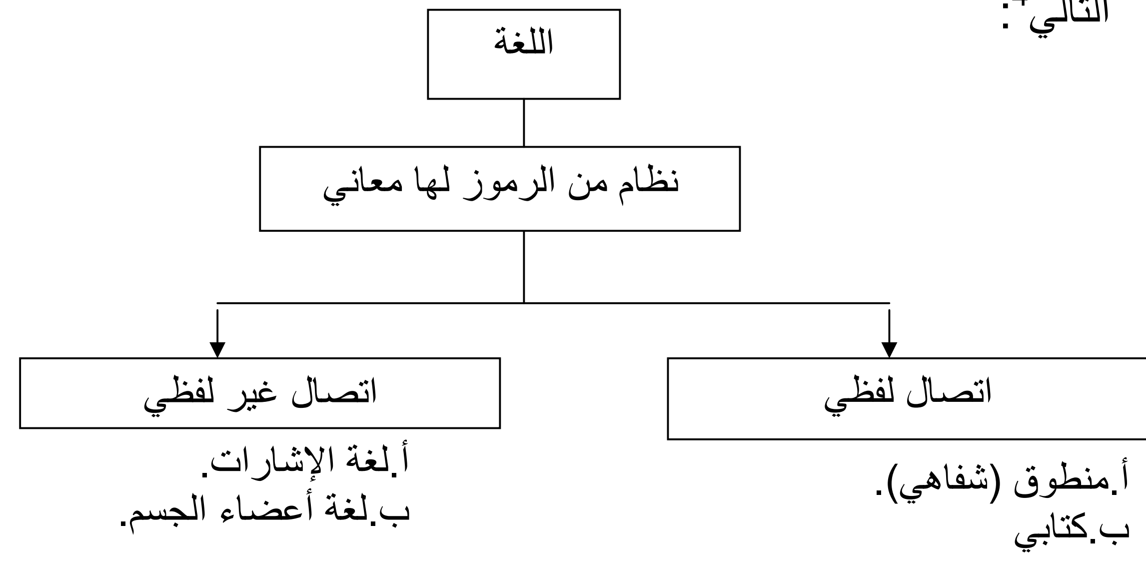
فهي الوعاء الحامل للعلاقات القائمة بين أفراد المجتمع الواحد أو بين الحضارات والحامل الرمزي لماهية التواصل، و الوسيلة الأساسية المعبرة عن خلجات الإنسان وشخصيته.

وإن توسع المحدثون في تحديد وظيفة اللغة وتنويعها، فإنهم لم يبتعدوا عن تعريف ابن جني (ت 392 هـ) للغة في قوله:" هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]

ويشتمل هذا التعريف عدة نقاط تستحق الولوج إليها والبحث فيها بشيء من التفصيل هي:

1. إن اللغة أصوات- وهذا التحديد لا تكاد نلمسه إلا في العصر الحديث-.
2. "يعبر بها كل قوم عن أغراضهم": أي أن وظيفة اللغة عنده إنما هي التعبير عن الأغراض.
3. ونقطة"التعبير" هذه التي يضمنها ابن جني تعريفه للغة والتي يمكن فهمها على أنها "التوصيل".
4. إذا كانت اللغة "أصواتا يعبر بها كل قوم"بمعنى أنها نظام من الرموز الصوتية للتوصيل والتعبير"[3]، داخل المجتمع يملك نظام تواصلي ذي سيرورة لسانية موحدة.

ويمكن التعبير عن اللغة كأداة للتواصل الإنساني في الشكل التوضيحي التالي[4]:



1- جان جبران كرم:"مدخل إلى لغة الإعلام"، دار الجيل، ط1، 1986.
2- ابن جني:"الخصائص" ، ت محمد علي النجار -دار الهدى لبنان، ط 2 ج1، ص 33.
3- ينظر عبده الراجحي:" فقه اللغة في الكتب العربية:"، دار المعرفة الجامعية 1992، ص 73.69.
4- محمد يسرى عيسى:" الاتصال والسلوك الإنساني، رؤية في إنتربولوجيا الاتصال"، البيطاش سنتر، إسكندرية، ص 168.

قواعد اللغة تتحكم في الاتصال اللفظي	النواحي النفسية والجسدية تتحكم في الاتصال غير اللفظي

مفهوم التواصل: la communication

يعد التواصل من أقدم أوجه النشاط الإنساني، كضرورة حياتية وإن اختلفت أشكاله ووظائفه، حيث ينطلق من الشخص في ذاته إلى العلاقات الإنسانية ليشمل الحضارات والثقافات، فكانت بداياته لا تتعدى الأصوات والرسوم، لتشمل أحدث وسائل الاتصال العصرية.

ولقد شهدت الأجيال البشرية المتعاقبة على أحداث مراحل التاريخ الأرضي المتداخلة نقلات حضارية لتمكن الإنسان من طـي مسافة الزمان والمكان.

ويلاحظ المتتبع للدراسات القائمة حول نظرية التواصل أنه لا يوجد اتفاق أساسي حول مفهوم موحد لها، وهذا راجع لتشعبه بين عدة علوم تختلف مرجعيتها وآلياتها الخاصة بها من علم النفس، علم الاجتماع، علم الاقتصاد...وغيرها من العلوم، وفي نفس الوقت لا يمكن إنكار وجود قاسم مشترك بينها أقله المفاهيم الأولية لهذه النظرية.

وهكذا أصبح التواصل، من أهم المواضيع التي تستقطب اهتمام كثير من الباحثين في دراسة السلوك البشري في المنظمات ،ذلك لأنه لا يمكن تصور أي سلوك منظم دون اتصال لفظي أو غير لفظي، لتصب هذه الأبحاث في نظرية قائمة بذاتها هي نظرية التواصل théorie de la communication لتشكل بذلك إطارا إستمولوجيا له سماته الخاصة.

وأما عن بعض مفاهيمها في المعاجم اللسانية :

ففي كثير من الأحيان يحدث التباس في ترجمة كلمة "communication"فالبعض يستعملها ترجمة لكلمة اتصال، والبعض الآخر ولاسيما الذين ينتمون إلى المدرسة الحديثة يستعملون كلمة "تواصل" ترجمة لها، ويبررون هذا المعنى بأنه أكثر حيوية وأكثر تفاعلا[1].

كما تناولت المعاجم اللسانية هذه النظرية من عدة أوجه مع تركيزها على العلاقة اللسانية المتصلة باللغة، فجاء تعريف ج دبوا (jean Dubois) في قوله:" أن التواصل تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا (عبارة)ترسل إلى المتكلم

---

[1]- ينظر: نبيل عارف الجردي:" مقدمة في علم الاتصال"، مكتبة الإمارات، العين، ط3، 1985، ص 15.

آخر، والمخاطب يلتمس السماع أو الإجابة الواضحة أو الضمنية وذلك تتبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم"[1].

وتعريف كل من قليسون وكوست (R.Galisson et D.coste) في قاموس تعليم اللغات على أن نظرية التواصل هي:" نقل المعلومات بين "مرسل" و"مستقبل" بفضل "الرسالة" المنتشرة عبر "القناة" مثال: الاتصال الهاتفي، ينقل المرسل رسالة إلى المستقبل، بتحريض إلكتروني بواسطة قناة هي الخط الهاتفي"[2].

واستخلص في النهاية قوله:" وبالمعنى الدقيق، فإن نظرية التواصل لا تعتبر مظهر دلالي، ولا يهتم بالإرسال والنقل والاستقبال، الرسالة كشكل"[3].

كما تناولت الدراسات المتخصصة هذا المجال - و هذا ما نحن بصدده- من تعريف التواصل كنظرية وعلم مستقل نابه شيء من الاختلاف بسبب اختلاف الإطار المرجعي المستخدم، حيث تكاد أغلب هذه التعاريف ترتكز إما:

-حول فكرة القصد خاصة التأثير والإقناع إثر التفاعل بين طرفين.

-وإما تحت ناظر ثنائية المثير والاستجابة.

-وإما تحت إطار عام حول كيفية حدوث هذه العملية بين عناصرها.

-فأما من ناحية القصد والتأثير، فقد اهتم البعض بربط التواصل بمقاصده ومدى تأثيره على الآخرين وإقناعهم، وهذا يتجسد مثلا في الحملات الانتخابية من خطابات ودعايات ليكون التواصل ليس للتبليغ فحسب، ولكن للتأثير في الناس أيضا، وهذا عن طريق اللغة باعتبارها أهم وسائل الاتصال.

فبعض الكلمات ليست موظفة لنقل الدلالة بعينها بقدر ما هي من أجل التأثير، هي كذلك لغة الإشهار.

وبهذا ذهب كل من برنارد بيرلسون bernard berlson وجري أ.ستيز Gray.A.Steiner في تعريف التواصل بأنه:"نقل المعلومات والرغبات والمعرفة والتجارب، إما شفويا أو باستعمال الرموز أو الكلمات والصور والإحصائيات بقصد الإقناع أو التأثير على السلوك، وأن عملية النقل هي في حد ذاتها هي الاتصال"[4].

وعرف أيضا ريتشارد التواصل بأنه:" يحدث حين يؤثر عقل في آخر، فتحدث في عقل المتلقي خبرة متشابهة لتلك التي حدثت في عقل المرسل ، و

---

[1]- jean Dubois et autres: dictionnaire de linguistique- librairie, horoussé, paris, p96.

[2]-R.Galisson D.Coste, Dictionnaire de Didactique, des longues Hachette, paris, p 102.

[3]- Ibid., p 103.

[4]- نبيل عارف الجردي:" مقدمة في علم الاتصال"، ص 22-.21.

تبحث جزئيا عنها "[1] ، و هكذا يرتبط مفهوم الاتصال بمدى نجاح المرسل في إيصال رسالته وقدرته في التأثير والإقناع.

ولقد حاول بلومفيد أن يعبر عن عملية التواصل عبر (جاك) و(جيل) إنطلاقا من حالة فيزيولوجية تنتاب (جيل) عند رؤيتها التفاحة، فتعبر عن جوعها بصوت ،يتسلق (جاك) الشجرة لقطف التفاحة وتقديمها للفتاة[2].

ودائرة التواصل من هذا المعنى سلوكية بحتة تحت وطئة المثير والاستجابة.

ومن أهم تعاريف التواصل في هذا المجال تعريف ستيفن stevons الاتصال استجابة الحي المميزة إزاء محرض"[3] ، وبهذا فمفهوم التواصل متصل بمنبهات تنقل بين طرفين تؤدي إلى سلوك واستجابة مباشرة أو ضمنية، وما يمكن فهمه أيضا هو أنه عند استقبال أية منبه فهو يؤدي إلى استجابة بالضرورة، فقد تتأخر لمثل بعض المنبهات أو تنعدم تماما وبالتالي ينقطع تيار التواصل.

كما يفهم أيضا أنه قد حدد من يستقبل المنبه على أنه إنسان قادر مميز ، لأن التواصل قائم على المشاركة و التعاون و هذا ما يفرض قدرات عقلية من تفكير ، تخيل، ترابط... تجمع في الإنسان العاقل المميز فحسب[4].

كما أن هو فلاند قد خصص نوع الاستجابة في تعديل سلوك الآخرين وتغيرها في قوله :" إن الاتصال هو العملية التي يقدم خلالها القائم بالاتصال منبهات (عادة: "رموز لغوية") لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين ("مستقبلي الرسالة")[5].

وأحيانا لا يقوم التواصل عن طريق نقل المنبهات متعمدا وبهدف تحقيق الاستجابة، فقد يتحدث الشخص عن نفسه وتجاربه ومغامراته الخاصة متباهيا وافتخارا مثلا، فيستجيب الطرف الثاني لهذه التجارب بأخذ العبر.

وقد أشار إلى ذلك إدوارد سايير، وكتب عن الاتصال "المحدد" والاتصال الضمني قال:" إن الاتصال" المحدد" هو اتصال بالمعنى التقليدي، أما الاتصال" الضمني" فهو:"التفسير البديهي للرموز اللاشعورية نسبيا والاستيعاب اللاشعوري للأفكار والسلوك في ثقافة الفرد"[6].

---

[1] -محمد يسري دعبس- الاتصال و السلوك الإنساني –ص:43-44

[2]ينظر : ميشال زكريا –الألسنية –علم اللغة الحديث –المبادئ و الأعلام – المؤسسة الجامعية ص:234-235

[3] -محمد محمود مهدلى –مدخل :في تكنولوجيا الاتصال و وسائله بين النظرية و التطبيق – المكتب الجامعي الحديث –إسكندرية –1991-ص:23

[4]- ينظر: محمد سلامة محمد غباري، السيد عبد الحميد عطية:"الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1991، ص 23.

[5]- حسين عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:" الاتصال ونظرياته المعاصرة، ص 24.

[6]-جيهان أحمد رشتى:" الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، دار الفكر العربي، 1975، ص 42 عن

أما "جورج لندبرج" فقال:" أن كلمة اتصال تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، والرموز قد تكون حركات أو صورة أو لغة أو أي شيء آخر يعمل كمنبه للسلوك"[1].

وبالتالي فالتواصل من وجهة رأيه هو تفاعل قائم بين طرفين ،وهذا التفاعل يعكس دائرية التعامل والمشاركة بين المرسل والمستقبل، وفي شكل رسالة تحتوي على علامات ورموز لغوية (تواصل لفظي)، فهي آلية ميكانيكية قائمة على الفعل ورد الفعل، وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن الاتصال لا يعتبر تواصلا وإلا إذا اقترن بالنجاح.

ونلخص مما سبق التعريف الإجرائي للتواصل من خلال النقاط التالية:

1-أن التواصل عملية تعني سلسلة من الخطوات المتتالية المرتبطة بعضها بالبعض الآخر.

2.أنه تفاعل اجتماعي بين الأفراد والجماعات، أي تفاعل بين طرفين إلى أن تتحقق المشاركة بينهما.

3.يقوم بهدف تحقيق التأثير من طرف آخر، والقدرة على تغيير أو تعديل سلوك الطرف الآخر.

4.تتعدد الوسائل التي تستخدم في هذه العملية سواء كانت الرسائل لفظية أو غير لفظية.

5.وسيلة المجتمع لاستمرار العلاقات بين الأفراد ونقل التراث وتحقيق التواصل للأفراد داخل وخارج مجتمعهم.

6.إن عملية التواصل تشترط وجود عناصر أساسية من مرسل ومستقبل ورسالة وقصد و وسيلة ضمن سياق اجتماعي محدد[2]، وهذا ما نحن بصدده.

Edward sapir : communication encyclopédia of the social sciences C.N.Y.maeimillan 1993, p 79

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

[2]-ينظر :محمد بشرى د عبس:" الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 44.

2.عناصر التواصل ووظائفه:

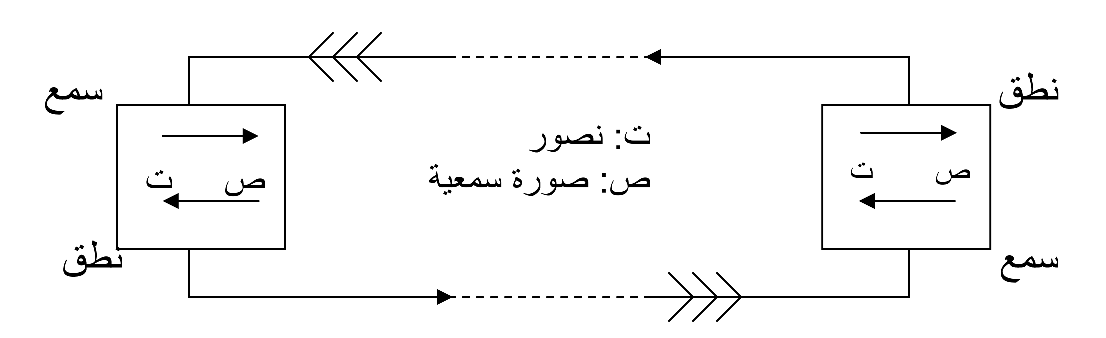
تعتمد عملية التواصل على مجموعة من العناصر المترابطة المتكاملة وتتدخل فيها عوامل نفسية واجتماعية مختلفة، حيث تساهم من قريب أو بعيد في عملية انتقال الأفكار بين طرفين في نوع من الانسجام.

حيث ترتكز هذه العناصر عادة على مرسل ومستقبل ورسالة باعتبارها عناصر ثابتة رغم تنوع نماذج دراستها، واختلاف الدراسات التفكيكية لهذه الظاهرة، ابتداءا من نموذج أر سطو البسيط.

ونظرا لاهتمام البحث اللساني بالعلامة اللغوية وكيفية حدوثها ووظيفتها فإن اللسانيين قد حددوا أيضا مفاهيم التواصل، وذكروا أهم عناصره، من بينهم: أب اللسانيات دي سوسير ورومان جاكبسون.

1.2.عناصر التواصل لدى دوسوسير وجاكبسون:

تحدث دو سوسير عن عملية التواصل وكيفية حدوثها مركزا على عنصرين أساسين هما: الباث والمتلقي موضحا ذلك في الشكل التالي الذي سماها بالدارة الكهربائية[1]:



وبعد تحليل علمي نفسي، وفيزيولوجي، فيزيائي لهذه الدارة الكلامية يعترف على أنه لا يدعي لنفسه الكمال مركزا على طرفي التواصل من باث ومتلقي فقط[2].

ومما يحمد حول هذا التصور هو إمكانية اعتبار التواصل دورة تنطلق من نقطة بداية لتعود إليها، على أن عملية التواصل الناجحة هي حلقة دائرية وإن كان قد ربطها، دوسوسير بثنائية (النطق والسمع)" التي تكاد تنعدم إلا في التواصل الذاتي والجماهيري.

كما شرح دو سوسير هذه الدورة مقسما إياها إلى ما يلي:

---

[1]- فردينار دوسوسير:" محاضرات في الألسنية العامة"، تر: يوسف غازي- مجيد النصر، ص 23.

[2]- ينظر: عبد الجليل مرتاض:" اللغة والتواصل إقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي"، دار هومة، الجزائر، ص38.

أ.جزء خارجي (اهتزاز الأصوات المنتشرة من الفم إلى الأذن وآخر داخلي يشتمل الأجزاء الباقية).

ب.جزء نفسي وآخر غير نفسي، يضم الوقائع الفيزيائية الخارجية على الفرد، والوقائع الفيزيولوجية المتموضعة في أعضاء النطق.

ج.جزء فاعل (الباث) وآخر منفعل (المتلقي) [1].

أما عن رومان جاكبسون فقد أولى اهتماما بالغا باللغة، خاصة من وجهتها التأسيسية لكل عملية تواصلية، وأنه لكل فعل تواصلي عناصر لا بد منها وهي:

1.مرسل الرسالة.
2.مرسل إليه يستقبل هذه الرسالة.
3.رسالة فاعلة.
4.تقتضي هذه الرسالة سياقا تحيل إليه.
5.قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه[2].

ووضح كل هذه المعطيات في المخطط التالي[3]:

سيـاق

مرسل ______________ رسالـة______________ مرسل إليه.

اتصـال

سنـن

وبالتالي تحقيق عملية التواصل الإنساني تستوجب العناصر التالية:

1.إنسان مرسل destinateur[*].
2.إنسان ملتقط destinataire[*].

---

[1]- ينظر: دوسوسير:" محاضرات في الأسلنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، ص 24

[2]- ينظر: رومان ياكبسون:" قضايا الشعرية،" ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، المغرب، 1988، ص 27.

[3]- ينظر:، المرجع نفسه، ص 27..

[*]- يستعمل الألسنيون عدة مفردات للإشارة إلى المتكلم émetteur – encodeur- destinateur- (عن المرجع نفسه هامش ص 49).

[*]- يستعمل الألسنيون أيضا عدة مفردات لفشارة إلى دور المستمع destinateur-décodeur-récepteur(عن المرجع نفسه هامش 49).

3.إقامة الاتصال بين المرسل والملتقط contact.
4.لغة مشتركة يتكلمها المرسل والملتقط معا code.
5.مرسلة لغوية message .
6.محتوى لغوي ترمز إليه المرسلة contexte.[1]

عناصر التواصل لدى المختصين:

إن تناول عناصر التواصل واختلاف مجال دراستها بين ما هو أساسي وجانبي ،وأيضا بتطور نماذج التواصل كمحاولة لفهم وتفسير هذه العملية بين الأفراد والجماعات تم التوصل إلى وضع تعميمات موضوعية لعناصر هذه النظرية فمنها تعددت أشكال عمليات التبليغ وإمكاناتها إلا أن عناصرها تكاد تكون ثابتة، وهي كالتالي:

1.المرسل .
2.المستقبل.
3.الرسالة.
4.قناة التواصل.
5.التغذية الراجعة.
6.الخبرة المشتركة.

أ.المرسل:

وهو ما يعرف أيضا بالمتكلم أو الباث أو المتحدث

وهو مصدر الرسالة الذي يصفها في كلمات أو حركات أو إشارات ينقلها للآخرين، وهذا المرسل قد يكون:

-الإنسان: كالمدرس في غرفة الصف أو قد تكون مجموعة أشخاص أو هيئة، وهذا النوع من الاتصال له تأثير على سلوك المستقبل قابل للتغيير والنمو استفادة من الخبرات السابقة واللاحقة.

ا- الآلة: كما في حالة الحاسوب المزود بالمعلومات الذي يتم تحصيلها عن طريق اتصال آلي فهي تمثل كل الأجهزة ، وهذا النوع من التواصل يبتعد عن الحركية ليبقى في سكونية غير قابلة للنمو والاستفادة[2].

ويعتبر المرسل هو المسؤول من إعداد وتوجيه المعلومات والمفاهيم أو المهارات، وهذا يتطلب منه:

أ. أن يحدد الفكرة أو المهارة التي يرغب في توصيلها.
ب. القيام بدراسة هذه الفكرة.

---

[1]- ميشال زكرياء:" الألسنية"، ص 53.52 .

[2]- ينظر: عبد الحافظ محمد سلامة:" وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار النشر، عمان، ط1، 1996، 1417ه، ص 18.

ج. جمع المعلومات وتنظيمها.
د. تحديد الوسيلة المناسبة[1].
وهكذا نستخلص أن مهمة المرسل لا تتمثل في التلقين والإلقاء، وإنما تتعدى ذلك إلى تهيئة مجالات الخبرة للمستقبل وإعداد الظروف التي تسمح له بتغيير اتجاهات ومفاهيم وسلوك وتعديل الموضوع المراد إيصاله، لأن تواصل أي طرف مع غيره هو سلوك واع وهادف ينضج باهتمام المرسل بخصائص المستقبل يتمكن من مخاطبته وإقناعه والتأثير عليه، لتحدث على الأقل الاستجابة المتوقعة.

ب.المستقبل:

ويعرف أيضا بالمتلقي والمرسل إليه والمستمع والقارئ.
بحيث يستلم الرسالة ويترجمها بانفعالاته الخاصة بما يتناسب مع تصوراته، وهذا لا يعني بالضرورة خضوعه لما توحيه تلك الرسالة[2].
وقد يكون شخصا واحدا أو مجموعة أشخاص كفئة مستهدفة.
و يعتبر المتلقي أهم حلقة في عملية التواصل، فالقارئ هو الشخص المهم عندما نكتب والمستمع هو الشخص المهم عندما نتحدث، ولهذا يجب على المرسل أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المستقبل و يتفهمها للوصول على غايته[3].

ج.الرسالة:

ومن ضمن أساسيات التواصل "الرسالة" ونظرا لضرورتها ثم الاهتمام بشكلها وكيفية بنائها لأنها تمثل مضمون السلوك الاتصالي .
وتعرف بأنها:
-المحتوى المعرفي الذي يريد المرسل نقله.
-الهدف الذي تسعى إليه عملية التواصل.
-مجموعة من الرموز المرتبة التي يتضح معناها من نوع السلوك الذي يمارسه المستقبل.
-محتوى فكري معرفي يشتمل عناصر المعلومة باختلاف أشكالها سواء أكانت مادة مطبوعة أو مسموعة أو مرئية [4].
وهناك ثلاثة أمور رئيسية تشارك في بناء المضمون الإعلامي أو الرسالة الإعلامية وهي:

ج.أ.كود الرسالة" السنن" CODE :

---

[1]- ينظر: محمد محمود مهدلي:" مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي"، ص52.
[2]- ينظر: نبيل عارف الجردي:" مقدمة في علم الاتصال"، ص 48.
[3]- ينظر: حسين عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:" الاتصال ونظرياته المعاصرة"، ث 47.
[4]- ينظر: عبد الحافظ محمد سلامة:"وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم"، ص 20.19.

ويقصد بها الرموز المستعملة في التواصل، بحيث تكون أي لغة من ذخيرة مفرداتية، يركب منها المرسل للتعبير عن معانيه بطرق مختلفة وتتشعب عادة إلى رموز لفظية ويطلق عليها اللغة الحقيقية، وإلى الرموز غير اللفظية، والحقيقة الواقعة هي أن الاتصال عملية ترامز بكافة أشكاله[1].

فالمرسل لا يستطيع أن ينقل أفكاره دون وعاء رمزي لها كحاجة منطقية تفرض وسيط مادي لهذه الأفكار ناتج عن خبرة خاصة به تتوافق مع خبرة المتلقي ،أي أن الخبرة المشتركة تضمن نجاح التواصل.

ويقصد بها أن كل فرد منا يحمل نطاق من العادات والتقاليد والاتجاهات الملازمة له فكلما تقاربت هذه المعاني بين الطرفين صارت فرص نجاح التواصل أكثر فاعلية ، وبالمقابل كما ابتعدت نقاط التقاطع بينهما صعب التفاعل والتفاهم بينهما[2].

ج.ب.مضمون الرسالة:

هو مادة الرسالة يختارها المرسل ليعبر عن أهدافه، فهو العبارات التي تقال ،والمعلومات والاستنتاجات التي يخرج بها والأحكام التي يقترحها.

ج.ج.معالجة الرسالة:

وهي تمثل طريقة عرض الأفكار، فالمرسل يختار معلومة معينة وقد يتجاهل معلومة أخرى وقد يكرر الدليل لتأكيد والإثبات[3]، تناسبا وانسجاما مع تحقيق أهدافه.

و يمكن تقسيم محتوى الرسائل إلى:

1.رسائل على مستوى المحتوى:

ويقصد بها الوقائع أي الموضوعات الجدلية، الخبرات، الأفكار...، وكلها يعبر عنها باستخدام الكلمات.

2.رسائل على مستوى العلاقات:

وتتضمن تعبيرات عن:

أ).الحالة الوجدانية للشخص أو ما يشعر به.

ب).مفهوم الفرد عن احترام للآخرين.

ج).مفهوم الفرد عن ذاته.

د).الأشياء التي يجب أن يقوم بها الآخرون[4].

1- ينظر: محمد محمود مهدلي:" مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي"، ص54.

2- ينظر :حسن عماد مكاوي، ليلى حسن السيد:" الاتصال ونظرياته المعاصرة"، ص 48.47.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 49.48.

4- ينظر :محمد محمود مهدلي:" مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي"، ص 79.

وعلى هذا الأساس، فإن كل رسالة إعلامية هي إحداث تغيير، ترمي إلى أن يكون لها نوع من التأثير فليس للمرسل أن يهمل طاقات أو يهدر بعضها لغير فائدة فلكل رسالة هدف محدد.

د.قناة التواصل :

وهي تتمثل الوسائل والقنوات التي تمر من خلالها الرسائل من مرسل إلى مستقبل، وتأخذ أشكالا مختلفة ابتداءا من الحواس إلى غاية أحدث وسائل الاتصال المعاصرة كالإنترنت وغيرها، حيث تؤثر طبيعة الوسيلة على مدى فعالية الرسالة.

ومن بين من أثبت ذلك مارشال ماكلوهان (ت: 1981) على أن" الوسيلة هي الرسالة"، فحسن اختيار الوسيلة قد يفوق تأثيرا على المستقبل من التغيير الذي قد يحدثه المضمون الإعلامي نفسه[1]، حيث توجد مجموعة من العوامل المتحكمة في أستخدم وسيلة التواصل مهنا:

-طبيعة الفكرة المطروحة والغرض الرئيسي منها.

-خصائص الجمهور المستهدف من خلال دراسة لعاداته، أفكاره، مدى قابليته للموضوع المطروح .

-تكاليف استخدام الوسيلة بالنسبة لأهمية الهدف المطلوب تحقيقه.

-أهمية عامل الوقت بالنسبة للموضوع المتناول.

-مزايا كل وسيلة وما تحققه من تأثير على المتلقين[2].

هـ.رجع الصدى أو التغذية العكسية:

إن أغلب الدراسات التي تهتم بعناصر التواصل تسلط الضوء على المرسل على أنه عنصر نشط، أما المتلقي فهو عنصر سلبي قابل للاستقبال فحسب ،وهذا ما قد يعاب على مثل هذا التفكير، فنجاح التواصل هو تفاعل حركي آلي بين مرسل ومستقبل معا.

فليس الاتصال إفراغ شحنات المرسل بقدر أنها سلسلة تحتاج إلى مكمل يتجلى في رد الفعل أو ما يسمى "الرجع" أو التغذية العكسية من طرف المستقبل، ليتقمص كل من المرسل والمستقبل دور الآخر في شكل من التناوب.

-والرجع هو الإجابة التي يجيب بها المستقبل على الرسالة التي يتلقاها من المرسل، ويرى البعض أن الرجع يكون بمثابة رسالة مضادة، يتلقاها المرسل ويستفيد منها كثيرا.

---

[1]- ينظر: نبيل عارف الجردي:" مقدمة في علم الاتصال"، ص 48.

[2]- ينظر: حسين عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:" الاتصال ونظرياته المعاصرة"، ص 49.

وتسمى التغذية العكسية أحيانا"رجع الصدى" أو رد الفعل أو الاستجابة[1].

حيث تنبع الاستجـابة أو التغـذية المرتدة من مصدرين داخلي وخارجي و هما كما يلي[2]:

أ.التغذية المرتدة الداخلية:

وتعد بمثابة ضابط لسلوكياتك وأدائك أنت في مختلف التعاملات.

ب.التغذية المرتدة الخارجية:

وتتمثل في الاستجابة التي تأتي من الآخرين الذين يكونون متضامنين في الحدث الاتصالي.

وهك ذا ف إن التغذي ة المرت دة تش كل عملي ة تق ويم لم دى فعالي ة عناص ر التواصل، ومن أهم أشكال الرجع "هو التأثير" باعتباره رد فعل مباشر أو غير مباشر وبعيد لعملية التواصل، فهو بمثابة محصلة نهائية له، ويتم تغيير معلومات ومعارف واتجاهات وسلوك المستقبل، وهذا التأثير قد يكون انفعاليا أو حسيا أو معرفيا ... أو اتخاذ قرار مؤيد لأهداف المرسل[3].

والتفكير حول كيفية نشوء "التأثير" يسمح في الوقت نفسه بالتعرف على طبيعة كل من "المرسل والمستقبل"، ذلك أن حدوث التواصل والانتقال يفترض وجود نوع من التشابه بين القطبين يسمى "توافقا" (concordance)، ويرتكز هذا التوافق أكثر من الناحية الأنتربولوجية لأشكال التخيل[4].

هذا عن أهم عناصر التواصل الركيزية فيه أخذت لها مخططات مختلفة ومتنوعة، ومن أبسط هذه المخططات نقترح الشكل الآتي:

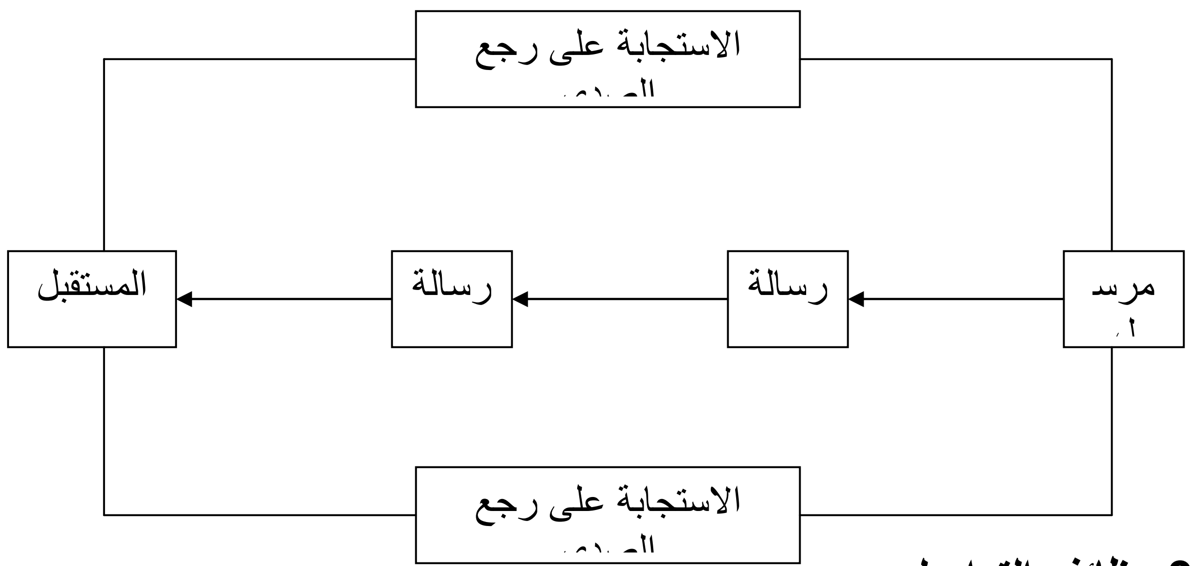
---

[1]- ينظر: محمد محمود مهدلي:" مدخل في تكنولوجيا الآتصال الاجتماعي، ص 55.

[2]- ينظر محمد يسرى د عبس:" الاتصال والسلوك الإنساني، رؤية في إنتربولوجيا الاتصال"، ص 159.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

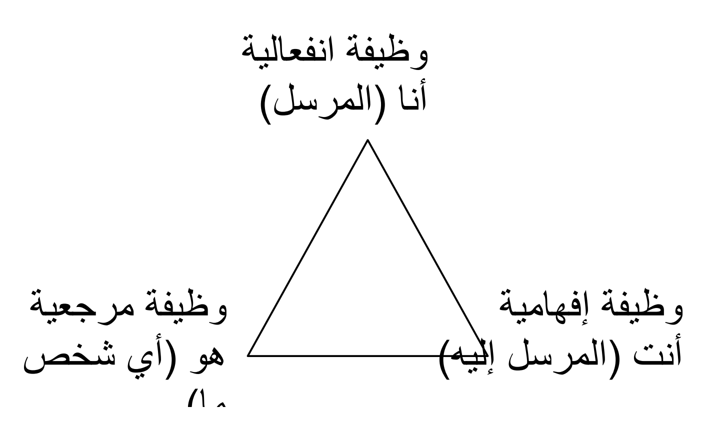
[4]- ينظر: عبد القادر بوزيد:" مساهمة لوضع سوسيولوجية "التأثر" في الأدب المقارن "بول كورنيا" مجلة بحوث العدد 06 - 2000 جامعة الجزائر، ص 20.



3.2.وظائف التواصل:

إن الاهتمام بدراسة عناصر التواصل من حيث هو مجال حيوي يمتلك من الأهمية ما يجعله تحت مجهر العديد من الدارسين، ليتم تناول ما هو أبعد من أن تكون نقاط مجردة، تقوم عليها هذه العملية النشيطة، ومن مظاهر هذا الاهتمام هو دراسة وظائف اللغة من وجهة تواصلية بالدرجة الأولى.

و من النماذج التقليدية التي تناولت وظائف اللغة نموذج بوهلر buhler، ويقتصرها على ثلاث وظائف وهي:انفعالية، إفهامية، مرجعية، مع اعترافه بوجود وظائف إضافية، حيث تتناسب هذه القمم الثلاث لهذا النموذج المثلث التالي[1]:



ومن جهة أخرى قدم: "هاليداي"(halliday) حصر لأهم وظائف اللغة، يمكن اختصاره فيما يلي:

1.الوظيفة النفعية (الوسيلة) fonction instrumentale:

فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم،' وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها وظيفة "أنا أريد"، حيث

[1]- ينظر: محمد الولي ومبارك حنون:" قضايا الشعرية"، ص 30.

حاول علم النفس التحليلي مع جاك لاكان ربط هذه الوظيفة بالحاجة والرغبة كتعبير عن النقص والطلب.

2.الوظيفة التفاعلية: fonction interpersonnelle d'interaction

تحمل اللغة في التفاعل الاجتماعي أنظمة القيم الأخلاقية والمثل الاجتماعية التي تستوعبها الجماعة من مخيالها الجمعي imaginaire de groupe، فالتفاعل التواصلي خيالي في جانب كبير منه و رمزي وواقعي.

3.الوظيفة التنظيمية: fonction regulatoire

لهذه الوظيفة دورا كبيرا في"تحديد الفعل" كألفاظ القاضي مثلا:"حكمت المحكمة بكذا"، فإن هذه الكلمات تتحول على أفعال[1].

4.**الوظيفة الشخصية** "fonction personnelle":

هو استخدام الشخص اللغة إثباتا لهويته وكيانه وشخصيته من خلال تقديم أفكاره للآخرين.

5.الوظيفة الاستكشافية :"fonction heuristique":

وهي الوظيفة الاستفهامية قائمة على السؤال لاكتشاف الفرد لبيئته ومحيطه حتى يستكمل النقص المعرفي و المعلوماتي عن هذه البيئة.

6.الوظيفة التخيلية:"fonction imaginative".

تسمح اللغة للفرد بالتجرد من ضغوط الواقع عن طريق وسيلة من صنعه هو، وتتمثل في ما ينتجه من أشعار وفنون وإبداع في قوالب لغوية، تعكس انفعالاته وتجاربه وأحاسيسه، أو كوسيلة للترويح أو شحذ الهمم ...

7.**الوظيفة الإخبارية الإعلامية :"**fonction informative":

من خلال اللغة يستطيع الفرد نقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى غيره من المتلقين، أو حتى بين الأجيال، خاصة مع التطور التكنولوجي في مجال الإعلام لتتطور هذه الوظيفة مع الإخبار إلى الإقناع

8.الوظيفة الرمزية:"fonction symbolique":

يرى هيغل أن ألفاظ اللغة تحمل رمزا داخليا يعبر عن ذاته- الموجودات في العالم الخارجي- وبالتالي إن اللغة تعمل باعتبارها وظيفة رمزية[2].

-أما رومان جاكبسون فقد تناول وظائف اللغة على أساس التواصل اللغوي ارتباطا بعناصره، ففي ظل كل عنصر من العناصر السابقة يولد وظيفة لسانية وهذه الوظائف هي :

1.**الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية** "fonction émotive":

---

[1]- ينظر: نور الدين نيفر:" فلسفة اللغة واللسانيات"، أبو وجدان، ط1، 1993، ص 155.150.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص 155.150.

تظهر هذه الوظيفة في المرسلات التي تتمحور على المرسل وتعبر بصفة عامة عن موقفه، اتجاه ما يحدث حوله.

2.الوظيفة النـدائيـة "fonction conative":

تظهر هذه الوظيفة في المرسلات التي تتوجه إلى الملتقط لإثارة انتباهه أو للطلاب، حيث يكون تعبيره النحوي الأكثر خلوصا في النداء والأمر الذي ينحرفان، من جهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب[1].

3.**وظيفة إقامة الاتصال**"fonction phasique":

تظهر في المراسلات التي تراعي إقامة التواصل وتأمين استمراره ولتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل مثل:(آلو أتسمعني)، (قل، أتسمعني).

4.**وظيفة تعدي اللغة**"métalinguistique":

تظهر هذه الوظيفة في المرسلات التي تتمحور على اللغة نفسها، فتتناول بالوصف اللغة ذاتها وتشمل هذه الوظيفة تسمية عناصر البنية اللغوية وتعريف المفردات[2]، مثال: لنتخيل حوارا مثل هذا الحوار:

"le sophomore s'est fait coller"، "لكن ما معنى se fait coller؟

" se faire coller تعني ما يعنيه sécher"، "وما معنى sécher؟" تعني sécher رسب في الامتحان، ويلح المسائل الذي يجهل المعجم الطلابي:"وما معنى un sophomore؟" يدل un sophomore على طالب في السنة الثانية[3].

5-**الوظيفة الشعرية**: Fonction Poétique

تظهر هذه الوظيفة في المرسلة كعنصر قائم بذاته ، و هي الوظيفة المهيمنة في فن الكلام ،أو في الكلام الفني ، مثال : تتكلم فتاة دائما عن "راهب رهيب ؟" "لأنني أكرهه" ، "لكن لماذا لا تقولين مفزع و فضيع و مرعب و مقرف ؟" ، "لا أدري لماذا ؟ " ،إلا أن رهيب تناسبه أفضل من غيرها " إنها تطبق ، دون أن تشكك في ذلك ، الوسيلة الشعرية للتجنيس.

6.الوظيفة المرجعية:"fonction référentielle":

وتظهر هذه الوظيفة في المرسلات ذات المحتوى الذي يتناول موضوعا ما، وتغلب في الكلام حينما ينصب الاهتمام على السياق المرجعي للغة بقصد

---

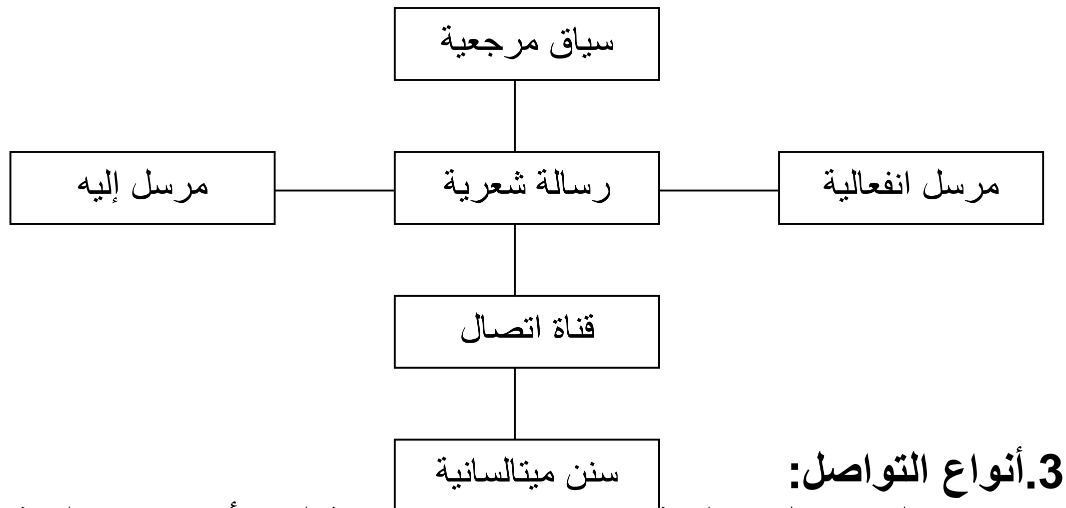
[1]- ينظر ميشال زكرياء:" الألسنية، ص 54 وينظر أيضا محمد الولي ومبارك صون"قضايا الشعرية"، ص 32.28.

[2]- ينظر المرجع السابق ، ص 54.

[3]- ينظر محمد الولي ومبارك حنون:" قضايا الشعرية"، ص 31.

تبليغ الرسالة (المحتوى) ولذلك فغالبا ما تستهلك بنيتها الكلامية بعد تأدية مهمتها[1].

ويمكننا الآن بعد هذا العرض الموضح لوظائف التواصل لدى ياكبسون ومدى ارتباطه بعناصره، يمكن استخلاصها في الشكل الموالي:



3.أنواع التواصل:

إن التواصل عملية ديناميكية اجتماعية لها أوجه مختلفة باختلاف الاعتبارات التي تأخذ بها ومن أهم هذه الأوجه والأنواع والتي تهمنا هو دراسة التواصل من حيث نوع اللغة المستخدمة فيه، وكذا من حيث عدد المشاركين في الواقع الإتصالي والتبادلي، وهي كالتالي:

1.3.التواصل من حيث اللغة المستخدمة:

إن عملية التعبير السليم عن المعاني والترميز الصحيح في الرسالة الإعلامية يقتضي استعمال لغة تصاغ في شكل رموز، وقد تكون هذه الرموز عبارة عن ألفاظ وكلمات أو قد تكون عبارة عن إشارات وإيماءات وحركات، لذلك قسمه المستخدمة فيه على نوعين هما :

1.1.3.التواصل اللفظي:

ويستخدم فيه اللفظ كوسيلة تمكن المرسل من نقل الرسالة على المتلقي بصورة مباشرة وجها لوجه عن طريق الكلمة المنطوقة[2].

---

[1]- ينظر المرجع نفسه ص 54.32، وينظر محمد خرماش:"النص الأدبي بين الوظيفة الشعرية والوظيفة المرجعية"، مجلة الدراسات المغربية الشبكة المغاربية لدمج العلوم والتكنولوجيا في التنمية، ص 166.

[2]-ينظر محمد يسري د.عبس:" الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 194.

وبمعنى آخر هو التواصل بالوسائل اللفظية بين فردين ، فهو يشمل إذن عمليتين بث واستقبال مرسلة لها مدلولات معينة تحدد بالتواضع والاصطلاح المسبق بين طرفي التواصل، تتغير بتغير ميزة الصوت[1].

كما يمكن لهذا النوع من التواصل أن يتجاوز المنطوق والشفاهي، إلى المكتوب أو ما يسمى التواصل الكتابي، ويمكن توضيح خصائص كل منهما في الجدول التالي[2]:

التواصل المنطوق (متى نتكلم؟)	**التواصل المكتوب(متى نكتب؟)**
-عن دما نري د اس تجابة مباش رة م ن الجمهور المستهدف.	-عندما لا نريد استجابة مباشرة.
-عندما تكون الرسالة الإتصالية بسيطة نسبيا ومن السهل قبولها.	-عن دما تك ون ل دينا رس الة إتص الية مفصلة ومعقدة
-عندما لا نريد الاحتفاظ يسجل دائم.	-عندما نحتاج إلى سجل دائم ممكن التحقق منه.
عن دما نس تطيع أن نجم ع الجمه ور المس تهدف بش كل متناس ب وغي ر مكلف.	-عندما نحاول الوصول إلى جمهور عريض وموزع جغرافيا.
-عن دما نري د أن نش جع التفاع ل الاجتماعي كحل لمشكلة أو الوصول إلى قرار.	-عندما نريد التقليل من فرص التشويه ال ذي يح دث عن دما تم رر الرس الة الإتصالية شفهيا من شخص لآخر.

2.1.3.التواصل غير اللفظي:

ويقصد به كل اتصال تعتمد مرسلته اللغوية على الحركات والإشارات والإيماءات والرموز وغيرها، ويطلق عليها أحيانا اللغة الصامتة[3].

حيث تسم جاكبسون الإشارات من حيث طريقة إنتاجها إلى قسمين رئيسين:

---

[1]- ينظر فاطمة الطبال بركة:" النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون"، ص 49.
[2]- محمد يسرى د عبس:" الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 169.
[3]- ينظر صالح أبو إصبع:" الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، ص 42.

أ.الإشارات العضوية:

تنتج مباشرة بواسطة أعضاء الجسم دون الحاجة على شيء خارجي، فكل حركة تؤدي رمزا معينا، أو تعبيرا ما يراد إبلاغه.

وتنقسم هذه الإشارات بدورها إلى إشارات بصرية (أي ترى بالعين)، وإشارات سمعية كالكلام، و الموسيقى...

ب-**الإشارات الأداتية :** وهي التي تعتمد على الآلات و الأدوات كالرسم و النحت و التصوير التي تستعمل فيها الآلات[1].

قد عرض هاريسون (Harrison) أصناف الإشارات غير اللفظية وقسمها إلى أربعة وهي:

-رموز الأداء:

وتشمل الحركات الجسد مثل تعبيرات الوجه، وحركات العيون والإيماءات وأيضا ظاهرة تعرف "بشبه اللغة" مثل: نوعية الصوت ،الضحك، النحنحة.

-رموز اصطناعية: كاستخدامنا للملابس، الأثاث، ... وغيرها.

-رموز إعلامية : من الاختيارات والترتيب والابتكارات خلال استخدام الوسائل الإعلامية لإمكانياتها وتقنياتها.

مثلا: بروز الصوت بطرق مختلفة، اختيار الألوان، نوع الموسيقى، ... وغيرها.

-الرموز اللفظية: وهي التي تنبثق من استخدامنا للوقت والمكان[2].

ولو أخذنا بعين الاعتبار هذه الرموز فإنها ترتبط بالتواصل اللفظي وتكمله في بعض الأحيان، أو قد تستقل بذاتها لتكون لوحدها كافية لإيصال المعاني وتوثيق الصلة بين طرفي التواصل، وممن تعرضوا إلى المهام التي يؤديها التواصل غير اللفظي في علاقته بالتواصل اللفظي هو مارك ناب"mark napp"في النقاط التالية:

-التكرار أو الإعادة:

حيث يقوم التواصل غير اللفظي بإعادة ما قلنا لفظيا كالإشارة إلى الشيء بعد التلفظ بمكانه.

-التناقض: يمكن السلوك غير اللفظي أن يناقض السلوك اللفظي مثل:

المدير الذي يطلب من موظف أن يحضر أوراقا معينة أمام أحد العملاء ثم يعطي لموظف إشارة ما بعد إحضار هذه الأوراق.

-البديل: يمكن للتواصل غير اللفظي أن يكون بديلا للتواصل اللفظي فيغني بإشاراته وإيماءاته عن تلفظ عبارات كتعبيرات الوجه أحيانا.

---

[1]- ينظر فاطمة الطبال بركة:" النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص 48.

[2]- ينظر صالح أو إصبع:" الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، ص 43.42.

-**مكمل أو معدل:** يمكن للتواصل غير اللفظي أن يكون مكملا للتواصل اللفظي مثل: الابتسامة بعد أن نطلب شيئا من شخص.

-**التأكيد:** كإصرار شخص ما على كلمات معينة صوتيا، وقد يصاحب ذلك تعبير أن الوجه الدالة على هذا التأكيد.

-**التنظيم:** يمكن للاتصال غير اللفظي أن يتدخل في الوظائف التنظيمية كحركة الرأس أو العينين لتغير مكان، أو للتحدث، أو التوقف عنه[1].

ويمكننا تلخيص وتوضيح ما سبق بين التواصل اللفظي وغير اللفظي في الجدول التالي[2]:

---

[1]- ينظر حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:" الاتصال ونظرياته المعاصرة"، ص 29.28.

[2]- ينظم صالح أبو إصبع:" الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، ص 45.

نوع التواصل من حيث اللغة المستخدمة	الوظيفة	نوع اللغة المستخدمة
التواصل اللفظي: أ.المنطوق. ب.المكتوب.	-اتصال بالكلام. -اتصال برسالة مكتوبة	-رموز اللغة المنطوقة. -رموز اللغة المكتوبة.
ا	1.رموز الأداء وتحقق: -الإعادة. -التناقض. -البديل. -التأكيد. -التنظيم.	-إشد ارات وإيم اءات (رم وز غير لفظية). سد واء أكاذ ت أل وان أو صد ور وغيرها.
لتواصل غير اللفظي	2.الرموز الاصطناعية	-الملابس. -الأثاث. مستحضرات التجميل.
	3.رموز إعلامية.	ي تم ع ن طري ق الاختي ارات والترتيب والابتكار في استخدام وسائل الإعلام
	4.الرموز الظرفية	استخدام الوقت والمكان

2.3.أنواع التواصل من حيث المستخدمين:

ويمكن أيضا تقسيم التواصل من وجهة ثانية وهي عدد المشتركين وحجهم حيث يتم تقسيمها إلى ما يلي:

1.2.3.التواصل الذاتي:

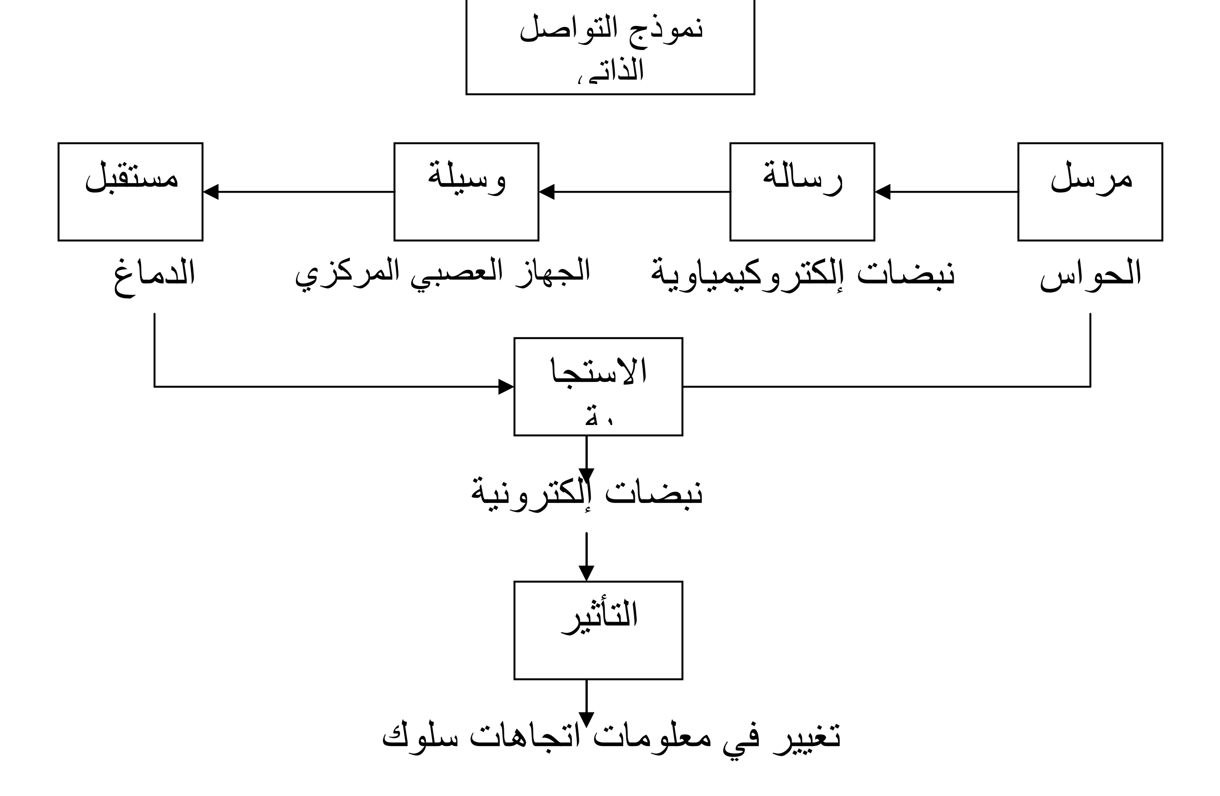
يعيش الفرد في وسط يتفاعل معه بالأخذ والرد هذا النوع من التفاعل يفرض بالضرورة فهم هذا الوسط والتعايش معه إبتداءا بفهم أنفسنا ورغباتنا وما

يلوج في خواطرنا، مما يكسبه إدراكا خاصة المكتسبات الناجحة عن التجارب والأفكار الخاصة به وهذا النوع من الفهم يضبطه ما يسمى بالتواصل الذاتي.

وقد أشار إليه رومان جاكبسون مسميا إياه بالخطاب (أو التواصل الداخلي) (Discours Intérieur) ،وفيه يكون المتلقي والمرسل شخصا واحدا[1].

وهو ما يحدث داخل الفرد، حينما يتحدث مع نفسه، فالفرد قد يناقش نفسه ما إذا سيقرأ كتابا أو أن يشاهد برنامجا تلفزيونيا في محطة معينة دون أخرى أو يسمع الراديو، ومن المهم أن نعرف أن التواصل الذاتي يتضمنه الأنماط التي يطورها الفرد في عملية الإدراك[2].

وقد حدد بتنر (betner) التواصل الذاتي في الشكل التالي[3]:



وقد شرح بتنر هذا النوع من التواصل ،حيث تقوم الحواس الإنسانية من سمع، وبصر وشم، باستقبال رسائل إتصالية ترسلها عبر وسيلة إلى الجهاز العصبي ، فيقوم الدماغ بدوره بتحليل وتفسير معاني المرسلة عن طريق عمليات داخلية ثم الاستجابة بالشعور والتفكير ،وتختلف باختلاف نوع المثيرات الواردة[4].

2.2.3.التواصل الشخصي"المواجهي":

---

[1]- ينظر:" فاطمة الطبال بركة:" النظرية الألسنية"، ص 40.

[2]- ينظر جيهان رشى:" الأسس العلمية لنظريات الإعلام"، ص 82.

[3]- ينظر:محمد يسرى د عبس:"الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 198

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص 200..

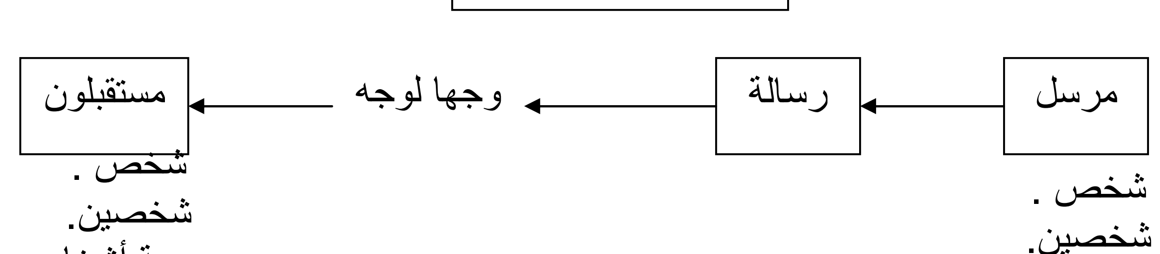
يتعامل الإنسان بحكم اجتماعيته مع غيره لإثبات وجوده أولا ،ولقضاء حاجاته والتعبير عن نفسه ثانيا.

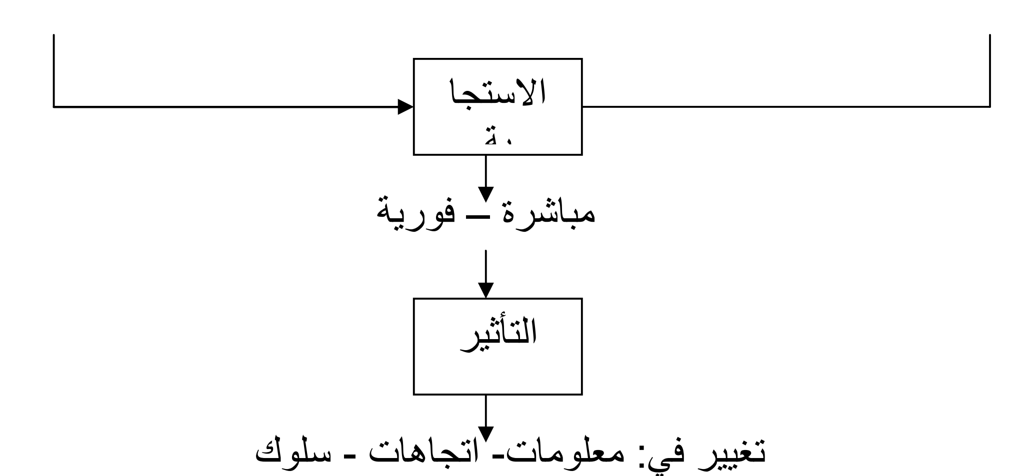
وهذا ما يتجسد في التواصل الشخصي القائم على التفاعل المتبادل بين فردين أو أكثر ويتيح هذا النوع من التواصل فرصة التعرف الفوري والمباشر على تأثير الرسالة[1].



كما يتمثل هذا النوع من التواصل في الشكل التالي[2]:

نموذج التواصل الشخصي





3.2.3.التواصل الوسيطي:

يسمى هذا النوع من التواصل الوسطى لأنه يقع وسط نوعين من التواصل ولأنه يبين تواصل شخصي الذي يتم وجها لوجه، وبين تواصل جماهيري الذي لا يتم فيه هذا النوع من المواجهة ويشتمل على التواصل السلكي مثل: الهاتف، التلكس، الراديو والمتحرك...

فهو يتقاطع مع التواصل الشخصي من حيث[3]:

[1]- ينظر صالح أبو إصبع:" الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص 15.14.

[2]- ينظر محمود يسرى د عبس:"الاتصال والسلوك الإنساني، ص 208.

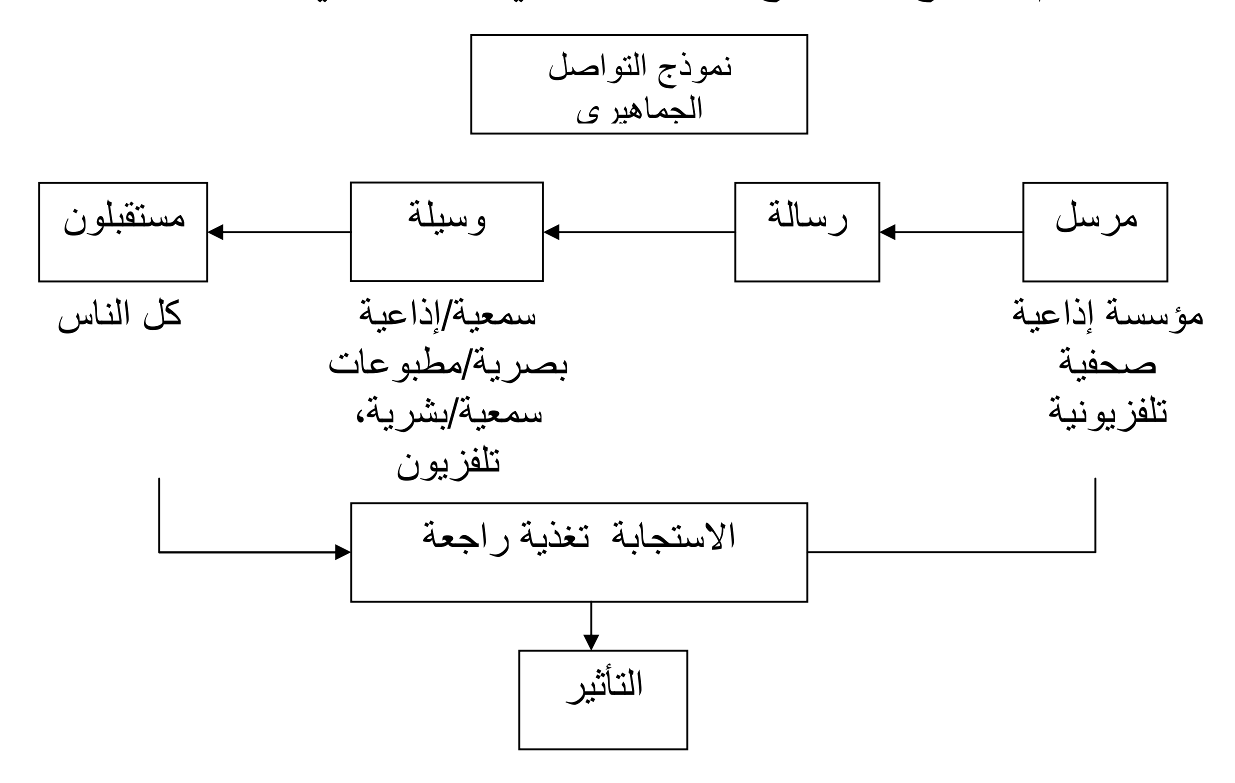
[3]- ينظر صالح أبو إصبع:"الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، ص 17.

1.في الغالب أن يكون المتلقي شخص واحد.
2.الرسالة ذات طابع خاص، فهي محظورة على التعميم.
3.المشتركون ذو ثقافة مشتركة ومرتبطون شخصيا.
كما يمكن أن يحدث تقاطعا آخر مع التواصل الجماهيري في[1]:
1.قد يكون جمهور غير متجانس، ويمكن أن يكون مشتركون فيه بعيدين في المكان.
2.يستقبلون الرسالة من أماكن مختلفة وتنقل بسرعة وتصل في آن واحد.
3.استعماله بمعدات فنية (إلكترونية - ميكانيكية) في نقل الرسالة.

4.2.3.التواصل الجماهيري:

هو عملية تواصل يتم استخدام وسائل الإعلام الجماهيرية، وله القدرة على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات وتطورت وسائله السمعية البصرية القديمة إلى أحدث الوسائل كالسينما والكتب والراديو والصحف[2].

وقد تم توضيح هذا النوع من التواصل في الشكل التالي[3]:



[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 18.
[2]- ينظر حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد:"الاتصال ونظرياته المعاصرة"، ص 33.32.
[3]- ينظر محمود يسري د عبس:"الاتصال والسلوك الإنساني"، ص 210.

تمهيد:

لم تأت النتائج الأخيرة المتعلقة بنظرية الاتصال دفعة واحدة وإنما عرفت انتقالا تطوريا عبر التاريخ في تراث البشرية، أدخلتها ضمن عصر التكنولوجيا و العصرنة في شبكة معقدة ناتجة عن ثورة إلكترونية ضخمة.

وبعد أن تطرقنا للأطر العامة التي تتدخل في دراستها كنظرية بين مختلف الألسن والنماذج البشرية في المدخل، نحاول في هذا الفصل العودة إلى الوراء، للبحث عن مدى إدراك البلاغيين العرب لأسس هذه النظرية وأبعادها وانضمامها ضمن أهم الاهتمامات القائمة بين الأفراد، لأن التواصل وليد الاحتكاك مع النفس والغير، بولادة الإنسان الأول، كسنة كونية، ومن وجهة أخرى يلاحظ ذلك التعدد في استعمال المصطلح كترجمة المصطلح الأوروبي la communication بين التبليغ والإبلاغ والتوصيل والإيصال والتواصل[1].

فالتواصل في اللغة العربية يعني التلاقي أو الالتقاء (convergence) على أن كلمة تواصل على وزن"تفاعل" بينما كلمة "اتصال" على وزن "افتعال" حيث تشتق كلمة تواصل من الوصل والذي يعني جمع الشيء بالشيء، ومنها وصل المكان أي بلغ المكان، فالتواصل هو التأثير المتبادل بين طرفي أو أطراف عملية التفاعل على المواجهة[2].

أما عن الاتصال فالهدف الحقيقي منه هو تحقيق تأثيرات أو نتائج معينة ومن بين أهم التأثيرات هو مدى استجابة المتلقي للرسالة، لذلك يمكن التفريق بينهما من ناحية طبيعة عملية الاتصال في حد ذاته:

و يقصد به : إرسال الوسيلة دون انتظار ردة الفعل (الاستجابة) فالرسالة هنا إتصالية.

أما التواصل: فهو إرسال الرسالة مع انتظار الإستجابة، فالرسالة إذن تواصلية[3].

وفي مقام ذكر الاتصال والتواصل يرد مصطلح "التبليغ" الذي جاء تعريفه اللغوي بعدة صور منها:

1- ينظر بشير برير:" التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم"، مجلة اللغة العربية، الجزائر، ع4، 2001، ص 203.

2- ينظر مختار محمد فؤاد أبو الخير:" التواصل والاتصال، دراسة مقارنة للتعرف على الأمصال الشعبية"، المجلة الجزائرية للاتصال"، الجزائر، ع8، 1992، ص 493.

3- ينظر: صالح أبو إصبع:الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة"، ص 54.

"بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها وأبلغه هو إبلاغا، وبلغه تبليغا، ومنه قول بن الأسلت السلمي:

قالت ولم تقصد لقيل الحنى مهـ لا ق د أبلغ ت أسماعي.

وفي حديث الاستسقاء:" وإجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لنَا قُوَةً وَبَلاَغَةَ إلِىَ حِينِ" .

والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التبليغ، والبلاغ: الكتابة[1].

ومما لا يفوتنا ذكره ما ورد في القرآن الكريم من لفظ"التبليغ" ومشتقاته وصفا لعمل الأنبياء في تأدية وظيفتهم وهي إبلاغ الرسالة الربانية إلى العباد، كقوله تعالى:"فَهَلْ عَلَى الرُسِلَ إلاَّ البَلاَغَ المبينَ"[2]، وقوله أيضا:" وقُلْ للَّذِينَ أُتوا الكِتَابَ والأمْيينَ أَسْلَمْتُمْ، فَإنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدُوا وأنَّ تُوَلُوا فَإنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ والله بَصِيرٌ بالعِبَاد"[3].

وأما تعريفه كمصطلح، يقصد به نقل خبر ما، من نقطة إلى أخرى، حيث يكون التبليغ مفهوما أوسع من اللغة لاعتماده على طرق عديدة لتبلغ بها الأفكار والآراء كالصوت والإشارة والكتابة واستعمال رموز خاصة[4].

و وضح الدكتور عبد المالك مرتاض تعريفه ،في قوله:"فهو يشمل المفهوم العام للوضع الاختيار، أو نقل أمر من أعلى إلى أدنى، أو من أعلى مستوى على مستوى مماثل له في الدرجة، وهو لفظ قديم الاستعمال في اللغة العربية، والاسم منه "البلاغ"[5].

فهو بهذا يشترك مع مفهومي الاتصال والتواصل في نقطة نقل الأخبار والمعلومات والأفكار من طرف إلى آخر.

لتبق ى نقط ة الاس تفهام ح ول م ا إذا ك ان التبلي غ ي رتبط بالاس تجابة مث ل التواصل أم لا؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نذكر في ذلك الارتباط الواقع بين البلاغة ومعناها وارتباطها بالتبليغ، حيث قال عنها الدكتور محمد الصغير بناني أن:"البيان يقصد به أيضا التبليغ والتوصيل زيادة على التعبير"[6]، يستدرك ليقول أن مفهوم التبليغ لا يتجاوز نقل الأخبار، وأن مهمة المتكلم لا تتعدى التعبير، بغض النظر عن

---

[1]- ينظر: ابن منظور:" لسان العرب"، (مادة بلغ).

[2]- سورة النحل الآية: 35.

[3]- سورة آل عمران الآية: 20.

[4]- ينظر محمد كشاش:" اللغة والحواس"، هامش، ص 81.

[5]- عبد المالك مرتاض : "نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية و التراث العربي " تجليات الحداثة ، وهران ،ع1-ص:12

[6]- عبد المالك مرتاض:" نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، تجليات الحداثة"، ع1-، ص 13.

Code de champ modifié

مدى تأثر السامع أو انتظار ردة فعله، مستدلا على ذلك قوله تعالى:"وَأَنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"[1] "[2].

فالسؤال يبقى مطروح، هو هل ما جاء به الأنبياء والرسل كان عبارة عن تعبير وإيصال بحت يبتعد عن ضرورة الدعوة والإقناع؟.

ثم هل ما جاء به القرآن الكريم من حجج وبراهين وإعجاز بلاغي وعلمي وحضاري ... كان غير مقصود؟

وهل كان الوعيد والتهديد والتشويق والترغيب، وعبر قصص الأنبياء، يتجاوز نقل الأفكار والتعابير ،ففي اعتقادنا أن معنى التبليغ يتجاوز نقل الأفكار و التعابير إلى التأثير على المتلقي وتغير سلوكه وأفكاره ومعتقداته في مقام نفسي واجتماعي وثقافي خاص.

وأما عن المصطلح الأفضل المقابل للمصطلح الأوروبي " la communication" في رأي الدكتور بشير إبرير هو التواصل قوله:" كلمة"تواصل" أكثر دقة من الكلمات الأخرى، لأنها تعني كلا من المتكلم والمخاطب والتفاعل الحاصل بينهما"[3].

عن الدكتور عبد المالك مرتاض فهو يرتضي استعمال مصطلح التبليغ وعلته "بأن المصطلح الأوروبي إنما ورد في أصوله على صيغة النقدية والمعنوية على حين أن معادلة العربي"التواصل"، لم يرد في العربية بهذا المعنى بل هو محايد لا يتعدى إلى أي معنى في غيره، وإنما يقتصر على ما فيه من معنى في نفسه"[4].

و عن استعمالنا للمصطلح المناسب فقد ارتأينا مداولة مصطلح التبليغ لارتباطه بالبلاغة العربية، وهذا ما نحن بصدده في هذا الفصل.

النتائج التي تتبنى عليها بعض أوجه الاختلاف بين (التواصل – الاتصال - التبليغ).

ويمكن اختصار ما تم ونميز كل واحد عن الآخر من ناحية الصيغة والمعنى والغاية في الجدول التالي:

الاتصال	التواصل	التبليغ
-على وزن"افتعال" مثل ابتكار وابتداء.	على وزن"تفاعل" تشتق من الوصل الذي يعني جمع الأشياء بالشيء	معناه اللغة: بمعنى الوصول، الانتهاء، الإيصال، الكتابة

[1]- محمد الصغير بناني:" النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 199.
[2]- ينظر المرجع نفسه ص: 199.
[3]- ينظر : بشير إبرير:" التواصل مع النص"، مجلة اللغة العربية -ع4- ص 203.
[4]- ينظر:" عبد المالك مرتاض:" نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي"، ص 13.

-نقل رسالة من نقطة إلى أخرى رسالة إتصالية لا تنتظر الاستجابة	-التأثير المتبادلين طرفي أو أطراف عملية التفاعل رسالة تواصلية ذات استجابة	نقل الأفكار والتعابير على سبيل الإقناع والحجة رسالته تبليغية
الاتصال الناجح = التواصل = التبليغ		

1.التبليغ بين البلاغة والبيان:

يعتبر علم البلاغة من أهم العلوم التي اهتم بها المسلمون اهتماما بالغا، بقدر أهمية المحافظة على القرآن الكريم، وفهم آياته واستيعابها، والتعرف على مراميه ومقاصده واكتشاف مواطن إعجازه، فهو فاتحة تأسيسية للمعرفة العقلانية في تاريخ أمتنا الفكري والحضاري، ولذلك نمت بين أحضانه "علم البلاغة العربية" وترعرع في ظروف علمية خاصة، و قد قال عنها أبو هلال العسكري (ت:395 ه) :"أن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ، بعد المعرفة بالله جل ثناؤه، علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة"[1] .

فالمعرفة بهذا العلم من الضروريات التي لا مناص منها، وكان تعلمه بحاجة لاكتساب دورة اللغة وأعلى درجات الكلام، وليتمكن قارئها من التفريق بين جيد الكلام ورديئه، حرصا منه على صياغة أفكاره والتعبير عنها في أحسن صورة تتطابق فيها الوسيلة اللغوية مع الفكرة، وليكتسب القدرة على توصيل المعاني مع ضمان وصولها، حيث قال أبو هلال العسكري عن تاركها في كلامه:"... وإذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور، أو تأليف شعر منظوم، و تحضى هذا العلم ساء اختياره له: وقبحت آثاره، فأخذ الرديئ المردول، وترك الجيد المقبول، فدل على قصور فهمه، وتأخر معرفته وعلمه"[2].

ونظرا لضرورة هذا العلم، اهتم العديد من علمائنا العرب بدراسة معمقة لعلم البلاغة، وإذا استنطقنا تراثنا البلاغي وحاولنا إطالة التأمل في معانيه وتعاريفه، فإن القارئ يجد نفسه، أمام ذخيرة علمية كبيرة متنوعة، تنوع منطلقاتها النظرية بحكم اختلاف مرجعيتها الفكرية وروافد أصحابها، حيث اهتموا بدراسة الكلام وأشكاله وأهميته بين الأفراد في توصيل المعاني وتبليغها، فظهرت بعض الومضات التواصلية، تفرق بين الحيوان الناطق والجماد، فهو وسيلة للكلام والتعبير عما في الصدور من عواطف ومكنونات وأفكار باعتباره سلوك للفعل اللغوي، وأحد أشكال التواصل.

[1]- أبو هلال العسكري:" كتاب الصناعتين، الكتابة، والشعر" ترجمة: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى اليابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ص 07 .

[2]- المصدر السابق، ص 09.

ومن العلماء البلاغيين الذي كان لهم السبق في الإحاطة بهذا الموضوع والاهتمام بالتواصل الإنساني "الجاحظ" (ت: 255 هـ) إذ يمثل معلما بارزا في فهم طبيعة التواصل كضرورة اجتماعية[1].

حيث يرى :"لم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجاته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له، فأدناهم سخر لأقصاهم، وأصلهم ميسر لأولهم وعلى ذلك، أحوج السوقة إلى الملوك في باب، وكذلك الغني والفقير والعبد و سيده"[2].

فالتواصل عند الجاحظ غريزة لا غنى عنها يحتاجها الإنسان لقضاء الحاجة والتعامل مع مختلف الطبقات وفئات المجتمع، فهو سمة عامة تخص الإنسان كإنسان، بغض النظر عما يكون، ويكفي بأن لغة القرآن الكريم، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا مازالت لغة التواصل المسلمين، كما أن الحكمة جاءت من قوله تعالى:"وجعلناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا"[3].

وهكذا رأى الجاحظ أنه لا يمكن تحقيق ذلك الاجتماع إلا بالتواصل، الذي لا يمكن أن يحدث إلا بوسيلة البيان في قوله:"هو البيان الذي جعله الله تعالى سببا فيما بينهم، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم، ومعرفا لمواضع سد الخلة وربع الشبهة، ومداواة الحيرة"[4] ، و هكذا فالبيان هبة ربانية أختص بها الإنسان ليتم بها التواصل ، أداته اللسان كصورة أولية له بغض النظر عن أداة القلم و الكتابة و غيرها التي سيأتي التفصيل فيها فيما بعد.

ومما لا يفوتنا ما أشار إليه قدامة بن جعفر (ت 337هـ) في كتابه:" نقد الشعر"[5] عن حديثه في شرف البيان وفضيلة اللسان قوله:" ولشرف البيان وفضيلة اللسان قال أمير المؤمنين (علي كرم الله وجهه) عليه السلام:" المرء مخبوء تحت لسانه فإن تكلم ظهر" و هذا ما أشرف الكلام وأحسنه وأكثره معنى، وأخصره، لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته إلا إذا خاطبته"[6].

وهذا ما عزز قول عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) : "اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها، ويكشف عن صورها، ويجني صنوف ثمرها، ويدل على سرائرها ويبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى

---

[1]- صالح خليل أبو إصبع:" نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال"، دار آدام، عمان، ص 72.

[2]- الجاحظ:"الحيوان"، ترجمة عبد السلام محمد هارون"، دار الكتاب العربي، بيروت، 1388، 1969، ط03، ص 01، ص 44.43.

[3]- سورة الحجرات، الآية: 13.

[4]- الجاحظ الحيوان، ص 44.

[5]- تمت الإشارة إلى أنه قد نسب هذا الكتاب"نقد النثر" لقدامة بن جعفر خطأ وأصله لـ"أبو الحسن الكاتب" تحت عنوان :"البرهان في وجوه البيان"، ينظر محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف:"البلاغة العربية بين التقليد والتجديد"، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، 1992، ط1، ص 59.

[6]- جعفر قدامة:"نقد النثر" دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، 1982م، ص 12.

الإنسان من سائر الحيوان، ونبه فيه على عظم الامتنان، فقال عز من قائل:" الرَحْمَانَ عَلَّمَ القُرْآن، خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ"[1]، فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه، ولا صح من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه، ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار عن معانيها، واستوت القضية في موجودها وفانيها"[2].

ومن تلك المفارقات اللفظية ما يستطرد إليه فخر الدين الرازي (ت 606هـ) في معرض حديثه عن مبدأ التواصل في قوله:"أن الإنسان خلق بحيث لا يستقل بتحصيل جميع مهماته، فاحتاج إلى أن يعرف غيره ما في ضميره ليمكنه التوسل به إلى الاستعانة بالغير"[3]، وهذه الاستعانة ناتجة عن حاجة البشر بعضهم لبعض لضمان بقاء الجنس الإنساني على وجه البسيطة إذ لا يفي الواحد بحاجاته من عيش وسكن واتقاء الغوائل إلا بالتواصل وإن اختلفت أشكاله وطرقه كالتي أشار إليها فخر الدين الرازي أيضا في قوله:" والطرق كثيرة مثل الكتابة والإشارة والتصفيق باليد والحركة بسائر الأعضاء، إلا أن أسهلها وأحسنها هو تعريف ما في القلوب والضمائر بهذه الألفاظ"[4].

وأما عن البيان، فقد وردت له مجموعة من التعاريف منها المعنى اللغوي الذي يمكن اختصاره في أربعة نقاط هي[5]:

1. الكلام على صحة مخارج الحروف، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو الرئتان، أو ما قد يصيب الفم من التشوه.
2. الكلام على سلامة اللغة والصلة بين الألفاظ بعضها ببعض والعيوب الناشئة من تنافر الحروف يمجه السمع.
3. الكلام على الجملة، والعلاقة بين المعنى واللفظ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب والملائمة بين الخطبة والسامعين لها، والملائمة بين الخطبة وموضوعها.
4. الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته

هذا عن تعريف البيان إصطلاحا، أما عن تعريفه اللغوي فقد ورد لفظه في القرآن والحديث وفي الدرس البلاغي.

فهو بمعنى الفصاحة واللسن مع الذكاء، وهو أيضا ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها.

وفعله :"بأن" الثلاثي يستعمل لازما فقط، وغيره من الأفعال وهي:

1- سورة الرحمن، الآيات 3.2.1.
2- عبد القاهر الجرجاني:" أسرار البلاغة في علم البيان"، ت: محمد الإسكندراني د.م.مسعود، دار الكتب العربي، بيروت، 1318هـ، 1998، ص 09
3- فخر الدين الرازي:"التفسير الكبير، مفاتيح الغيبي" مطبعة البهية المصرية"، 1998، ج1، ص 25.
4- ينظر المرجع نفسه ص 69.
5- قدامة بن جعفر:"نقد النثر"، ص 8.7.

أبان، ويبين، وتبين وإستبان، وتستعمل مادته بمعنى الوضوح والانكشاف.
وأما في الحديث الشريف:"كقوله صلى الله عليه وسلم:" إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة" والبيان في هذا الحديث بمعنى المهارة في الترجمة عن معاني النفس في عبارة مؤثرة، وبه شبه الرسول صلى الله عليه وسلم، لتمكنه في نفس سامعه وقلبه[1].

أما في القرآن: هذا البيان ورد في مواقع متعددة منها:
قوله:" هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين"[2] المعنى إيضاح لسوء العاقبة و تبين و تنبه الكاذبين[3] وأيضا قوله تعالى:"خلق الإنسان، علمه البيان"[4]، فقرن ذكر البيان بخلق الإنسان، لاستعماله في الإفصاح عما في ذاته"[5].
ومما جاء في الأثر تلك المقابلات بين البيان والبلاغة، أن البيان بمعنى البلاغة مرادفا لها، ويظهر ذلك من خلال قول جعفر بن يحي عندما سأله ثمامة، ما البيان قال: "أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك، وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا عن الصنعة بريئا من التعقيد غنيا من التأويل و ها هو تأويل قول الأصمعي البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر"[6].
معنى هذا أن ما قيل في البيان تأويل ما قبل في البلاغة ومن هنا فالبيان مرادفا للبلاغة[7].
فهي عند الجاحظ ملكة للتبليغ وقد تكون صفة يصير بها الكلام بليغا بليغا وقد يكون للكلام البليغ نفسه والبيان كما جاء في عنوان الجاحظ البيان والتبيين مساويا كما نعرفه اليوم باسم "البلاغة"[8].فكأن بالبلاغة ذلك العلم الشامل الذي يكتسب أبعادا متعددة إن أضاء بعضه بقي بعضه مظلما يحتاج للبحث والتفصيل في مفاهيمه.

2.مفاهيم التبليغ في البلاغة العربية:

---

[1]- ينظر ربيعي محمد علي عبد الخالق:" البلاغة العربية وسائلها وغايتها في التصوير البياني"، دار المعرفية الإسكندرية، 1989 ص14.
[2]- سورة آل عمران، الآية 138.
[3] - ينظر : الزمخشري –الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل –انتشارات آفتاب –تهران –ج1-ص:465
[4]- سورة الرحمن الآية 4.3.
[5]- ينظر: ربيحي محمد علي عبد الخالق:"البلاغة"، ص 14.
[6]-الجاحظ:"البيان والتهين، ت:درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1423ه، 2003، ج1، ص 73
[7]- ينظر: عبد العيز عتيق:في تاريخ البلاغة العربية"، دار النهضة العربية، بيروت، ص 86.
[8]- ينظر: تمام حسان:"الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي"، عند العرب"، عالم الكتب، القاهرة، 1360، 2000، ص 326.

من الطبيعي أن يتصدر "مفهوم البلاغة بحثنا هذا، باعتباره موضوعه الأصلي والمركز الذي تدور فيه ما ورد في باقي القضايا الأخرى، ونظرا لكثرتها وتشعبها ارتأينا أن ننتهج منهج حمادي صمود في كتابه "التفكير البلاغي عند العرب"، في تقسيمه مفاهيم البلاغة إلى ثلاثة أقسام هي[1]:

أ. القسم الأول :

وهو قسم تنحصر فيه وظيفتها في مؤدى الكلمة اللغوي أي تعريف البلاغة لغويا من إبانة وإفصاح عباراته، لتكون وعاءا سهلا لتوصيل المعاني والأفكار بأسهل الألفاظ بعيدا عن تصويرها الفني الإبداعي والجمالي، فتأخذ منها البلاغة طابع التبليغ بشيء أشكاله وجاء في تعريفها لغة: قول أبا هلال العسكري: "البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذ إنتهيت إليها وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء، منتهاه والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة أنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه (...) والبلاغ أيضا التبليغ في قوله عز وجل: "هذا بلاغ للناس أي تبليغ..."[2].

كما جاء تعريفها انطلاقا من جذرها فهي "ب.ل.غ":

"أبلغه سلامي وبلغه، وبلغت ببلاغ الله: تبليغه.

قال الكميت: فهل تبلغينهم على نأي دراهم: نعم ببلاغ الله وجناء ***، وبلغ في العلم منه البلغين، وأبلغت إلى فلان: فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه البليغ، اللهم سمعا لا بلغا (...) وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة وليس من أهلها، وهو بليغ ولكن يتبالغ..."[3].

أما عن ابن الأثير (ت 637هـ) فيعرفها بقوله: "بلغت المكان إذا إنتهيت إليه ومبلغ الشيء: منتهاه، ويسمى الكلام بليغا من ذلك، أي انه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية"[4].

أما عن الجرجاني فقد لخص بتعريف جل هذه التعريفات على أن البلاغة لغة هي: " الوصول إلى الغاية المنشورة"[5].

فالانتهاء والوصول والتبليغ والتوصيل كلها مفاهيم جذرية للبلاغة العربية فلهذا ولأسباب أخرى نظرت إليها الدراسات الحديثة على أنها المقابل الصحيح لعلم التواصل[1].

---

[1]- ينظر: حمادي صمود: "التفكير البلاغي عند العرب، أسسه، وتطوره إلى القرن السادس"، منشورات كلمة الآداب، منوبة، ص 116.115.

[2]- أبو هلال العسكري: " الصناعتين"، ص 07

[3]- الومخشري: "أساس البلاغة"، عبد الرحمان محمود، دار المعرفة بيروت، 1997.1999، ص 29

[4]- غبن الأثير: " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" أحمد الخوفي، بدوي بطانة، مطبعة النهضة، الفجالة، 1380هـ 1960 ط1، ج1، ص70.69.

[5]- عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة في علم البيان"، محمد الإسكندراني، د.م مسعود، دار الكتاب العربي، ط2، 1418هـ، 1998، ص 05.

ومن المفاهيم الأكثر توضيحا لذلك، ما جاء به أبو هلال العسكري حيث قول:" قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:" البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلة، وأبانه عن مشكل، ومثله قول الحسن": البلاغة إيضاح الملتبسات ، وكشف عوار الجهلات ، بأسهل ما يكون من العبارات، وقريب منه قول الحسين بن علي رضي الله عنهما:البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة"[2].

وهكذا اكتسدت البلاغة حلة لازمة لها انطلاقا من تعريفها اللغوي ميزة الإيضاح وميزة الكشف ألا وهي "تسهيل العبارة" لتبسيط فهم ما يقال وضمان نجاح التواصل بين الأفراد، ولتخرج أيضا ظاهرة التكلف والتصنع، المبالغ فيه والمبالغ فيه والعميق للفهم والتواصل، "فإن التكلف إذا ظهر في الكلام هجنة وقبح موقعه، من ذم التكلف أن الله عز وجل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبرؤ منه، فقال:" قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ"[3]، وألا يظن أن البلاغة إنما من الإغراب في اللفظ والتعمق في المعنى، فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى، والبليغ، ما بلغ المراد"[4].

فالبلاغة هي التعبير بلا شرنقة التكلف والاصطناع المعيق لهذه العملية، وهذا المفهوم يكاد يذكرنا بما تقدم من تعريف الاتصال في الدراسات اللسانية الحديثة.

ب.القسم الثاني:

يركز القسم على مقاصد البلاغة ووظيفتها، في وصف الطرق الخاصة في استعمال اللغة واختيار الأساليب والغرض المراد للتعبير عنه ليتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المتكلم, إقناعه وغايتها هو وصول المرسل لمقاصده بأنجع الطرق[5].

وهذا ما أكد عليه جازم القرطاجي (ت: 684هـ) في "المنهاج" حيث ربط بين البلاغة وأشكالها (الخطابة والشعر) بمقصدها في قولها:" لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع، وكان لكليتهما أن تخيل أن تقنع في شيء من الموجودات الممكن أن يحيط بها علم إنساني"[6].

1- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف:"البلاغة العربية بين التقليد والتجديد"، دار الجيل، بيروت، 1312هـ، 1992، ط1، ص 56.
2- أبو هلال العسكري": الصناعتين"، ص 58.
3- سورة ص الآية 86.
4- قدامة بن جعفر:" نقد ونثر"، ص 105.
5- ينظر حمادي صمود:" التفكير البلاغي عند العرب"، ص 47.
6- حازم القرطاجني:" منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، محمد الحبيب ابن الخواجة، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986، ط3، ص 20.19.

ومن بين التعاريف التي شملت على ما سبق قول عمرو بن عبيد في تعريفه للبلاغة هي:"ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار"[1].

فهي إذن تتعدى التبليغ من طرفين إلى فكرة امتلاك ذهن المتلقي (فكره، قلبه، تصوره) إلى ما يمكن أن يسير أو يغير سلوكه ومعتقداته.

كما يقول الجاحظ في تعريف البلاغة:"حدثني صديق لي، قال قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال:كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فإذا أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب لإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق"[2].

فأما الشطر الأول من هذا التعريف:" كل ما أفهمك، ...بليغ"، هنا يراد بها "الإفهام" أي التبليغ، ويمكن عدة تعريفا لغويا للبلاغة، وذلك أن قدرة المتكلم أثناء عملية التبليغ هي بلوغ غايته من إفهام السامع والوصول إلى غرضه على أتم وجه وأيسره.

أما الشطر الثاني من التعريف:" فإن أردت اللسان ... صورة الحق" يبدين فيه النزعة الجدلية، التي تجيز تصوير الباطل حقا والحق باطلا، وتوضيحا لرأي العتابي هذا، أورد الجاحظ البيت التالي:

ألا رب خصم ذي فنون علوته، وإن كان ألوي يشبه الحق باطله.

فهذا هو معنى قول العتابي:" البلاغة إظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق"[3].

ومما جاء في شرح وتفسير تعريف البلاغة عند العتابي هو تقسيمها إلى نوعين هما:

أ.بلاغة لسانية وعرفها بقوله:"كل من أفهمك حاجة من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة".

ب.بلاغة فنية:"ووصفها بأنها إظهار ما غمض من الحق وتصويره صورة الباطل وهذا التعريف يؤدي إلى الكذب والزور واستعمال الحيل لمراوغة المتلقي واكتساب ثقته وعطفه"[4].

وعلى هذا النحو أيضا جاء في الذكر تعريف ابن المقفع ببلاغة في كتاب الصناعتين قوله : "كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل"[5].

---

[1]- الجاحظ:"البيان والتبيين"، ج1، ص 78.

[2]- المصدر نفسه، ص 77.

[3]- ينظر: عبد العزيز عتيق:"في تاريخ البلاغة العربية" ص 67.66

[4] ينظر:محمد الصغير البناني : " النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبين " ، ص:240.

[5]- أبو هلال العسكري:" الصناعتين، ص 59.

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

حيث جمع في هذا التعريف بين وظيفتين هما:
1.الكشف:" وهو المعنى اللغوي الذي وضحناه في بداية تعريف البلاغة من إنابة وكشف وإيضاح.
2.التصوير: وهو الصياغة اللغوية التي يلبس بها النص، وقدرتها على الإبهام والتخيل إلى درجة التأثير والإقناع3.

ج.القسم الثالث :

ويهتم هذا القسم بمحاور ثلاث وهي:

ج.1-المحور الأول :

ما يجب أن يكون بين اللفظ والمعنى، أين يستدعي لفظ ما صورة ذهنية مطابقة لها لدى الذهن المتلقي كقول جعفر بن يحي (ت 187ه):ط البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليما من التكلف بعيدا من سوء الصديغة بريا من التعقيد، غنيا عن التأمل"[1].

فالبلاغة أو قد ما نسميه بعملية التبليغ وتوصيل المعاني ويشترط مجموعة من الشروط في اللفظ واختياره منها:
1. أن يكون اللفظ مطابقا لمعناه، وهذا ما يذكرنا بأحسن تعريف للبلاغة اجتباه، الجاحظ قوله:" لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[2].
2.أن يؤدي غرض استعماله عن كان فلإخبار أو الإعلام أو الإقناع أو الترفيه...إلخ.
3.أن لا يحتاج إلى استعانة لفهمه، فيكون بسيطا بعيدا عن التكلفة.
4.أن لا تطول الفكرة حتى يتسنى المتلقي الغرض الحقيقي لها.
5.أن يكون واضح المعالم يرتبط، دالة لمدلوله دون الإطالة في البحث عن مدلول الكلمة والتأمل في معناها .

ج.2.المحور الثاني :

" وهو ما يجب أن يكون فيه قلة اللفظ وكثرة المعنى اعتمادا على طاقات اللغة كالإيحاء والإشارة والتلميح، فارتبطت البلاغة في العديد من تعاريفها بالإيجاز، أهمها تعريف ابن المقفع الذي حسد عليه في قوله عليه، والذي قال عنه إسحاق بن حسان بوفوهة (212هـ) لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط، سئل ما البلاغة قال: البلاغة علم جامع بمعاني تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة،

---

[1]- أبو هلال العسكري :"الصناعتين"، ص 48.
[2]- الجاحظ:"البيان والتبيين"، ج1،ص 78.

ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا، منها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز فهو البلاغة"[1].

نستنتج من هذا التعريف أن البلاغة هي الإيجاز في موضعه، والإطناب في المواضع التي تتطلب ذلك مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومنه نستشف أيضا تلك العلاقة الواضحة بين البلاغة والتواصل في ذكره لأشكال التبليغ المختلفة وهي :

الاستماع ← المتلقي.
الإشارة ← التواصل غير اللفظي.
الاحتجاج ← الرسائل ← كسبيل للإقناع والتأثير.
الجواب ← رد الفعل المتلقي أو رجع الصدى أو التغذية.
الراجعة.
الابتداء ← التفاعل القائم بين المرسل والمتلقي.
شعر – سجع - الخطيب ← البنية اللغوية للرسالة.

ج-3-المحور الثالث:

وهو مراعاة الموضع والحال والاهتمام بالسياق الذي تنزل فيه العبارة أو اللفظة لأن النص لا يستمد معناه غلا إذا كان في موضعه ومقامه، حيث اهتم البلاغيون العرب بمبدأ:

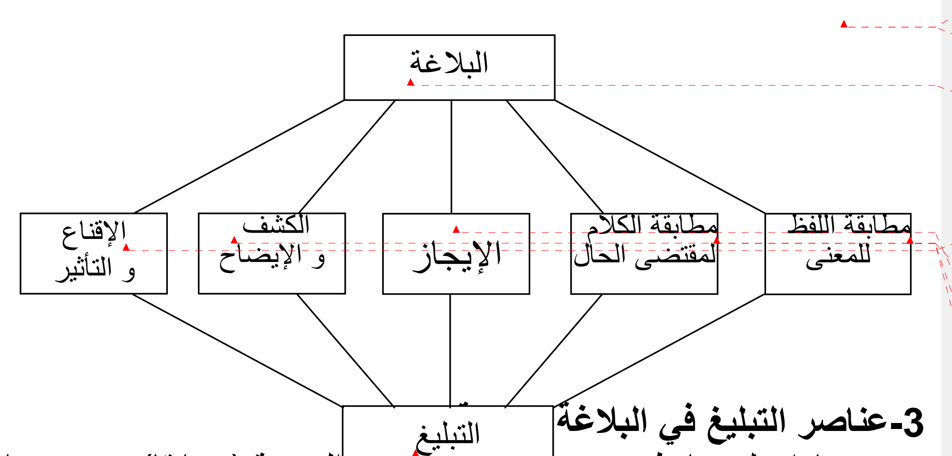
"لكل مقام مقال" كتعريف عبد القاهر الجرجاني، قوله :"والبلاغة في الكلام تعنى مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، أي دقة في اختيار الألفاظ والأساليب في ضوء مواقعه وموضوعاته وحال السامعين الذين يلقي علمهم"[2].

و هذا الجرجاني سيشرح مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال في الاختيار الجيد للفظ و صياغته في أسلوب يناسبه داخل نظم خاص به يتوقف على شروط ثلاث :

1-موضع أو سياق الكلام .
2-موضوع الكلام .
3-علاقة المستمعين بالموضوع المطروح .

[1]- المصدر نفسه ، ص 79.78.
[2]- عبد القاهر الجرجاني:"أسرار البلاغة"، ص 05.

فجل هذه التعاريف و إن تعددت و التي حد بها رواد الفكر البلاغي العربي الظاهرة التبليغية و تنوعت آراؤهم ، إلا أن مرد أغلبها إلى مجموعة مذال نقاط التي تتقاطع مع أهم مبادئ نظرية التواصل الحديثة – تطرقنا إليها في المدخل – حيث يقف القارئ المتفحص لهذه و في هذا المضمار على تحليلات ظاهرة الفعل اللغوي " التبليغ " لترقي إلى أعلى مراتب الموضوعية العلمية و يمكن تلخيص ما ورد حتى الآن في الشكل التالي :



3-عناصر التبليغ في البلاغة

بناءا على ما طرح من تعريف البلاغة العربية (سابقا) ، و تنبيها لطبيعة الكلام المعقدة و التي تستلزم تحقيق البعد الوظيفي له و المتصل بالتبليغ و البعد الجمالي أيضا ، يمكن التوصل إلى عناصره الأساسية على مختلف مستوياتها .

و قبل التطرق إليها ، نلتفت إلى زاوية اهتمام العرب بهذه العملية الحركية حتى قبل ولادتها منذ انطباع الأفكار في ذهن المتكلم إلى غاية تحررها ، و تفعيلها بين الأفراد ، فأشار الجاحظ إلى هذه المعاني قوله : " ...المعاني قائمة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم المختلجة في نفوسهم و المتصلة بخواطرهم و الحادثة عن فكرهم (...) موجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، و لا حاجة أخيه و خليطه ، و لا معنى شريكه (...) إلا بغيره ".[1]

فحاجة الإنسان لغيره هي حاجة لمعرفته لنفسه أولا و معرفة ما في خاطره و ذهنه و طرحه لفكره ، كترجمة و اعترافا لوجوده ، و في نفس الوقت تحيل إلى

[1] الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 52 .

فكرة ضرورة التواصل بين الأفراد لأنها ؟ تجعل المهمل مقيدا و المقيد مطلقا و المجهول معروفا و الوحشي مألوفا و العقل موسوما و الموسوم معلوما "[1].

و أما عن التواصل أو البلاغة فقد عبر عنها عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) على أنها ملكة روحية نفسية ، و أنها ليست ألفاظا ضخمة غريبة أو صناعية لفظية محضة بقدر ما هي وضع للكلام لإفادة المعاني .[2]

فعرف البلاغة في قوله : " و البلاغة فيه هي أن تبلغ به ما تريد من نفس المخاطب ، من إقناع و ترغيب و ترهيب ، و تشويق ، و تعجيب ، أو إدخال سرورا أو حزن أو غير ذلك و كل هذه المقاصد أمور روحانية ، يتوصل إليها بالكلام "[3]

فإذا وضعنا هذا النص تحت مجهر تفكيكي نستخلص عناصر التواصل في الشكل التالي :

1-يقصد بها عملية التبليغ و التواصل .

1-" أن تبلغ به " ← 2-مرسل يقوم بالعملية .

2-مخاطب

3-" أن تبلغ به ما تريد " : رسالة إعلامية .

4-مقصد و غاية : " اقناع ، ترغيب... "

و هذه العناصر أدرجها أيضا أرسطو (322 م) في كتابه " فن البلاغة " ، و عبر عنها بأنها البحث عن جميع وسائل الإقناع المتاحة ، كما ذكر أن العناصر الرئيسية التي تتدخل في كل خطبة و تؤثر فيها ثلاثة هي :[4]

1-الخطيب ← المرسل .

2-الخطبة ← الرسالة .

3-المستمع ← المتلقي .

و الجدير بالذكر أن الدراسات الحديث قد انتهجت عبر طيات من الزمان و المكان دراسات مختلفة لهذه العناصر ، و أكثرها انتشارا ما قدمه العالم السياسي " لا سويل (lasswell) ، فأعطى منظورا عاما للتواصل تجاوز حدود العلوم السياسية ، حيث قال بأن هذه العملية يمكن توضيحها بالعبارة اليسيرة التالية:[5]

" من يقول ؟ المرسل .

---

[1] المصدر نفسه ، ص : 52 .

[2] ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1422 هـ ، 2002 م ، ص : 55 .

[3] المصدر نفسه ص : 55 .

[4] ينظر : عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد ، الإتصال و نظرياته المعاصرة ، ص : 37 .

[5] ينظر : برنت روبن ، الإتصال و السلوك الإنساني ، نخبة من أعضاء قسم وسائل تكنولوجيا التعليم بكلية التربية ، جامعة الملك سعود ، معهد الإدارة العامة 1412 هـ - 1991 م ، ص : 72 .

ماذا ؟ الرسالة .
و لمن ؟ المتلقي .
و بأي وسيلة ؟ القناة .
و بأي أثر ؟ التأثير "

و قد كشف لنا الجاحظ عن هذه العناصر منذ العديد من السنوات في تعريفه للبيان قوله: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، و من أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع ، و غ،ما هو الفهم و الإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"[1]

و هكذا فالجاحظ قد عرف البيان كتعبير عما يسمى اليوم " بالتواصل " و أدرج أهم العناصر الأساسية لهذه العملية مناظرة مع عناصر التواصل لدى سويل .

فهو يورد عناصر هذه العملية في الشكل التالي :[2]

1-القائل : و هو يقابل المتصل / المرسل .
2-السامع : وهو يقابل المتلقي / المستقبل .
3-كل شيء كشف القناع : و هو يقابل الرسالة .
4-الدليل أو أصناف الدلالات على المعاني من لفظ أو غير لفظ و هو يقابل الوسيلة .
5-الغاية التي يجري إليها (الفهم و الإفهام) و هي تقابل عادة الهدف و التاثير .

و هكذا يمكننا شرح هذه العناصر في البلاغة العربية على النحو التالي :

3-1-المرسل :

اهتم البلاغيون بالمرسل أو ما يسمى أحيانا بالخطيب ، اهتماما خاصا ، بإعتباره مركز بث التواصل و نقطة البداية .

فالمتحدث البليغ قدرة تسمى " القدرة الإستراتيجية :[3] مصقولة فيه ، و هي التي تمثل العصب في هذه العملية التي متعامل بها في اللغة كي نصل إلى أهدافنا

[1]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص : 56 .
[2]-ينظر : صالح خليل أبو اصبع ، نصوص تراثية في ضوء علم الإتصال ، ص:72-73 .
[3]-الإستراتيجية : كلمة متواترة في الدراسات البلاغية اليوم ، و يقصد بها جملة الوسائل التي يضمنها المتكلم كلامه ، أو فعله اللغوي حتى يضمن له بلوغ الوسائل التي يضمنها المتكلم كلامه ، أو فعله

ببراعة ، يستغلها البائع الناجح في جعل سلعته لا تقاوم ، كما يستثمرها الصديق في دفع صديقه إلى سلوك ما يريده منه فيجب على هذا المتحدث أن يتصف ببلاغة خاصة على رأي القزويني (736 هـ) باعتبارها " ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ " [1]

فالمرسل أو المتحدث أو الخطيب ، على حد تعبير شرام يحاول توصيل معلوماته و مشاعره في كلمات مسموعة أو مكتوبة ، و في الإعلام الإسلامي كان يقول : "رسول الرجل مكان رأيه و كتابه مكان عقله ، وكذلك جعل الله عز و جل رسله أفضل خلقه و أخبر أنه اصطفاهم على العالمين ، فقال تعالى : " الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه " [2] "[3].

فالرسول هو نفسه المرسل و إن نطق بلسان غيره ، له أداء و معتقدات مسبقة على أساسها يطرح أفكاره في نظام تواصلي ، داخل حقل من المعاني " ، فالمتصرف لهذه المعاني لا يخلو من أن يكون مثبتا لشيء ببعض تلك الاعتبارات أو مبطلا أو مساويا بين شيئين أو مباينا بينهما أو مرجحا أو مشككا ، و لا يخلو من أن يكون معمما أو خاصا حاصرا أو غير حاصر ، آخذ للشيء بجملته أو محشيا لبعضه "[4].

و ضمن هذه الثنائيات يختار المرسل ما يتوافق مع آرائه و أفكاره لتحديدها ، متخذا أشكالا متعددة تتوقف على عوامل نفسية و اجتماعية و ثقافية ، من بينها شكل المستخبر عن الشيء ، كالصحفي مثلا و ناقش قدامة بن جعفر مجموعة من الاستفهامات التي يصوغها هذا الصحفي للإجابة عنها في كتابة مقاله و هي تسعة أنواع : [5]

1-هل ؟ البحث عن الوجود .
2-ما ؟ البحث عن أنواع الموجودات .
3-أي ؟ الفضل بين الموجودات .
4-كيف ؟ أحوال الموجودات .
5-كم ؟ عدد الموجودات .
6-متى ، زمن الموجودات .
7-أين ؟ مكان الموجودات .

اللغوي حتى يضمن له بلوغ الهدف المقصود ، ينظر : حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، هامش ، ص : 190 .

[1]-القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1405 – 1985 ، ط6 ، ج1 ، ص : 49 .

[2]-سورة الأنعام ، الآية : 124 .

[3]-محمد عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، ص : 89 .

[4]-حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص : 31 .

[5]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 27 .

8-من ؟ أشخاص الموجودات .
9-يتم ؟ حلل الموجودات .
أما عن المخبر بالشيء ، آمرا أو ناهيا ، مفسرا أو شارحا ، و جازما أو شاكا أو غير ذلك من الأشكال ، فتقع بما يسميه حازم القرطاجني (684 هـ) بالتأدية ، و التي يقصد بها عادة ما قد يؤديه المرسل من رأيه إلى المخاطب و هذه التأدية تقضي بالمجابهة ما أسماه بالاقتضاء و هو قبول المتلقي للرسالة .[1]
و فسر أكثر هذه العلاقة (التأدية - الاقتضاء) من زاوية التكامل الحاصل بينهما ، باعتبار البساطة فيهما و التركيب إلى تقسيمها نحو ستة أقسام هي :
1-تأدية خاصة ← بث .
2-أو اقتضاء خاصة ← استقبال .
3-تأدية و اقتضاء معا ← بث و استقبال .
4-و تأديتان من المتكلم و المخاطب ← تفاعل و تبادل .
5-أو اقتضاءان منهما : فكان هذا يكون على وجهة من الجيدة بأن يقتضي المتكلم من المخاطب شيئا ، فيقتضي المخاطب من المتكلم شيئا آخر قبل أن يؤدي إلى المتكلم ما اقتضاه ← بث من الطرفان .
6-أو يكون مركبا من اقتضاء المتكلم تتبعه تأدية من المخاطب على وجهة السؤال و الجواب ← تفاعل على أساس السؤال و الجواب .[2]
و نظرا للاعتناء الدارسين بهذا العنصر ، و اهتموا بتسليط الضوء على عدة جوانب و افردوا له خصائص خاصة به من أهمها ما يلي :

3-الخصائص النطقية :

أن الاهتمام بسلامة النطق و مخارج الحروف ضرورة لضمان بيان الرسالة و إيضاحها و بلوغ المقصد من عملية التبليغ .
و من جهة أخرى توجد مجموعة من الظواهر ، التي من شأنها أن تحدث عجزا في الكلام فيتعسر بذلك على المتكلم تبليغ مراده ، و من بين الذين أشاروا إليه هذه الظواهر قدامة بن جعفر قوله : " ...وأن يكون لسانه سالما من العيوب التي تشين الألفاظ ، فلا يكون ألتع ، و لا فأفاء و لا ذا رثة ، و لا التمتام ، و لا ذا حبسة ، و لا ذا لقف ، فإن ذلك أجمع مما يذهب ببهاء الكلام و يهجن البلاغة و ينقص حلاوة النطق ."[3]
ثم شرح معاني هذه العيوب بأن :[4]
1-ألثغ : الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء .

---

[1]-ينظر : حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص:346 .
[2]-ينظر : المصدر لسابق، ص : 345-346 .
[3]-قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 111-112 .
[4]-ينظر : المصدر نفسه ، هامش 112 ، و أيضا الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص : 15 .

2-الفأفأة : الذي يكثر ترداد الفاء إذا تكلم .
3-ذا رثة : أي ذا عجلة في الكلام و قلة أناة ، وقيل الرثة أن يقلب اللام ياء .
4-التمتام : من يردد التاء في كلامه .
5-الحبسة : تعذر الكلام عند إرادته .
6-اللفف في الكلام ثقل وعي ، و رحيل ألف أي هي بطئ الكلام .
و يكتب الباحثان ستيوارت stuart وجود فري judfree عام 1970 عن تحديد الخصائص الفردية للصوت المنطوق حيث يلاحظان أن تقييم مميزات الصوت المتحدث أساسية في تفسير الرسالة كنتيجة للتطور الحاصل الذي وفر إمكانيات البحث.[1]

3-1-2-البيئة الاجتماعية للمرسل :

في إطار مفهوم البيئة التواصلية و تأثيرها يرى " بركو" إلى التأثيرات البيئية في عملية التواصل ، حيث يرى أن الأفراد هم نتاج خبراتهم و تأثيرات بيئتهم ، وبيئة الأفراد ، و هي تفرض عليه نمط التواصل ، و هي التي تقوم بتشكيل الاتجاهات و القيم و المعتقدات ، والفرد يتأثر بمن حوله ثم المجتمع .[2]
وهذا ما قد اعترف به الدارسون العرب منذ آلاف السنين حيث تحدث عنها الثعالبي (ت 429 هـ) في مقدمة كتابه " اليتيمة " في سبب اختيار للشعر باعتبار شكل من أشكال الرسائل قوله : "...أو لأنه شعر ملك ، أو أمير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب و العلم كثير و إنما يتفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائلة لا بكثرة طائلة "[3] و هذا الانتساب مرجعه الفرد المرسل سواء أكان متكلما أو متفننا [4] ، و المرجعية الفكرية و العقائدية منبتها النشأة و البيئة .

3-1-3-شروط المرسل :

و من ضمن الاهتمامات أيضا هو وجوب قدرة المرسل على توصيل رسالته الإعلامية فأصبح مجموعة من القيود و الشروط الواجبة فيه حتى يتمكن من أداء مهمته ، و نظرا لكثرتها و شتاتها في عدة مصادر ارتأينا أن

[1]-ينظر : صالح ابو خليل اصبع ، نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال ، ص : 86 .
[2]-ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير عالم الكتب القاهرة ، ط2 ، 2000 م ، ص : 79 .
[3]-ينظر : صالح خليل ابو اصبع ، نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصرة ، ص:86 عن الثعالبي ، اليتيمة ، ص: 07 .
[4]-إن الفرق ما بين المتفنن و المتحدث ، و هو فرق ما بين حديث كل يوم و الحديث الأدبي الأنيق ، ينظر : أمين الخولي ، فن القول ، صلاح فضل ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1996 ، ص : 258 .

نختصر منها ما قدمه بشير بن المعتمر في صحيفته[1] و التي تدل على إدراك واع للعملية التبليغية ، لخصها في نقاط صالح خليل أبو إصبع و هي كالآتي :

1-أن يختار لحظة نفسية مواتية ليبث بها رسالته الإتصالية .

2-يطالب المرسل بالبعد عن التعقيد لأن ذلك يستهلك المعاني و يشين الألفاظ .

3-ويطالب المرسل بأن تكون ألفاظه رشيقة و أسلوبه سهلا ، و أن تكون المعاني قريبة يعرفها المتلقي مهما كان مستواه .

4-إن مدار العملية الإتصالية لديه يتمثل في تحقيق المنفعة مع صواب ما تشتمله الرسالة بحيث توافق الحال فلكل مقام مقال .

5-يرى أن شروط إبداع المرسل في تقديم رسالته ، أن تكون لديه محبة ما يقوم به ، و لذا فإنه يرى أنه إذا كان يتكلف القول و يتعاطى الصنعة فعليه ألا يتعجل و يحيل فكره حتى ينتظر اللحظة المواتية ، إذا لم يستطع فإن الترغيب أو الترهيب لن يكون سبلا لإعداد رسالة ناجحة .

6-طالب المتكلم بالموازنة بين المعاني وجمهور المستمعين والحالات التي يتم بها توصيل الرسالة الإعلامية.

7-طالب المتكلم باستخدام لغة تتناسب مع الموضوع ومع جمهور المتلقين.[2]

وبالمقابل قد ركزت الدراسات الحديثة حول تحديد شروط نجاح المرسل في إيصال رغباته وأفكاره وركزت أكثر في البحث عن الشروط التي تجعل القائم بالتبليغ مؤثرا في إقناع الجمهور ومن بين الآلام الذين تحدثوا عن ذلك "الكستان"، واختصرها في العوامل الثلاثة التالية:

-المصداقية :

يعتمد مقياس مصداقية القائم بالتواصل على عنصرين أساسيين هما الخبرة وزيادة الثقة في القائم بالاتصال.[3]

وهذه المصداقية هي جزء من الموضوعية المطلوبة عادة في المخاطب لأنه بصدد طرح لرسالته وزيادة على ذلك التأثير فهي مدخل من مداخل الإقناع وقد لمح لها عبد القاهر الجرجاني في دلائل قوله: "بل إن أردت الحق، فإنه من جنس الشيء يجري به الرجل لسانه، ويطلقه، فإذا فتش نفسه وجد ما تعلم بطلانه، وتنطوي على خلافه، ذلك لأنه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فؤاد".[4]

---

[1]-ورد ذكر الصحيفة في كتاب " البيان و التبيين" ، للجاحظ ، ص : 90 و ما بعدها .

[2]-ينظر : المصدر السابق ، ص : 86-88 و أيضا قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 96 .

[3] - يتنظر: محمد عبد الحميد – نظريات الإعلام واتجاهات التأثير ص:96.

[4] - عبد القاهر الجرجاني، ص:102.

-الجاذبية:

نظرا لصعوبة قياس هذه الخاصية موضوعيا، فلقد ركز كثير من الباحثين على مجموعة من النقاط، كالتشابه والتماثل والمودة والاستنطاق، وكذلك الجاذبية العضوية، كدراسة ميلزوآرونسون في عام 1965 وانتهت هذه الدراسة إلى أن الجاذبية العضوية لها تأثير قوي في تغيير الآراء.[1]

ومن الطريف أن حازم القرطاجني، قد ساهم في ذكر بعض من أشكال ه ذه الجاذبي ة العدي د م ن الس ابقة، لأهميته ا وض رورتها قول ه "........والاستدراجات تكونت بتهيؤ المتعلم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستطاعته له بتركيزه وتقريضه، أو باطبائه إياه لنفسه وإحراجه على خصمه حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول".[2]

-السلطة :

أو ما تسمى قوة المرسل حيث ينجح هذا الأخير في التأثير وتغيير اتجاهات وسلوك الأفراد لما له قوة في ضبط أموره وقدرة على التدقيق والتمحيص.[3]

3-2-المتلقي :

في مرحلة تقذين البلاغة العربية نجد السكاني يحدد للمعاني تحديدا قائما عل ى المتلق ي العنص ر الأساس ي ف ي العملي ة الإبداعي ة والإقناعي ة، وك ان تتب ع خواص الكلم عنده بهدف في تطبيقه على ما يقتضيه الحال، يربط مقتضى الحال بالملتقي لأنه إما خالي الذهن وإما متردد في الحكم وإما منكر له.[4]

وعلى ضوء ما ذكر ومراعاة بمقتضى الحال البلاغة العربية فيما بعد المتلقي الذين يستقبلون الخبر إلى ثلاثة أصناف:

-خالي الذهن: الحكم منكر له ، فاستقبال المتلقي لجملة مثلا: (زيد قائم) إنما هي خيرية تؤكد أنه خالي الذهن، وقد يدخل على هذه الجملة مؤكدا كقولك إن زيدا قائم" وبالتالي يقصد بها المتلقي متردد في الحكم، أما إن كان منكرا فيجتهد المرسل بزيادة المؤكدات للجملة كقوله: إن زيدا كان منكرا فيجتهد المرسل بزيادة المؤكدات للجملة كقوله: إن زيدا لقائم.[5]

---

[1] -ينظر: المرجع السابق، ص 97.98.
[2] - عازم القرطاجي، المنهاج ص:64.
[3] - ينظر: محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير ص:99.
[4] - ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، 1994ط.1. ص: 244-245 عن السكاكي – مفتاح العلوم – ص:70.
[5] - ينظر: بن خلدون المقدمة دار الكتب العلمية 1413هـ-1993-ط1-ص570.

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Code de champ modifié

ونظرا لتعقد العملية التواصلية فهي تقتضي الاهتمام بأحوال المتلقي كعنصر أساسي فيها فإذا كان خالي الذهن من الجبر الذي يراد نقله إليه، استغنى المتكلم عن المؤكدات وأوردته رسالة دون اللجوء لما مؤكدات إليها، أما إذا لوحظ على الملتقي شيء من التردد لجأ المرسل إلى استعمال مؤكد واحد وإما إذا كان منكرا تم اللجوء إلى أكثر .

و قد أعطى القزويني (ت 739 هـ) دليلا توضيحيا من القرآن الكريم و شرحه في قوله تعالى : " و اضرِبْ لَهُمْ مَثَل أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الـمُرْسَلُون ، وَإِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اِثْنِين فَكَذَبُوهُمَا فَعَزَزَهَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا : إِنَا إِلَيكُم مُرْسَلُون قَالُوا : مَا أَنْتُمْ إِلَا بَشَرًا مِثْلَنَا ، وَ مَا أَنْزَلَ الرَحْمَانُ مِنْ شَيءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَ تَكْذِبُون ، قَالُوا : رَبَنَا يَعْلَم إِنَّا إِليكم لمرسَلُون "[1]

حيث قال في المرة الأولى : إنا إليكم مرسلون ، و في الثانية : إنا إليكم لمرسلون " [2]

فالجملة الأولى : " إن إليكم مرسلون " اسمية مؤكدة بأن ، و الجملة الثانية : " إليكم لمرسلون " جملة اسمية دخلا عليها مؤكدان هما " إن " و " اللام " الداخلة على خبرها ، و هذا التأكيد جاء بعد إنكار و إجحاف في قولهم : " مَا أَنْتُمْ إلَا بَشَرًا مِثْلَنَا " .

و لا يمكن لهذا التقسيم في حد ذاته ، و أن ينفصل عن المرسل لأنه هو الباث لهذه الجمل و الرسائل فالرابط وثيق بين المتلقي و المرسل مع إمكانية تقمص كل واحد منهما دور الآخر حيث يقول أبو مقبل بن درست :" إذ لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه ، و كان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه " [3] ، فبلوغ غاية التواصل تستمد من ذلك التكامل و التبادل بين طرفيها ، وقد أشار الجاحظ إلى قدرات المستمعين ، و أحوالهم الثقافية و الاجتماعية ، فعلى المرسل أن يراعي هذه القدرات و الأحوال سواء أكان جمهورا أم فردا متفاوت و متباين العادات و الميولات كي يضمن تحقيق هدفه من الرسالة تحت سلطة المقام ، يقول الجاحظ : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينهما و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، و يقسم أقدار

---

[1]-سورة يس الآية : 13-16 .

[2]-القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة كليات الأزهر ، مصر ، ط2 ، ج1 ، ص : 69 .

[3]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 385 .

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Code de champ modifié

المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[1].

و هكذا ينبغي أن يتناسب الكلام و حال المخاطبين به ، فيأتي وفق عقولهم و اعتبار طبقاتهم في الفهم و الثقافة مع مراعاة النزعة النفسية التي تتملكهم و تسيطر عليهم .

و من بين أشكال المستميعين " المتعلم " في إطار إستراتيجية التعليم و من ضمن اهتمامات العرب القدامى به ، ما ذكره الجاحظ في قوله : " و المفهم لك و المفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم و كذلك المعلم و المتعلم "[2].

كأن بالسامع يأخذ دور المستهلك للنص ، و لا يتطلب في رأيه من ذلك ، إلا حسن الاستماع و الفهم و الاستجابة للقصد ، ثم إنه لا يتمتع بوجود نمطي نموذجي ، كشأن الكاتب أو المتكلم ، إذ القارئ أو السامع من الصعب تحديد هويته لجهل انتماءه ، و كأن بالجاحظ يعتذر عن عدم اهتمامه بالمتفهم.[3]

و حتى يبلغ الكلام من النفوس و العقول مبلغ التأثير و الإقناع يشترط ما يسمى بالاستعداد لدى المتلقين ، الذي ينطلق في شكله الإيجابي من القبول إلى تحريك الوجدان و الانفعال ، فالإبداع (شعرا أو نثرا) و هو رجع الصدى ، و يثبت دائرية عملية التبليغ .

و هذا ما قد تطرق إليه حازم القرطاجني في " المنهاج " ، فقسم هذا الاستعداد إلى نوعين هما :

-أولا : استعداد بأن تكون للنفس حال و هوى قد تهيأن بهما لأن يحركها قول ما بحسب شدة موافقته لتلك الحال و الهوى كما قال المتنبي :

إنما تنفع المقالة في المر إذا وافق ت ه وى ف ي الفؤاد

ثانيا : هو أن تكون النفوس معتقدة في الشعر - إن كان القول شعرا - أنه حكم و أنه عزيم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلبها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة.[4]

فالاستعداد إذن بمثابة الأرض الخصبة المهيأة للزرع ، بمعنى ضرورة إدراك الكلام أثناء العملية التبليغية ، و هذا الإدراك ليس بعملية عفوية بحتة ، بقدر ما تقتضي من السامع انتقاء ما يروقه و يهزه من الموقف الكلامي و الإشارات الصوتية بمساعدة عوامل كثيرة منها :

---

[1]-المصدر السابق ، ج1 ، ص : 92 .
[2]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص :14 .
[3]-ينظر: حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص : 186 .
[4]-ينظر : حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص : 121-122 .

1-معرفة موضوع الكلام .
2-معرفة عادات المتكلم اللفظية .
3-معرفة سياق الكلام .[1]

و من أهم ما يلفت النظر في الدراسات البلاغية القديمة هو ذلك الاهتمام البليغ بالمتلقي و تقسيم أضافه بما قد نصطلح على تسميته بالمتلقي المباشر و غير المباشر ، أو كما اسماه العرب بالشاهد و الغائب .

و يقصد بالمتلقي المباشر بالشاهد ، الذي يتلقى الرسالة مباشرة و يتصدى لها ، أين يكون المرسل و الشاهد في إطار زماني و مكاني موحد و يظهر مثل هذا في التواصل الشخصي و الجماهيري عادة .

أما المتلقي غير المباشر أي الغائب : فهو الذي لا يستقبل الرسالة مباشرة و لكن عن طريق وساطة إما في إطار زمني واحد ، أو عبر الأزمنة و بمختلف الأمكنة ، حيث تبقى للرسالة مغزى ذاته و إن اختلفت الأجيال المستقبلية ، و أوضح مثال خطبة الرسول صلى الله عليه و سلم ، قوله: " فليبلغ الشاهد الغائب " .[2]

و قد كانت هذه الخطبة ملقاة على جمع من المسلمين على عهده ، يوصى بها من كان شاهدا وحاضرا ، و يحمل الشاهد أمانة تبليغ الغائب ، سواءا في زمانهم أو في الأزمنة الموالية و الشيء نفسه يقال ، عن جميع الوصايا و الحكم و الأمثال باعتبارها رسائل من نوع خاص و لأن المثال لها حدود لا نهائية لعدة قضايا دينية و دنيوية ، تهم الإنسان كجنس بشري .

3-4-الرسالة :

كانت الرسالة الإعلامية من ضمن اهتمامات الدارسين و شغلهم الشاغل ، باختلاف مواضيعها و أشكالها ، سواء اللفظية المباشرة أو المكتوبة و هو الرسالة القرآنية إلى غاية الكلام العادي اليومي ثم تفننهم في الشعر و الخطابة في التعبير و التوصيل ، وإن اختلفت أشكال الرسالة فقد قسمها قدامة بن جعفر إلى كلام منثور وشعر ، فأما المنثور منه فينقسم إلي أربعة أنواع هي :[3]

خطابة ، و ترسل ، وجدل ، و حديث .

و عليه وضعت بعض شروط الرسالة لنجاح التواصل هي :

أ-مراعاة المقام :

[1]-ينظر : حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ديوان الجامعية ، 1980 ، ط2 ، ص : 105 .
[2]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص : 252 .
[3]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 22 .

إن مراعاة المقام و الحال يعتبر عنوانا للعلاقة بين المرسل و المتلقي حيث ادرج البلاغيون تحت هذا العنوان ملاحظات كثيرة ، فيما ينبغي للمرسل أن يكون عليه و يراعيه من أحوال المستمعين .
و أما عن ملائمة الكلام لموضوعه فتتمثل في أي يأتي الكلام على شق شيئا كل الغرض الذي ينساق فيه ، فمثلا : الوعيد و الزجر و التهديد ، يقتضي ضخامة الكلام و جزالته بينما البشارة بالوعد ، و الاستمالة فتتطلب رقيق الكلام و لطيفه .[1]
و من المصطلحات التي وردت في البيان و التبيين ، مقابلة لمصطلح " مراعاة المقام " ما جمعها حمادي صمود في كتابه " التفكير البلاغي عند العرب " و قسمها إلى قسمين هما :[2]
القسم الأول : و يدل عليه " المقام " و " الموضع" و " الحال " ذو صبغة عامة يهتم بعلاقة المقال بالظرف العام الذي يتنزل فيه ، أطلق عليها الجاحظ عبارتي " مقدار الطاقة " و يقصد بها الزاد اللغوي و منزلته في العلم و العبارة الثانية " أقدار المنزلة " و يقصد بها السلم الاجتماعي و انتمائه الطبقي .[3]
كما يرتبط في هذا الجانب بالعامل النفسي الذي يساعد على تأدية المتكلم لوظيفته، أين يبلغ من السامع مقصده كقول المعمر ضمن نصائحه خذ من نفسك ساعة نشاطات وفراغ بالك وإجابتها فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا وأحسن في السماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ"[4].
فيتضح من هذا النص أهمية تقديم رسالة تراعي حالة المخاطب النفسية لتحقيق أهدافها من حيث لا يشعر المتلقي بالاغتراب عن هذا الموضوع.
أما القسم الثاني: فتدل عليه مصطلحات "المشاكلة" والمطابقة[5]و"الأقدار"أو "المقدار" وما جرى مجراها، وهذا القسم يهتم بالكلام في حد ذاته وما على المتكلم مراعاته في بناء الرسالة كقول القزويني شارحا إياها: "ومقتضى الحال مختلف، لأن مقامات الكلام متفاوتة الشعر مقام التأخير ومقام الذكر يداين مقام الحذف..."[6]
وشرح هذه المقولة تمام حسان في قوله: "...وعلى الرغم من أنثى أشم في كلام القزويني هذا رائحة المعيارية، وأورد نصه الذي سبق وأصرفه إلى المعنى الاجتماعي النابض بالحياة، فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا وإنما هو

[1]-ينظر : ربيعي محمد علي عبد الخالق ، البلاغة العربية و سائلها و غايتها .
[2]-ينظر : حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص : 209 .
[3]-ينظر : الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص : 92 .
[4] - الجاحظ: البيان والتبين ص :90.
[5] - ينظر: الجاحظ – الحيوان ج3،ص:366-368.
[6] - القزويني الإيضاح، ص 42-43.

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Code de champ modifié

جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه كما يعتبر السامع والكلام نفسه".[1]

ب-مضمون الرسالة وأثرها:

يرتبط محتوى الرسالة عادة بالقدرة على الإقناع فقد كان "أفلاطون" يعرف البلاغة أنها :"كسب عقول الناس بالكلمات"، وكان "أرسطوا" يرى البلاغة على أنها :"القدرة عقول الناس بالكلمات "وكان "أرسطوا" يرى البلاغة على أنها :"القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها".[2]

ولقد نسبوا إلى "برزجمهر" الحكيم المشهور كلمة فيها كثير من أصول البلاغة وعن مضمون الرسالة الناجحة وذلك قوله:"إن فضائل الكلام خمس، إن نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها، وهي أن يكون الكلام صدقا، وأن يوقع موقع الانتفاع به وإن يتكلم به في حينه وإن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقدار الحاجة، ورد بالصدد عن ذلك".[3]

ومعنى هذا النص أن الرسالة الإعلامية مجموعة من الظروف يجب توفرها، اختصرها في:

1-الصدق .

2-الفائدة (فائدة الخبر) .

3-الوقت المناسب .

4-حسن التأليف والتركيب .

5-أن يقع الكلام بين الإطالة المدخلة بالمعنى والاختصار المجحف .

وهذا ما قد أمعن البلاغيون العرب النظر فيه بتأكيد أهمية العناصر البلاغية التي يجب اتباعها في الاتصال الناجح، وفي تصميم الرسائل الإعلامية لتحقيق التأثير المطلوب، ومن ضمن هذه القواعد ما يلي:

أ-أن تقوم الرسالة بمخاطبة المتلقي حول أمور جديدة بالنسبة له وذلك بفائدة الخبر ولازم فائدة الخبر على حد قول القزويني:"من المعلوم أنه قائم، وسمي هذا فائدة الخبر، إما كون المخبر عالما بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك، (زيد عندك)، وسمي هذا (لازم فائدة الخبر)."[4]

---

[1] - تمام حسان الأصول ص:306.

[2] - ينظر: حسين عماد، مكازوي، بيلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة ص:187.

[3] - محمد عبد المنعم خناجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1 1992، ص: 63.

[4] - القزوين –الإيضاح ج1، ص : 65-66.

ب- الاهتمام بالألفاظ التي يتم استخدامها للتعبير عن المعاني لحسن إفهام السامع كقوة ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا، بإزالته عن موضوع اللغة "[1]

ج-الاهتمام بالجوانب العاطفية لتوصيل الرسالة، انطلاقا من تعريف البلاغة على أنها:"إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ".[2]

د-التكرار: تحدث الجاحظ عن التكرار وأثره في إيضاح المعنى واكتسابه كأسلوب إيجابي في الرسالة ويتوقف هذا النوع من الترداد في المعنى والألفاظ على قدر حاجة المستمعين وفهمه حتى لا يترك أثرا سلبيا في النفس خاصة الملل.[3]

وفي الصدد قسم حازم القرطاجي المعاني إلى "ضربين: صور متكررة وصور غير متكررة"[4]

كما تحدث عن أماكن إيجابية التكرار والترداد قوله:"التكرار لا يجب أن يقع في المعاني إلا بمراعاة اختلاف ما في الحيزين اللذين وقع بينهما التكرار من الكلام، فلا يخلو أن يكون في بأن يفهم المعنى أولا من جهة من جهات الإبهام".[5]

وأوضح فائدة: التكرار لمن أجاد التصرف والتحكم فيه باختلاف التراكيب والمواقف ليكون حسن الموقع من النفوس.

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد منه القول الفصل في هذا الشأن فلم يقصد به الإعجاز البياني حسب، بل يقصد به التأثير النفسي، لما يعلم الله تعالى من تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم وقصص الأنبياء مثلا والجزاء والعقاب الخ...[6]

هـ-التشويق مع تصميم الرسالة لتلائم السياق الذي تقال فيه، كتحديد المقدمة والعرض والخاتمة، ومما قيل في المقدمة: وتحسين الاستهلاكات والمطابع من أحسن شيء في هذا الصناعة، إن هي الطليعة الدالة على ما بعد ما المنزلة من

---

1 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص :11.
2 - ابن رشيق القيروان، العمدة (ج1-ص:392) النشر وأدبه.
3 - ينظر: الجاحظ، البيان والتبين ، ص: 82-83.
4 - جازم القرطاجني، المنهاج ، ص 35.
5 - المصدر نفسه، ص:36.
6 - محمد فريد محمود عزت، دراسات في فن التحرير الصحفي، في ضوء معالم قرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص:100.

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Code de champ modifié

القصيدة منزلة الوجه والغرة تزيد النفس يحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك".[1]

و-مراعاة العنصر الزمني في الرسالة :

يعتبر استخدام الزمن والتوقيت أحد العوامل الهامة في عملية التبليغ، وفي الحقيقة تعتمد ردود الفعل كلما تناول أعمالنا عموما و إلى حد كبير على اختيار التوقيت المناسب لكلامنا أكثر مما تعتمد على طبيعة مضمون الرسالة التبليغية.

وعلى الصحفي الناجح أو المتحدث العادي أو حتى المتقن أن يتحين الفرصة المناسبة لإرسال رسالته لا عبثا بقدر ما يكون غرضه الأول تحقيق الغاية المطلوبة، وقد أخبرنا الله عز وجل عن هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن في أوقاته المناسبة مواكبا الأحداث، قوله تعالى:"وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَ عَلَى النَاسِ عَلَى مَكَثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنْزِيلاً"[2] أي جعلنا نزوله متفرقا كي تقرأ على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلا أي الوقائع والأحداث والمصالح.[3]

5-3 الوسيلة (قناة التواصل) :

أدرك البلاغيون العرب وسائل التواصل بينهم وإن كانت غير متطورة البحث والاهتمام أيضا، وما على المتكلم سوى انتقاء أحسن السبل لتوصيل معانيه في بلوغ الغاية، وقد عددها الجاحظ في قوله:

"... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ: خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط، ثم الحال تسمى نصبة".[4]

وهكذا فقنوات التواصل هي:

1-لفظ-اللسان.

2-الإشارة

3-العقد

4-الخط-القلم-الكتاب

5-النصبة-دلالة الهيئة.

كما قسم هذه الوسائل في قوله:"ثم قسم الأقسام ورتب المحسوسات وحصل الموجودات، فيجعل اللفظ للسامع، وجعل الإشارة للناظر، وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقد (...)وجعل اللفظ دليلا على ما غاب من حوائجه عنه، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه، وجعله خازنا لها لا يأمن من نسيانه..."[5]

---

[1] -حازم القرطاجي، املنهاج، ص 309 .

[2] سورة الإسراء، الآية: 106.

[3] - ينظر: محمد فريد محمود عزت-دراسات في فن التحرير الصحفي، ص : 84.

[4] - الجاحظ: البيان والتبيين ص:57 وأيضا: الحيوان ص:33-34.

[5] - الجاحظ: الحيوان، ص : 45-46.

فالجاحظ يربط بين هذه الأدوات والحواس بالشكل التالي:
1-اللفظ السمع
2-الإشارة البصر
3-العقد البصر واللمس
4-الخط صلة بين الأجيال

أ-اللسان:

يعتبر اللسان عضوا بشريا، جمل من أثقال البشرية ألا وهو النطق لتوصيل ما أراده الإنسان تميزا بينه وبين الجماد فهو أداة ووسيلة أو قناة ربط بين اثنين، وهو من أقدمها وأكثرها استعمالا فمن صفاته الفصاحة، كتحدث الجاحظ عن العقد التي كانتا في لسان موسى عليه السلام حين بعثه الله بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجة والإفصاح عن أدلته حيث:"قال موسى عليه السلام : وقوله تعالى:"واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي"[1]،رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع".[2]

ومما جاء أيضا في تبيان قيمة اللسان كقناة تواصل ما ذكره الجاحظ: قوله :"وقال تبارك وتعالى:"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لَهُمْ "[3]لأن مدار الأمر على البيان والتبين وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما أنه كلما كان القلب أسند استبانه كان أحمد".[4]

فاللسان عادة ما يرتبط باللفظ المنطوق وحده في اتصال مباشر، حيث يتجاوزه في بعض الأحيان إلى أصوات أخرى كالآهات و الصرخات...و غيرها .

كما صبغ بعدة مواصفات أحد البلغاء في قوله:"اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن الضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وما كم يفصل به الخطاب، وناطق يزديه الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق، ومعز به الحزن، ومؤنس (...) وواعظ (...)،ومزين (...)، وزارع (...)، وحاصد (...)، وملهم (...)".[5]

وهكذا يتجلى أثره البالغ في القدرة الواضحة على مدى وصول المرسل إلى غاياته وحتى تغير مجرى الحوار والاتصال فيرتبط كما يتضح اللسان بالبيان

1 - الشورى الآية 13.
2 - ينظر: محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ: ص 125.
3 - سورة إبراهيم الآية:04.
4 -الجاحظ، البيان والتبين، ص14.
5 - المصدر السابق ، ج2 ص: 280.

وإيضاح المعاني لتوصيلها وإفهامها في منظومة لسانية سليمة مرتبطة بما يراد من القصد والنية.

ب-القلم (الخط) :

تحدث الجاحظ بإسهاب عن هذه الوسيلة كفضل الكتاب والكتابة بين الدفاتر والدواوين والكتب المختلفة، وله فضل في ديمومته عبر الأجيال والثقافات وسيلة تتوارث وتنأى عن النسيان في الذاكرة البشرية فقيل عنه "فالذات وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع، ونوه بذكر في المنصب الشريف حين قال "ن والقَلَمْ ومَا يَسْطُرُونَ"[1] فأقسم بالقلم كما لا أقسم بما يخط القلم، إذا كان اللسان لا يتعاطى شأوه"[2].

لأن الكتابة فضل يتعدى حدود الزمان والمكان إلى تخليد العلوم ونشر الأخبار كوسيلة إعلامية تواصلية لها مهمة في نقل تراث الحضارات وزيادة الإرث البشري من المعرفة وكحافظة لا يمكن الاستغناء عنها لأن"مقدار حفظ للناس لعواجل حاجاتهم و لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ولا يغني فيه غناء عمودا".[3]

فالخط أو الكتابة إذن أحد أنواع الدلالات اللسانية، وظيفته تسجيل الكلام والمحافظة عليه على أنه وسيلة للتعبير عن المعاني بواسطة الحروف المكتوبة.[4]

ج-الإشارة:

وقد يحدث التواصل باستعمال قنوات لها علاقة في استقبالها مع الحواس منها: "الإشارة"

فإدراك الأعراض الظاهرية والإحاطة بالمعرفة الحسية تتم عبر أعضاء جسمية ملموسة أجملها سبحانه في معرض حديثه عن خلق الإنسان قوله تعالى:"ثُمَّ سَوَاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ والأبْصَارَ والأفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرونَ"[5]

---

1 - سورة القلم الآية:01.
2 - الجاحظ الحيوان ص:48.
3 - الجاحظ: الحيوان ج1، ص 47.
4 - ينظر: محمد الصغير لبناني، التنظريات العامىة اللسانية والإبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص 78.

5 - سورة سجدة الأية:09

Mis en forme : Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial
Code de champ modifié

وكانت الغاية من السمع والبصر وغيرها هو التواصل مع العالم الخارجي لا تكتمل معرفته بما يدور مصداقا لقوله تعالى :"أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ".[1]

فالحواس هي مفاتيح لكشف الخبايا وإظهار النوايا تدرك من خلال استعمال الإشارات ليدرك المحسوس، ويفهم المقصود ويتم الإبلاغ والتواصل، وقد تحدث الجاحظ عن الإشارة وتناول كيفياتها، قوله، :"...فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثواب وبالسديف، وقد يتهدد دوافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا وادعا ويكون وعيدا وتحذيرا".[2]

كما عبر عن الإشارة برفع الحواجب، ولي الأعناق، وتحريك ملامح الوجه، وقبض جلدة الوجه وغيرها كثير.[3]

د-العقد:

هو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد، وقد ورد في الحديث "عقد تسعين".[4]

وشرحها الجاحظ على أنها حساب دون لفظ أو خط وذكر أدلة قرآنية تناولها الله عز وجل في آياته منها قوله تعالى :"فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا والشَّمسَ والقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ"[5]، وقال تبارك وتعالى:

"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيتين فَمَحُوْنَا آيَةَ اللَّيْلَ وجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارَ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِينِ والحِسَابِ"،[6]معرفة العباد لمعنى الحساب لما فهموا معنى الحساب في الآخرة.[7]

هـ-النصبة:

وهي ما ينصب لمعرفة الطريق ونحوه، فمن هذه الاعلامات يستدل الرائي على حالة المرء ونفسيته وحالته.[8]

1 - سورة البلد الآية: 08-10.

2 - الجاحظ البيان والتبين ص، 57.

3 - ينظر الجاحظ: الحيوان ص: 48.

4 - ينزر: شعيب مقنونين –فن القول وعلاقته بفنون الإيصال في النقد و البلاغة العربين قديما – مجلة كلية الآداب، ج2 نوفمبر 2000،ص:48.

5 - سورة الأنعام الآية: 12.

6 -الإسراء الآية 12.

7 - ينظر الجاحظ، البيان والتبين، ص 59.

8 - ينظر: شعيب مقنونيف، فن القول وعلاقته بفنون الايصال2 النقد والبلاغة

وعرفها الجاحظ على أن النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمثيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في السموات والأرض وفي كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاغن وزائد وناقص.."[1]

فكأنما يقصد بها الهيئة التي تلبس صاحبها معنا خاص به دلالة يفهم منها، وأعطى الجاحظ مثال على ذلك، قوله:"قال بعض الخطباء: أشهد أن السموات والأرض آيات وشواهد قائما، كل يؤدي عنك الحجة ويعرف عنك بالربوبية".[2]

ومن الواضح عند مقارنته ما قدمه الجاحظ، وأفاض في شرحه من وسائل التواصل، له المحدثون اللغويون أن هناك تشابها من حيث المبادئ العامة لهذا العلم كالتي تتعلق بأنواع وسائل ودلائل الإفهام والإيصال والتبليغ وتحديد بعض ضوابطها وأحكامها.

3-4-القصد:

يعتبر القصد أو الغرض اللبنة الأولى ونقطة الانطلاق لأي عملية تواصل حيث يرسل المرسل مرسلته لغرض ما يبتعد عادة عن الهباء والعبثية، فهو بمثابة محرك التفاعل بين هذه الأطراف بل أنها الهدف الذي تسعى هذه الأطراف إلى تحقيقه.

" ويظهر مثل هذا المفهوم الذي يعرف بالمقصدية لدى علماء النفس الظاهرتين، والتداوليين وفلاسفة اللغة".[3]

فأما عن هؤلاء الفلاسفة يمكن أن يصنفوا إلى تيارين:

أ-كرايس ومدرسته: تشير هذه المدرسة إلى وجود أنواع للمقاصد هي:

أ-1-يقصد يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم

أ-2-مقصد يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم

أ-3-مقصد يعكس هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما.[4]

ثم أعطى مثالا توضيحا حول هذه الأنواع كقولنا لأحد الناس :"اقرأ"فالفعل الكلامي" اقرأ " يعني:[5]

---

1 - الجاحظ البيان والتبين، ص 59.

2 -المصدر نسه، ص:59.

3 - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب ط2 1986-ص:163.

4 - ينظر المرجع نفسه، ص 164.

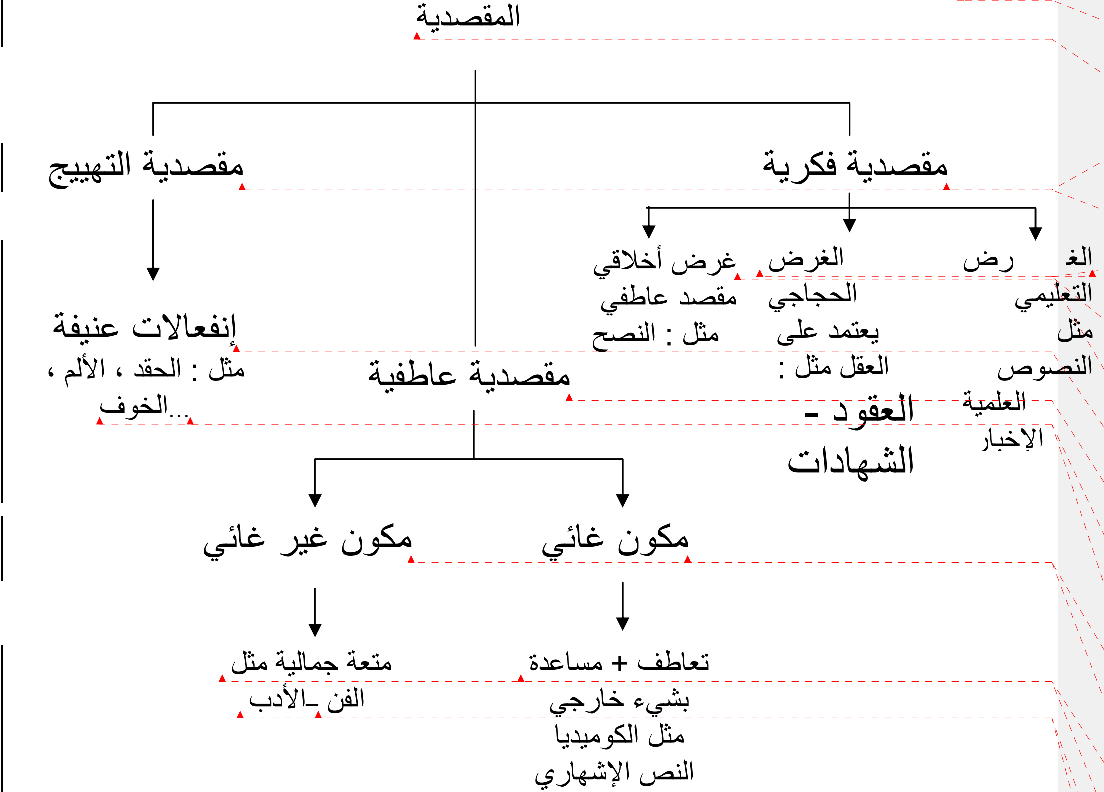
5 - ينظر المرجع السابق، ص 164.

*مقصد أولي: يتجلى في رغبة سماع القراءة
*مقصد ثانوي: المأمور (التلقي يعترف برغبة المرسل)يعترف برغبة المرسل في سماع القراءة.
*مقصد ثلاثي: يريد المرسل (الأمر) أن ينتج عنه تلبية (غالبا) أو رفض (قليلا).[1]

سورل: انطلق من أن كل عمل هو حدث ناتج عن سبب راجع إلى عامل (agent) فقسم المقصدية إلى:
-القصد الذي وراءه وعي .
- القصدية التي تجمع بين الوعي واللاوعي أي بالحالات العقلية مثل الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب ... ، ومع ذلك هناك حالات ليست وراءها أي مقصدية مثل النرفزة والاكتئاب ... الخ.[2]
وهكذا فإن سورل جمع بين الحالات النفسية و الحالات العقلية كدافع لأي نوع من المقاصد، وهذا ما قد يذكرنا إلى حد رما قول حازم القرطاجني في قوله :"والارتياح للأمر السار إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرك إلى المدح والارتاص للأمر الضار، إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أغضب فحرك إلى الذم، وتحرك الأمور غير المقصودة من جهة ما تناسب النفس وأثرها ومن جهة ما تنافرها وتضرها".[3]
فالنفس ورغباتها هي المحرك الأساسي الذي يسبق تبليغ الرسالة بمختلف أغراضها ودلالاتها فكما هي سابقة للمدح والإرتياض هي أيضا سابقة للذم والغضب، فإذا كانت المرسلة اللغوية نابعة من القلب يسبقها قصد ينطلق من المعتقدات العاطفية، فسوف يصل بنفس حرارته إلى المرسل لأنه قد تدخلت فيه خليط نية من العوامل النفسية والعاطفية، أما إذا كانت الحديث إجهاضا للآذان فهو لن يتجاوزها ولن يجد لها أدنى صدى لأن "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان".[4]

[1] –إن تواصل كرايس ميكانيكي إعلامي مثالي و تم نقده على أنه هناك حالات أخرى لا يتحقق فيها هذا التواصل ، فقد يقصد المرسل عرضا معينا ولكن المتلقي لا يدركه مثل: ترك الضوء موقدا في المنزل إيهاما للسارق بأن في المنزل أهله ينظر المرجع نسه ص:165.
[2] - ينظر المرجعالسابق ص : 165.
[3] - حازم القرطاجني، المنهاج ، ص:11-12.
[4] -الجاحظ البيان و التبين ج1 ص:61.

وهذا ما توجهت به البلاغة نحو الأثر التداولي في تميزها منذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية التي تتأرجح ما بين الفكر والعاطفة، ويمكن تلخيصها في المخطط التالي:[1]



[1] - ينظر: هنريس بيث" البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، محمد العمري، منشورات دراسات سال ، ص : 18/17.

ومن الأعلام الذين تحدثوا عن المقاصد في البلاغة العربية نذكر عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز سواء عند الشعراء أم غيرهم.[1]

في قوله: "أن أخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم".[2]

وهكذا لوحظ أن مقصديه المتكلم عند الجرجاني تغير في جميع الأحوال أن المتكلم يملك زمام التحديد القبلي للمعاني المراد توصيلها وتبليغها القارئ أو السامع.[3]

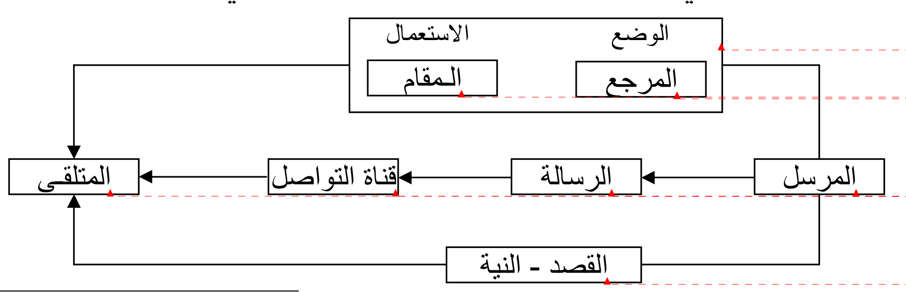
فالمقصدية من وجهة الجرجاني تلعب دورا أساسيا في أحداث التفاعل اللغوي، ومدى قابلية المتلقي لاستقبال وتحويل هذه المقاصد التي تلبس في شكل ألفاظ أو إشارات إلى معاني.

كما ميز الجرجاني بين نوعين منك المقصدية هما:

أ-مقصدية الخبر العادي: وهي مقصدية مباشرة وعادية من أي محاولة لاخفاء الغرض

ب-مقصدية الإبداع الأدبي: غير مباشرة لأنها تتوصل بشتى ضروب المجاز والإشعارات والكنايات.[4]

ومن ضمن الاهتمامات أيضا لهذا العنصر ظهر الغرض كعلة غائبة عند حازم القرطاجني وتبدو في ما يسميه الأغراض الأولى وهي المعتمدة على التأثير والتحريك لقبض النفس أو بسطها ليعتبر القصد أمرا محوريا في القول الشعري وهو هدف تواصلي يستحضر المتلقي أثناء الإبداع،[5]يقول مؤكدا ذلك:"إن للشعراء أغراضا أول هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثيرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها و يبسطها أو ينافرها ويقبضها ومن هذه العناصر التي قد مناها، نحاول استحضارها في الشكل التوضيحي التالي:



---

[1] -ينظر حميد الحمداني، القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي دار البيضاء المغرب ط1 2003-ص35.

[2] - عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص 98.

[3] - ينظر حميد حمداني القراءة وتوليد الدلالة ص:105.

[4] - ينظر المرجع نفسه ص 105.

[5] - ينظر: فاطمة عبد الله الوهيبي نظرية المعنى عند حازم القرطاجني المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط1، 2002،ص194.

4-وظائف التبليغ في البلاغة العربية:

أدرك البلاغيون العرب القدامى بعضا من وظائف الكلام، إلا أنها لم تتسم بمنهج متناسق بل كانت في شتات كتبهم ومؤلفاتهم والحديث عن هذا الموضوع ومن وجهة البلاغة العربية يقتضي من مساءلة ما نستطيع على ما يحتوي عليه تراثنا البلاغي، ذلك أن تحديدها خاضع لوجهات نظر مختلفة ومتعددة.

و إن كانت نقطة بدايتها البلاغة، وفي الوقت ذاته إلى ذلك التداخل في المفاهيم في نصوصه التي تتم دراستها جزئيا لاستخلاص الأسس العلمية الحديثة من الدراسات اللغوية، ومن ضمن هذه الوظائف نذكر:

4-1-الوظيفة الإعلامية:

إن الغرض البلاغي هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، كما يحدث في الاتصال الإعلامي، بوسائله المختلفة.

وقد تحدث عنها تمام حسان في قوله:"لقد صرف البلاغيون معظمهم دون شك إلى الوظيفة الإعلامية للغة، وربطوا ذلك قدر الإمكان بالتركيب ذكرا وحذفا وتقديما وتأخيرا"[1].

ويقصد بالوظيفة الإعلامية الوظيفية الإخبارية، أين يسعى الباث إلى تبليغ الأخبار لإفادة المخاطب وإعلامه بمضمون الرسالة وهذا ما أفاض فيه إخوان الصفا والوفاء إذ أكدوا أن كل كلام رلا معنى له فلا فائدة منه وكل معنى لا يمكن التعبير عنه فهو في حكم العدل وشرحوا ذلك في قوله:"والغرض من الكلام تأدية المعنى وكل كلام لا معنى له فلا فائدة للسامع منه والمتكلم به وكل معنى لا يمكن أن يعبر عما في نفسه فهو كالعديم الزائل أو الجماد الصامت"[2].

وتبقى إشكالية واحدة هي كيفية إدراك مدى فائدة الخبر لدى المتلوث حيث تبقى بين ثنائية الشك واليقين فيما يفيد بعضهم قد لا يفعل مع بعضهم الآخر، وهذا ما قد اصطلح على تسمية بنسبة القيمة الوظيفية"[3].

---

[1] - تمام حسان الأصول ، ص:348.

[2] -رسائل اخوان الصفا و خلان الوفاء دار بيروت 1403هـ-1983هـ مج ص:108-109.

[3] - ينظر: عبد السلام مهدي، عبد القادر المهيري، حمادي محمود، النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر 1988 ص19.

وقد التفت الجاحظ أيضا إلى هذه الوظيفة في قوله: "فحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد،لاحتياج الأدنى إلى معرفة الأقصى واحتياج الأقصى إلى معرفة الأدنى (...)وجعل حاجتنا إلى معرفة أخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا إلى أخبار ومن كان قبلهم، وحاجة من يكون بعدنا إلى أخبارنا"[1] فهذه الحاجات المتوارثة، هي توارث الأخبار والإعلام بين مختلف المتصلين.

2-4 الوظيفة الإقناعية:

يستهدف التواصل الإقناع بفلسفة محددة، أو رأي معين، وهو ما يحدث في الاتصال الإقناعي.[2]

وعن هذا المفهوم عبر بنفيست Benveniste (ت1970): إن المتكلم يستخدم اللسان للتأثير بطريقة ما على سلوك املخاطب، وله من أجل ذلك النظام من الوظائف،فهناك أولا: الاستفهام الأمر، الإخبار،...".[3]

وبالتالي فالوظيفة الإقناعية تتجاوز حدود الإبلاغ، لأنها تتعدى حدود الحاجة للتعبير إلى الحاجة في التأثير تغير سلوك الطرف الآخر، فعلى المتكلم إذن أن يكيف خطابه حسب متطلبات الشخص المتلقي وللإقناع عدة تقنيات ذكر منها الاستفهام والأمر والأخبار وغيرها كثر، وهذه التشكيلات هي وسائل لتحسين النصوص والإبداعات الفنية الموجودة في البلاغة كالتقديم والتأخير، الحذف الكناية، إلى غاية التأثير والإقناع في القارئ أو المستمع، وهذا ما قد نصطلح على تسميته بالتبليغ الإقناعي مقابل "التواصل الإقناعي"وهو ما يسعى إلى إقناع أحد الطرفين بأفكار الآخر، ويتجلى ذلك من خلال سلوكاته وانفعالاته ومثل هذه الدراسات كانت ولا تزال اهتمام الأبحاث الغربية خاصة أبحاث كارول هوفلاند houlond التي استهدفت معرفة الأساليب التي تحدث التأثير المنشود.[4]

وأما عن الإقناع في البلاغة العربية فقد وقع السيف إلى أن جاء المعجزةالربانية أي القرآن الكريم بإعجازه الشامل لما فيه من أوجه الإقناع العجيبة بمختلف الاستهلاكات (الجزاء والعقاب).

أما عن البلاغة فمن خلال ما ذكرنا من تعاريف ومفاهيم[5]، تدل على مدى ارتباط هذه الوظيفة بالبلاغة وما يحضر ما جاء به أبو حيان التوحيدي (ت414هـ) في الامتناع والمؤانسة في حديثه في الليلة السابعة عن فضل البلاغة فيقول:"في الجامعة لتراث العقل، لأنها تحق الحق وتبطل الباطل على ما يجب أن

---

[1] - الجاحظ، الحيوان، ص 43.

[2] - ينظر عبد المنعم خفاجي عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد ص،92.

[3] - Benvensite:"Probleme de linguistique general T2. Guallnand Pqris. p85.

[4] - ينظر صالح بن مويزة البرهنة في النص الصحفي، المجلة الجزائرية للاتصال للعدد 2 1992 – ص 97.

[5] - ينظر الفصل: ص

يكون الأمر عليه، ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف وأغراض تأتلف، وأمور لا تخلوا أحوال هذه الدنيا منها خير وشر وإذاء وعدل وعدول ، وكفر وإيمان..."[1]

فمن خلال هذا النص تقع الوظيفة الإقناعية بين الثنائيات المتناقضة من (حق وباطل) (خير وشر)، (عدل وعدول) (كفر وإيمان)

فبقدر استعمال البلاغة واستغلال أغراضها استطاع المتكلم من استمالة المخاطب والتأثير فيه، بوظيفة إقناعية، إذ أنها الوسيلة التي بها توصيل المعلومات إذ تقوم بإحقاق الحق وإبطال الباطل وكذلك تحق الباطل وتبطل الحق.

4-3 الوظيفة التعبيرية:

ذلك أن البلاغة قد تتخذ طابعا تعبيريا في الفن والأدب بهدف التعبير عن الآراء والأفكار واتجاهات والمشاعر.[2]

وهذا التعبير تتفرع منه وظائف خاصة كالوظيفة الشعرية أو ما تسمى بالوظيفة الإبلاغية التي تتم بالجاذب الجمالي للنص الأدبي إذ تعتبر الإبلاغية جوهر البلاغة لأن اللغة الأدبية مسرحها ومركز أداتها.[3]

ويعتبر مصطلح "expression" ترجمة حرفية لمصطلح الإبلاغية وهو متداول في المؤلفات والدراسات يقابل مصطلح "التعبير"[4]

ويقصد بها مجموع الشحنات النفسية والقيم الانفعالية ذات القوة التأثيرية على المتلقي.[5]

وممن اهتم بالوظائف الفنية أيضا في نظرية التواصل (roue pessreu) و قسمها إلى ثلاثة أفراد كل واحد بمصطلح خاص:[6]

النمط الأول: موضوعه دراسة عملية الخلق الفني ذاتها وسماه "poietique"

النمط الثاني: يهتم بالأثر من "زاوية متقبلة" وخصصه بمصطلح "esthique"

النمط الثالث: قائم بين النمطين تقوم حوله علوم الفن "sciences de l'art" وموضوعها دراسة البنى النوعية للأثر" .

4-4الوظيفة الانتباهية "الإفهامية":

---

[1] - ينظر: صالح خليل أبو صبع نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر، ص:75 عن أبو حيان التوحيدي الامتناع والمؤانسة.

[2] - ينظر: عبد المنعم خفاجي عبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد ص،92.

[3] - ينظر: سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص 37.

[4] - ينظر: محمد كشاش اللغة والحواس هامش: 81.

[5] - ينظر سمير أبو حمدان الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية بيروت باريس ط1 1991 ص 37.

[6] - ينظر: حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب ص: 184 .

وهي أن يستعمل المرسل بعض من الأدوات اللغوية لاستفزاز انتباه السامع و استمراريته و هده الوظيفة متوفرة في تراثنا العربي ، لاهتمامه بالمخاطب بل و تعدى هدا إلى تهيئة المخاطب حتى قبل إحداث التواصل لجذبه واستمالته وضمان إقباله عليه، وقد تحدث عنها ابن جني في قوله:
أولا: تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر أراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له: يافلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه ، وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه، أو نحو ذلك"[1]
وممن تحدث أيضا عن هذه الوظيفة المبرد، وعبر عنها باسم "الاستعانة" ويعرفها قائلا:"فهو أ، يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظما [أووزنا] إن كان في شعر أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منشور، كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة، قولهم:ألست تسمع؟ أفهمت؟ أين أنت؟ وما أشبه هذا ..."[2]
والأمثلة عن هذه الوظيفة كثيرة في تراثنا، لإدراك خطابانا العرب لأهميتها في استفزاز آذان المستمعين وإعادة استحضار عقولهم، كخطبة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم التي تبرز فيها هذه الوظيفة من خلال تكراره لعبارته المشهورة "ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد "سبع مرات لا يقاض انتباه المستمعين واستمرار تواصلهم.

5-أنواع التواصل في البلاغة العربية :

للتواصل -التبليغ- أنماط عديدة تم تقسيمه إلى أقسام قد ذكرنا شرحها ، وفسرنا كيفيتها ، و قد تنبه علماء البلاغة العربية إلى ما ذهب إليه العلماء المحدثون من تقسيم التواصل إلى أربعة أقسام كتقسيم رويش ruesch و بيستون bateson و الذي يتفق إلى حد كبير مع تقسيم قدامة بن جعفر ، صاحب كتاب "نقد النثر "[3] في قوله : " و البيان على أربعة أوجه ، فمنه بيان الأشياء بذواتها و إن لم تبين بلغاتها ، و منه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة و اللب و منه البيان الذي هو نطق باللسان و منه البيان بالكتاب "[4].

5-1-التواصل الذاتي (التبليغ الذاتي) :

[1] - بن حني الخصائص ج1 ص: 243-246.
[2] - المبرد-الكامل محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ج1، ص 30-31.
[3]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، مكتبة ناشرون لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان 2000 ، ص : 11 .
[4]-قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 09 .

و هو تواصل الفرد مع ذاته، وهو يتمثل في الشعور و الوعي و الفكر و العمليات النفسية الداخلية و حتى التأمل [1] ، و هذا النوع من التواصل تحدث عنه جعفر بن قدامة ، قوله :   " فالأشياء تبين للناظر المتمسك و العاقل المتبين بذواتها و بعجيب تركيب إليه فيها و آثار صيغته في ظاهرها ، كما قال عز و جل : " إنَ فِي ذَلكِ لآياتٍ للمُتَوَسِمِين " [2]و قال : "و لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُون " [3] " [4]

و بهذا فالتواصل الذاتي له أدواته الخاصة ، و قنواته المتميزة منها حاسة البصر كرابط بين ما بداخل الإنسان و العالم الخارجي ، و كوسيلة للاندماج بين العالمين الداخلي و الخارجي ، و قدرة العقل للتمييز و التفكير و ترجمة ما تبصره الأنظار و أخذ العبرة منها :

و الأمثلة عن مثل هذا النوع من التواصل في القرآن الكريم كثيرة ، كصورة واقعة مؤثرة في عدة مواقع من بينها ذلك الصراع الداخلي الذي وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام في صورة حوار داخلي من خلال التأمل في خالق الكون و البحث عنه من بين الكواكب ، ليصل في النهاية إلى الله سبحانه و تعالى ، وقد جاء هذا الحوار في الآيات (75-79) من سورة الأنعام في قوله تعالى [5] :

" و كَذَلِكَ نَرَى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَمَاوَاتِ و الأَرْضِ و لِيَكُونَ مِنْ المُوَقَنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَيْلَ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِي " .

: فَلَمَا أفَلَ قال : لا أحبَ اللآفلينَ "

" فلَمَا أفَلَ رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِي "

" فَلَمَا أفَلَ قَالَ : لا أُحِبُ الآفِلِين "

" فلَمَا أفَلَ رَأَى القَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِي "

" فَلَمَا أفَلَ قَالَ : لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِي لأَكُونَنَ مِنَ القَوْمِ الضَالِينَ "

" فَلَمَا رَأَى الشَمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِي هَذَا أَكْبَرُ "

" فَلَمَا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِي بَرِئٌ مِمَا تُشْرِكُونَ * إنِي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَذِي فَطَرَ السَمَوَاتِ و الأَرضِ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ " .

و في تقديرنا لهذا النوع من التواصل الداخلي أنه تم باستعمال حاسة البصر و استنطاق الجماد ، فإن كانت هذه الكواكب من قمر و شمس و غيرها لم تجبه بلسان فقد أجابته بلغة حالها و حركتها ، " فهي و إن كانت صامتة في أنفسها فهي

---

[1]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص : 11 .

[2]-سورة الحجر الآية : 75 .

[3]-سورة العنكبوت الآية : 35 .

[4]-قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 09 .

[5]-ينظر : محمد فريد مجمود عزت ، دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية ، ص: 227 .

ناطقة بظاهر أحوالها ، و على هذا النحو استنطقت العرب الربع و خاطبت الطلل (......) قال الشاعر :

يا ربع بشرة بالجانب تكلم و أين لنا خيرا و لا تستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشا حلقا كحوض الباقر المتهدم

فاستنطق مالا ينطق بلسانه ، لأن أحواله مظهرة لبيانه "[1]

و الجدير بالذكر أن هذا النوع من التواصل قد تم تقسيمه في الدرس البلاغي إلى قسمين هما : الاعتبار و الاعتقاد ، حسب ما طرحه قدامة بن جعفر في قوله : " و إنما تعبر هذه الأشياء لم اعتبر بها ، و تبين لمن طلب البيان منها ، و لذلك جعل الله الآية لمن توسم و تفكر و عقل و ذكر ، فقال : " إنَّ في ذَلكَ الآيَاتٍ للمُتَوسمينَ " ، " إنَّ في ذَلكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِرُونَ " [2]، " وَ إنَّ في ذَلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[3]" و إنَّ في ذَلكَ لآيةٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَرونَ " ، فهذا وجه بيان الأشياء بذواتها لم اعتبرها و طلب البيان منها " [4]و هذا عن الاعتبار أما عن الاعتقاد ، فشرحه في قوله : " ...فإذا حصل هذا البيان للمتفكر صار علما بمعاني الأشياء ، و كان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان و خص باسم " الاعتقاد "[5]".

أولا : الاعتبار :

و ينقسم هذا النوع بدوره إلى وجهين من وجوه البيان منه ما هو ظاهر ، فيقول : " إن الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس ، كتبيتنا حرارة النار و برودة الثلج على الملاقاة بهما ، وأما ما أدرك بنظرة العقل التي تتساوى العقول فيها مثل تبيننا ، أن الزوج خلاف الفرد ، وأن الكل أكثر من الجزء "[6]

و هذا النوع يتميز بالشمولية و الموضوعية يعرفه العامة و الخاصة لظهوره و بيانه و جلاءه في الأعين ، باعتبارها مدركات مجردة لا يتدخل فيها أي نوع من الانفعالات النفسية الخاصة بالمرسل فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه و الاحتجاج له ، لأنه لا خلاف فيه "[7] .

1ـ قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 10 .

2ـ الرعد الآية : 03 .

3ـ الرعد الآية : 04 .

4 ـ قدامة بن جعفر، نقد النثر،، ص : 11 .

5ـ المصدر نفسه ، ص : 11 .

6ـ المصدر نفسه ، ص:18 .

7ـ المصدر نفسه ، ص : 18 .

و من الطريف أن يتفطن البلاغيون العرب لمثل هذا النوع أمثال قدامة بن جعفر في حين تناوله الدارسون حديثا كما نموذجه الخاص بالاتصال الذاتي ، حيث توجد مدركات عديدة للكائن الحي ذكر منها:[1]

أولا : الدلالات العامة : و هي مدركات خارج سيطرة الأفراد الذين يقومون بملاحظتها و قسمها إلى :

أ-دلالات طبيعية : أي التي يفرها لنا العالم المادي بدون تدخل من الإنسان كالحرارة و الرطوبة ، و الخصائص البصرية و الملمسية للمعادن ، و أشكال الطبيعة و غيرها .

ب-الدلالات المصنوعة : التي تنتج عن تعديل الإنسان للظروف المحيطة به و تأثيره عليها كتحويل الخشب إلى أثاث ...الخ .

ثانيا : الباطن :

في قوله : " و الباطن ما غاب عن الحسي ، و اختلفت العقول في إثباته (...) و الباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، و يعتبر بوجوه المقاييس و الأشكال و للطريق إلى علم باطن الأشياء و ذواتها و الوقوف على أحكامها و معانيها من وجهتين و هما : القياس و الخبر "[2] .

يذهب البلاغي إلى أن هذا النوع الخاص بالانفعالات الداخلية التي قد تحدث عنها بارناند بمصطلح " الدلالات الخاصة " و يقصد بها : الإحساس و الأم أو الشعور بالضيق أو السعادة أو غير ذلك و هذا النوع من الدلالات متوفرة فقط للفرد الذي يدركها و ليست متوفرة لأي شخص آخر "[3].

بمعنى أن " الباطن " ما يمتلكه المرسل من رصيد معرفي يحتجب عن الآخرين ، ذا عمق و ثراء داخلي من معاني الانطواء و العزلة و التأمل و التفكير و الضمير و غيرها ، ليتوحد المرسل و المستقبل في شخص واحد .

و قد تم التحدث عن هذا المعنى في الدراسات الحديثة باسم المونولوج أو الحديث الداخلي ، و ليس القصد منه الاتصال بقدر ما هو تنفيس عن الكرب ، إلا إذا افترضنا على غرار ما فعل سابير ، أن : " المتكلم و السامع مجان في شخص واحد يمكن أن يقال عنه بأنه يوصل الأفكار إلى نفسه "[4]

1-ينظر : وجهان رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص : 101 .

2-المصدر السابق ، ص : 18 .

3-ينظر : جيهان رشى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص : 102 .

4-ينظر : حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص : 67 عن

Sapir (E) : « Le langage » , traduction francais par guillenin , Paris , 1953 , P : 25 .

و بالمقابل نجد ما نسميه " بالمناجاة " أي مناجاة العبد لربه بالدعاء و التسبيح و الاستغفار و الصلاة ، بغض النظر ما إذا كان هذا السلوك اللغوي الديني حوار متصل الأطراف أم لا .[1]

أما عن طرق التواصل " الباطن " فقد أحصاها قدامة بن جعفر في طريقتين هما : القياس و الخبر و حجيته في القياس قوله عز و جل : " فاعْتَبِرُوا يَا أولي الأبْصَار " [2] ، وكذلك ما جاء في كتاب الله من قصص و عبر ، أما عن حجته في الخبر ، قوله عز وجل : " فاسَألوا أهْلَ الذِكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون "[3] و قوله أيضا : " فاسَألْ الذِينَ يَقْرَؤَونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ " [4] و غير هذه الآيات و الأدلة كثير .[5]

ب-الاعتقاد :

أما بيان أو تواصل " الاعتقاد " قال عنه قدامة بن جعفر :

" قد قلنا : إن الأشياء إذا بينت بذواتها للعقول و ترجمت عن معانيها و بواطنها للقلوب صارما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة و علما مركزين في نفسه " [6] و هذا الارتكاز القائم في النفس ناتج عما تبين للأبصار في إطار اجتماعي كترجمة للمعاني ، ليكتسب دلالات و مدركات خاصة به على أن هذا الفرد هو عنصر فاعل مصغر للمجتمع يرتبط به ارتباط الأخذ و الرد ، و انطلاقا لهذه الدلالات قدم بارناند نموذج للتواصل الذاتي على النحو التالي :[7]

دلالات خاصة (+ ، -)

دلالات خاصة (+ ، -)

فرد

دلالات سلوكية
غير لفظية خاصة (+ ، -)

---

[1]-ينظر : المرجع السابق ص : 68 .
[2]-سورة الحشر الآية : 02 .
[3]-سورة الأنبياء الآية : 07 .
[4]-سورة يوسف الآية : 94
[5]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 19-20 .
[6]- المرجع نفسه ص : 37 .
[7]-ينظر : جيهان رشى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص: 100 .

أما عن أضرب هذا النوع ، فقسم إلى ثلاثة و هي :

-حق لا شبهة فيه " علم اليقين " : و يقصد به .[1]

-ما ظهر من مقدمات طبيعية كارتفاع حرارة المريض عند توقد اللون و سرعة النبض ...

-ما ظهر من مقدمات ظاهرة في العقل : كتساوي الأشياء إذا كانت مساوية لشيء واحد...

-ما ظهر مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم .

-المشتبه الذي يحتاج إلى التثبت فيه .[2]

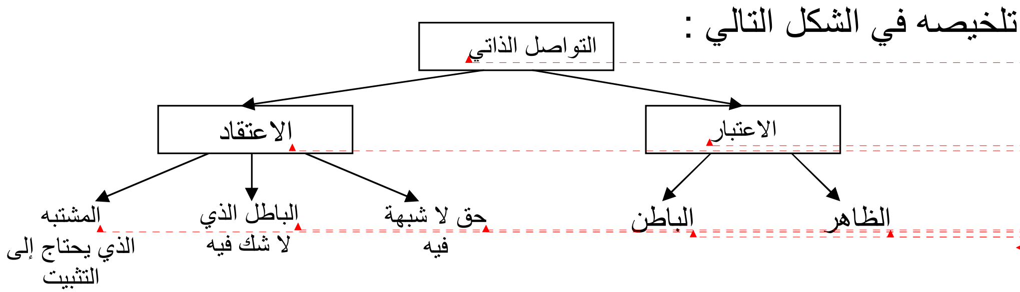
" فكل فتيجة ظهرت عن مقدمات غير طبيعية و لا ظاهرة للعقل بأنفسها و لا مسلمة عند جميع الناس ، بل تكون مسلمة عند أكثرهم ، أو تظهر للعقل بغيرها و بعد الفحص عنها و الإستدلال عليها ، و ذلك كرأي كل قوم في مذاهبهم و ما يحتجون به لتصحيح اعتقاداتهم " .

-الباطل الذي لا شك فيه .[3]

و للعرف و العادة ، كإخبار النصارى عن المسيح بأنه كان بشرا فصار إلاها .

و في الحديث عن ثنائية الحق و الباطل ، ذكر قدامة بن جعفر بعض الأدلة القرآنية ، كقوله عز و جل : " وَ قُلِ الحَقَ مِنْ رَبِكُمْ " [4] ، و قال : أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم ميثاقَ الكتابِ أَنْ لا يَقُولَ عَلَى الله إلا الحَقَ و دَرَسُوا مَا فيه " [5] و قال تعالى : " و قُلْ جَاءَ الحَقُ و زَهَقَ البَاطل إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقا " [6] .[7]

و من ذلك يتضح أن الاعتبار بنوعية و الاعتقاد بأضربه المختلفة إنما هما وجهان لعملة واحدة هي التواصل الذاتي من وجهة الدرس البلاغي ، و يمكن تلخيصه في الشكل التالي :



---

[1]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد و نثر ، ص : 37 .
[2]-المصدر نفسه ، ص : 37-38 .
[3]-ينظر: المرجع نسه ص:40 .
[4]-سورة الكهف الآية : 29 .
[5]-الأعراف الآية : 169 .
[6]-الإسراء الآية : 81 .
[7]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 40 .

2-5-التواصل الشخصي :

يتعدى هذا النوع تواصل الفرد ذاته إلى التواصل مع الغير ، فهو إذن تواصل بين فردين أو بين نظامين أطلق عليه قدامة بن جعفر باسم " البيان باللسان " في قوله : " البيان باللسان ذلك أن ما يعتقده الإنسان من بيان الاعتقاد و يحصل منه غير متعد له إلى غيره قد أراد الله عز و جل أن يتم منه فضله الإنسان و لذلك خلق له اللسان و أنطقه بالبيان فخير به عما في نفسه من الحكمة التي أفادها و المعرفة التي اكتسبها فصار ذلك بيانا ثالثا " [1] .

فالتواصل الشخصي من منظور البلاغة ينطلق من فضيلة خلق اللسان لدى الإنسان و غيره من بقية الخلق ، فأنطق يتواصل و يشترك به مع غيره .

وأيضا: "استعمال القلم أجدر أن يخص الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام..."[2]

وفي الفرق بين التواصل الشخصي والجماهيري قالوا:"اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن".[3]

وأما عن أهم ميزة وخاصية التواصل الجماهيري فهي قدرته على اختراق حدود وزمان و المكان خاصة في العهود الحديثة كنتيجة حتمية للتطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والتي نجعل من العالم "قرية صغيرة" كما اسماها ماك لوهان.

4-5-التواصل الثقافي:

يعرف سيترام sitouram اتلواصل الثقافي بأنه عبارة عن التفاعل الذي يتم بين أعضاء مختلفة من الثقافات وهو يتضمن عادة شخصا من ثقافة ما يتصل بشخص آخر من ثقافة أخرى.[4]

وقد عبر الجاحظ هذا التواصل باسم التواصل الحضاري حيث قال:"حاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد لاحتياج الأدنى إلى معرفة الأقصى واحتياج الأقصى إلى معرفة الأدنى، معاني متضمنة وأسباب متصلة وحبال منعقدة، وجعل حاجتها إلى معرفة من كان قلبنا كحاجة بعدنا إلى أخبارنا"[5]

---

[1]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص : 18 .
[2] - الجاحظ ـ البيان والتبين: ص 59.
[3] - المصدر نفسه، ص :59.
[4] -ينظر: صالح خليل الواضح نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر، ص95.
[5] الجاحظ، الحيوان ج1 ص 49.

Code de champ modifié

وقسم أيضا الحاجة إلى هذا التواصل إلى حاجتين إحداهما قوام وقت، و الأخرى لذة وامتناع، وازدياد في الآلة، وفي كل ما أجذل النفوس"[1].

فإذا كانت هذه هي طبيعة للتواصل الثقافي بين الأجيال، فإن الجاحظ ينصح بضرورة الاستمرار في العطاء المعرفي والفكري وبين مختلف الحضارات أي"ينبغي أن يكون سبيلنا بعدنا كسبيل من كان قلبنا فينا، على أنا وجدنا من الحيرة أكثر مما وجدوا لمن بعدنا يجد العبرة أكثر مما وجدنا"[2].

ومن أجل تحصيل المعرفة في هذا النوع من التواصل، نحتاج إلى وسائل تبليغية مختلفة وفي نفس الوقت متشابهة الأبعاد والأهداف والغايات الحضارية الثقافية، إلا أن أرقى طريقة لتبليغ مقاصد الرسالة أين كان نوعها ومضمونها هي الكتابة الألفابية (الحرفية) كضمان لاستمرارية المعرفة بين الأجيال الثقافية على تباعد الأمصار واختلاف الأزمنة حيث يقول الجاحظ :"والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان"[3].

وكذا قول ابن خلدون (1332 هـ)عنها:"فهي تطلع على ما في الضمائر وتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقصى الحاجات، وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع على العوام والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم و أخبارهم"[4].

ويضعف قدامة بن جعفر ذكر فضل الكتاب التي يبلغ من بعد وغاب، ذلك أن الله عز وجل أراد أن يعم بالنفخ في البيان جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد، وأن يساوي فيه بين الماضين من خلته و الآيتين، والأولين والآخرين".[5]

ثم أود بعض من آيات كتاب الله العزيز التي تحتوي ضرورة تعلم الكتابة ومدى الحاجة الماسة إلى الكتاب، فقال:"اِقْرأ ورَبُكَ الأكْرَمْ الذي عَلَمَ بالقَلَمِ عَلَمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[6]،وقال عز وجل:"أولَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِنَةُ ما في الصُحفِ الأولَى"،[7]وقال"ائتُوني بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ إِشِارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ".[8]

فالتعبير بالألفاظ واستخدام الذخيرة المفرداتية هو نفسه القول بالعبارة والذي تحدث عنه قدامة بن جعفر كنوع من أنواع البيان، التواصل قوله:"وأما

[1] - المصدر نفسه، ص49.
[2] - المصدر نفسه، ص56.
[3] - الجاحظ البيان والتبين، ص 59.
[4] - ابن خلدون-المقدمة دار الفكر – بيروت ط1 1423 هـ 2003 ص397.
[5] - بن جعفر، نقد النشر، ص 11 وما بعدها.
[6] -سورة العلق: 3-4-5
[7] - سورة طه الآية، 133.
[8] - سورة الأحقاف الآية،04.

Code de champ modifié

البيان بالقول فهو العبارة، وقد قلنا أنه يختلف باختلاف اللغات، وإن كانت الأشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها".[1]

والقصد من اختلاف اللغات وتباينها لدى الأفراد، ولا ينفي أن الحديث عن شيء بعينه لدى متكلم ما حول السماء قد يختلف لدى متكلم آخر فرنسي، لكون ذات السماء"كائنة وإن اختلف استعمال اللفظ الدال عليها.

وزاد على ذلك تقسيمه (قدامة بن جعفر) هذا النوع إلى ما هو ظاهر وباطن وإن الظاهر منه غير محتاج إلى تفسير،ت وإن الباطن هو المحتاج إلى التفسير، وهو الذي يتوصل إليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر"[2].

فأما الظاهر فهو المعنى المقصود المباشر من الكلام الذي لا يحتاج إلى تأويل أو البحث عن غرضه الحقيقي، أما الباطن من القول فهو الذي يحتاج إلى أدوات للوصول إلى قاع المعنى، وتقريبا هما: القياس والخبر.

وأما القياس مثل: قول الله عز وجل:"إعْلَمُوا مَا شئتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْلَمونَ بَصير"[3]

وهو لم يفوض إليهم أن يعلموا إنما أحبوا ولم يخلهم من الأمر والنهي، ومثل قوله:

"فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"،[4]وهو لم يطلق لهم الكفر ولم يبحهم إياه، فهذا وإن كان ظاهره التفويض إليهم فإن باطنه، التهدد لهم والوعيد".[5]

وأما عن أداة الخبر فهي:"كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقياسه، ومن الخبر ما يبتدي لمحلي به، فيخص باسم "الخبر"، ومنه ما يأتي بعد سؤال يسمى "جوابا" "[6].

من حيث اللغة المستخدمة:

لو حاولنا تقسيم التواصل حسب استخدام اللغة في التراث البلاغي لما ابتعدنا كثيرا عما أفاض فيه المحدثون، حيث يذهب الإمام فخر الدين الرازي (ت606هـ) إلى أن: السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته، بل لا بد له من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلى بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش، أو ألفاظ توضع بازاء المقاصد".[7]

---

[1] -قدامة بن جعفر نقد النثر ص43.

[2] - المصدر السابق ص:43.

[3] -سورة فصلت الآية40.

[4] - سورة الكهف، الآية 29.

[5] - قدامة بن جعفر، نقد النرض،44.

[6] - المصدر نفسه، ص 44.

[7] - سمير أبو حمدان الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدان، بيروت باريس، ط1 1991، ص12 فخر الدين الرازي، كشف الظنون حابي خليفة متكبة المتحف، بغداد ج2 ص :161.

Code de champ modifié

فيتضح من ذلك أن فخر الدين الرازي، قد اهتم بالتبليغ باسم التعاون وأنه حاجة لا مناص منها يستخدمها الإنسان بواسطة الألفاظ وهو ما يسمى "بالتواصل اللفظي"،أو بالإشارات أو النقوش وهذا ما يسمى "بالتواصل غير اللفظي".

5-5-التواصل اللفظي:

والذي جاء في تعريفه على أنه تواصل وسائل لفظية بين فردين وهو من ه ذا المنطل ق يشد مل عمليت ين واسد تقبال مرسد لة لهد ا معيند ة تحد دد بالتواضد ع والاصطلاح المسبق بين المرسل و المستقبل عبر قناة سمعية،[1]يفرضها الموقف الاجتماعي والظروف المحيطة، إذ ليس من المعقول التواصل مع من هو بعيد بواسطة الصوت، كما لا يمكن التعبير بالإشارة البصرية مع من هو غائب، لذلك ينتظر هذا النوع من التواصل إلى ما هو شفهي أو كتابي.[2]

فأما الشفهي منه فهو تواصل بالألفاظ باعتباره أيسر طريقة وأفيدها وأعمها في توصيل المقاصد والغايات، قال عنها فخر الدين الرازي، "... أما إنها أيسر ف لأن الحد روف كيفي ات تع رض لأصد وات عارضد ة للهد واء خد ارج بد التنفس الضروري،المحدود من قبل الطبيعة، دون تكلف اختياري".[3]

وما يرمي إليه الرازي هو أنه ما دام المرء يتنفس لا إراديا ويضفر الهواء من ثمة، وطالما أن هذا الهواء ينتج الأصوات وألفاظ، فإنها أيسر السبل للتعبير عن مقاصد الإنسان وأعماله ومشاغله خلافا، على ما هو عليه التعبير من خلال طرائق أخرى.[4]

ب-التواصل اللفظي المكتوب :

تناول البلاغيون العرب التواصل بالكتابة وذكر وأدواتها وأماكن استغلالها وفائدتها في كثير من النصوص، كانت لها في هذا الفصل وقفات عدة، وكتذكرة على ما تقدم ما عبر ابن خلدون عن الخط والكتابة، قوله:"وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس"[5]

وهذا يحاول ابن خلدون استقراء بعض خصائص الكتابة من حيث هي جهاز إعلامي يعتمد حاسة البصر كقناة التواصل، فاهتدى إلى أنها نظام في

---

[1] - ينظر: فاطمية الطمال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ص49.
[2] - ينظر:محمد كشاش اللغة والحواس ص:79.
[3] - سمير أبو حمدان الإبلاغية ص 12 عن كشف الضنون ج8، ص 161.
[4] - ينظر: سمير أبو حمدان الإبلاغية، هامش ص12.
[5] - ابن خلدون المقدمة ص 397.

Code de champ modifié

الدلالة من الدرجة الثانية،[1] فهي بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة."[2]

ومن كثرة حرص العرب على ضرورة الحيري والكتابة، ما ذكر عن الأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن اللواب قصيدة من بحر البسيط على روي الراء، يذكر فيها صناعة الخط ومواردها من أحسن ما كتب في ذلك[3].

6-5-التواصل غير اللفظي:

وفي تراثنا البلاغي أمثلة كثيرة تدل على الاهتمام البليغ بالتواصل غير اللفظي من تمثيل بحركات أو إيماءات أو نظرات الخ ولعلى الحديث الشريف خير مثال على ذلك: "عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال"أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ هَكَذَا" وقال بإصبعيه السبابة والوسطى"،ومما يلفت النظر في هذا الحديث ما جاء فيه:

"إذا اعتبر الاتصال بالإشارة قولا"[4].

وكذلك قول الله عز وجل لنبيه زكريا:"قَالَ آيتِكَ ألاَّ تُكَلِمَ النَاسَ ثَلاثة أيامٍ إلاَّ رمزًا"[5] والمعنى أن الله عز وجل قد أقر على أن التواصل بالرمز شكل من أشكال القول أيضا.

ومما جاء في الأثر، أيضا ما أورده أبوبكر في حديثه حين عهده إلى عمر رضي الله عنهما بالخلافة قال:"كلكم ورم أنفه"أي اغتاظ، لأن المغتاظ يرم أنفه ويحمر، فقد عبر عما أصاب الحاضرين من حسد وغيرة عن طريق لقطة إشارية صادقة القول.[6]

وأما عن العلاقة بين التواصل اللفظي وغير اللفظي فينتظر إليها على أنها وحده كاملة غير قابلة للانفصال.

حيث يقول بيروديسيل Bird whitell: "أن كل البيانات التي بدت تظهر لي بأنها تؤيد القناعة بأن اللغوية والإشارية هي انظمة اتصالية أساسية وأن انبثاق

---

[1] - ينظر عبد السلام مهدي وآخرون: النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص ص:17.

[2] - ابن خلدون المقدمة ، ص: 402

[3] - ومما جاء في مطلب القصيدة:

يا من يريد إجادة التحرير ويروم حسن الخط والتصوير

إن كان عزمك في الكتابة صدقا فارغب إلى مولاك في التسيير

[4] - ينظر: صالح أبو اصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعغاصرة، ص 21.

[5] - سورة آل عمران الآية: 41.

[6] - ينظر: محمد كشاش، اللغة والحواس، ص21.

Code de champ modifié

النظام الداخلي الاتصالي يمكن تحقيقه من خلال علاقتهما المتداخلة، ومع أنظمة مقارنة من نماذج حسية".[1]

وهذا التداخل بين أشكال التواصل قد أدركه البلاغيون في درسهم وأوضحها الجاحظ في قوله:"الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ويعم الترجمان هي عنه ،وما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط"[2].

وهكذا فقد ذهب الجاحظ إلى تصنيف وظائف التواصل غير اللفظي إلى ما قد ذكره مارك ناب،[3]وذلك حينما أوضح الجاحظ أن الإشارات تحقق ما يلي :

أ-معاونته اللفظ للتعبير عن المعاني.

ب-التعبير عن معان لا نستطيع المرء معها استخدام اللفظ.

ج-التعبير عن الاستجابات العاطفية، وهذه الوظيفة الأخيرة لم ينتبه لها الباحثون الذين درسوا التواصل غير اللفظي[4]6.

---

1 -ينظر: صالح ابو اصبع ، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص43-44.

2 - للمزيد ينظر المدخل ص:22.

3 - ينظر :صالح الواصبع الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ص 45.

6 -ينظر : المرجع نفسه ، ص 45 .

Code de champ modifié

Page 71 : [1] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:55:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

Page 71 : [2] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:57:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

Page 71 : [3] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:58:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

Page 71 : [4] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:58:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

Page 71 : [5] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:59:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

Page 71 : [6] Mis en forme	Théses	28/12/2015 11:59:00

Police :(Par défaut) Arial, Police de script complexe :Arial

1-بناء الرسالة الإعلامية :

إن التواصل قيمة عملية بين مختلف الأطراف يربطها مرسلة لغوية و بقدر نجاحها ينجح المرسل في إبلاغ غاياته ، كما قد تكون أيضا عائقا أثناء التطبيق الفعلي ، لعدة أسباب و على عدة أوجه من مستويات بنائها و دلالتها .

و هذا ما قد اهتمت به العديد من نماذج دراسة التواصل المختلفة من خلال الاهتمام بالبناء و المعنى و العوامل المؤثرة على صياغة الفكرة و استقبال المعنى كنموذج تشارلز و اسجود ويلبور و غيرهم.[1]

لذلك يسعى الإعلام مستهدفا المخاطبين و المتلقين اعتمادا على اللغة باعتبارها جنسا إعلاميا هاما ، ذلك أن كل وسيلة من وسائل الإعلام وسيلة للتأثير ذات قوة و سيطرة على عقول المتلقين.

و هذا الطرح ساعد على دراسة الرسالة الإعلامية من عدة جوانب ، خاصة تلك التي تهتم باختيار الرموز و دلالاتها و بنائها .

و باختلاف وسائل الإعلام و تشتتها بين لغة الصورة أو الإشارة أو بين اللغة المنطوقة المتوفرة في مختلف الأجهزة الإتصالية المسموعة و المرئية ، إلا أن اللغة اللسانية المكتوبة أو المنطوقة تبقى أهم نسق من الرموز الإعلامية ، لتستعملها بهدف التواصل القائم بين طرفين إما بغرض التفكير أوحتى التعبير عن ذواتنا و الواقع من حولنا .[2]

و قد أكد ذلك مارشال ماكلوهان ، و قال بأن الكلمة المكتوبة أفضل وسائل التواصل خاصة الجماهيرية ، لأنها تعد رمزا للحضارة ووسيلة للتقدم .[3]

و من هذه النتائج اهتم العديد من العلماء بضرورة هيكلة المرسلة التبليغية ، و الاهتمام بأدق تفاصيلها ابتداء من اختيار اللفظ كوحدة لسانية إلى غاية تركيبه و صياغته و الإحاطة بدلالته و أثره على الملتقى ، وصولا إلى تحقيق أهداف القائم بالتواصل و غرضه الأساسي من عملية التبليغ.

و ضمن هذا الاهتمام طفت مجموعة من الإشكالات و الثنائيات على أنه ثمة عوامل موضوعية مختلفة تتدخل في تنظيم الرسالة في بداية كل عمل تواصلي تتصل مباشرة بالمتصل بغض النظر عن الظروف الاجتماعية و النفسية له و هي :

1-1-الاختيار و التأليف :

---

[1]- ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير ، عالم الكتب ، ط2 ، 2000 ، ص : 311 .

[2]- ينظر : عبد العزيز شرف ، المدخل إلى وسائل الإعلام ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ط2 ، 1989 ، ص : 185 .

[3]-ينظر : نبيل عارف الجردي ، مقدمة في علم الاتصال ، ص : 129

تعتبر هذه الثنائية من أهم الإشكالات المطروحة ، أثناء تركيب أي رسالة تبليغية حول موضوع ما ، إذ تعتبر كمهارة خاصة بكل فرد ، تتحكم فيها مجموعة من العوامل المختلفة أهمها النحوية و الدلالية و أيضا السياق و الظروف الاجتماعية ، فهما نمطان أساسيان في السلوك اللفظي .

و لنفترض أن موضوع رسالة ما هو " طفل " ، فالمتكلم يختار من بين سلسلة من الأسماء الموجودة مثل : " طفل ، غلام ، ولد ، صبي " و بعد الاختيار يلجأ إلى تعليق هذا الاسم بفعل من الأفعال المتقاربة و دلاليا مثل : " ينعس ، نام ، ..." لتشكيل السلسلة الكلامية [1] ، لها معنى تنقل في شكل رسالة يتم تفكيكها .

و لهذا فضل جاكبسون عقلنة هذا المنحنى ، حيث اعتبر أن الحدس اللساني هو تركيب عمليتين متواليتين في الزمن و متطابقتين و هما المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي ثم تركيبه تركيبا يقتضي قوانين النحو و الصرف [2].

كما لا ننكر تنبه البلاغيين العرب لمثل هذه الثنائية و التحدث عن أهميتها الكبيرة ، بل و أفاضوا في شرحها ضمن مصطلحات متنوعة كالانتقاء أو التخيير أو التخير أو الاختيار و بين النظم و التأليف و التركيب و هذا ما نحن بصدده ، حيث يقصد بهما ما يلي :

أ-الاختيار Sélection

إن باث الرسالة اللسانية لاشك بأنه ينطلق من رصيد معجمي خاص به و إرضاء لشحنة الإبلاغ و التواصل فيحمل رسالته سلسلة كلامية أو مجموعة من الوحدات اللسانية المرتبطة مع بعضها .

فبعض التركيبات اللغوية تبدو سليمة من الناحية اللغوية ، و لكن على المتصل أن يختار اللفظ الذي يحتاج إليه ، ففي مقدورنا أن نختار لفظين " رجل مهذب " ، و " شخص مهذب " و قانون الاختيار هنا يبتعد عن المصادفة و لما يتضمنه من قضايا صوتية ، فونولوجية صرفية ...الخ ، من تلك الوحدات .[3]

يقف المتكلم في معظم الأحيان موقفا خاصا من السامع و يتضح هذا الموقف في اختيار الكلمات و ترتيبها ، و البلاغة العربية منذ نشأتها تحاول

---

[1]- ينظر : محمد الولي و مبارك حنون ، قضايا الشعرية ، رومان جاكبسون ، ص : 33 .

[2]- ينظر : عبد السلام مسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، دار العربية ، ط2 ، 1982 ، ص 96 .

[3]-ينظر : رجاء عيد ، البحث الأسلوبي معاصرة و تراث ، المعارف الإسكندرية ، 1993 ، ص : 119 .

استقصاء هذا الموقف ، و لا تكتفي بما قد يسمى الاهتمام التلقائي بالسامع بل تسعى إلى ما يشبه العمد و الاحتفاء لمواقف معينة .[1]

و هذا ما قد ظهر في عدة تعاريف للبلاغة فحين سئل عنها اليوناني قال : " تصحيح الأقسام و اختيار الكلام " [2] ، و جاء أيضا تعريف أهل الهند لها كما ترجمها أبو الأشعث على أن " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ...متخير اللفظ " [3] .

كما أشار عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) أيضا ضرورة اختيار اللفظ قبل دخوله في التأليف في قوله : " ...فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، و قبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا و أمرا و نهيا ..."[4] ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى شرح مفهوم اختيار لفظ ما عن باقي الألفاظ حتى و إن كانت لها رابطة بينهما من ترادف ، أو علاقات كالتضمن و الالتزام أو غيرها ، في قوله : " هل يتصور و أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة ، حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له صاحبتها على ما هي موسومة به ، حتى يقال إن رجلا أدل على معناه من (فرس) على ما سمي به ؟ ..." [5] .

أما عن أبو هلال العسكري (ت 390 هـ) فإنه يتوسل إلى هذا المفهوم على أنه سبب في التئام الكلام و أنه من أحسن نعوته و أزين صفاته [6] ، لأن الكلام هو استحضار ما، بين ما تمليه الحاجة إلى التعبير و التواصل، و بين ما يملكه مخزونه الذهني من مادة لغوية .

و تخير اللفظ قائم على مجموعة من القيود و الشروط ، تطرق إليها عبد القاهر الجرجاني و أجازها في النقاط التالية : [7]

1-أن يكون اللفظ أخص و يبتعد عن العمومية و الشمول .

2-أكشف و أكثر إيضاحا للقصد من العبارة .

3-أتم في الدلالة على المعنى و ذلك باعتبار موضعه من الكلام و ارتباطه بغيره .

و من بين الشروط أيضا ما ذكره في موضع آخر ، على أن تكون اللفظة مما يتعارف الناس عليه و يتداو لونها بعيدة عن الوحشية و الغرابة و العامية و السخافة .[8]

---

[1]-مصطفى ناصف ، اللغة و التفسير و التواصل ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1995 ، ص : 11 .

[2]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 63 .

[3]-المصدر نفسه ، ص : 65 .

[4]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 97 .

[5]-المصدر السابق ، ص : 97 .

[6]-ينظر : أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 147 .

[7]-ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 97 .

[8]-عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،ص:11.

و مما يلفت النظر أن عملية الاختيار لدى المرسل لا تتعدى معجمه الذهني الخاص به حيث يتعامل مع الحقل الدلالي للفظ المخير و ـ أيضا ـ ضمن الإطار الدلالي المشترك بين أطراف التواصل ، فالمرسل ـ عادة ـ ينتقي مجموعة من الإشارات في مرحلة الترميز الأولى على أن تكون متداولة بين أفراد المجتمع ليضمن بذلك قضاء غايته بهذا الحدث اللغوي .

و من الحالات الخاصة التي يجب الولوج إليها هي أن الكاتب أو الأديب قد يسمح له تجاوز هذا القانون في أدائه الذي قد يؤثر على شريحة من المجتمع دون أخرى ، أو قد يتعداها ، فعلى سبيل المثال نجد الأسلوب الرومانسي أسلوبا شخصيا ، أو ذاتيا في أساسه ، و قد استطاع أن يفرض ما يعرف بـ المعجم الرومانسي " [1] .

ب-التأليف : Combinaison

أما عن المفهوم الثاني فهو من أهم ما تولد عن فكرة الاختيار في تحليلات المنظرين من رواد التراث العربي ، و هو ما يهتم بالتسلسل التعاقبي الذي يقوم على مبدأ الخطية الزمنية لنظام التواصل و التبليغ .[2]

و يقصد بمبدأ الخطية هنا هو عدم إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد ، و هذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية .[3]
[3].

و عن التأليف أو التنسيق فهو بناء مقالي يضع الوحدات اللغوية المفردة لها صلات دلالية مع بعضها في علاقة تجاور ، فتجمع في سياق خطبي تتابعي .[4]

فالألفاظ لا قيمة لها منفردة إلا إذا انتظمت في ضرب من التأليف الخاص الذي يعمد بها إلى حسن التركيب و البناء [5] ، و " مما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك ، و توحشك في موضع آخر " [6] .

و هذا التأليف لا يمس اللفظ بعينه فحسب بل ينطلق من تلاؤم و ائتلاف بعض حروف الكلم مع بعضها إلى ائتلاف جملة مع جملة و تلاصقها منتظمة في حروف مختارة .

---

[1]-ينظر : مصطفى ناصف ، اللغة و التفسير و التواصل ، ص : 98 .
[2]-ينظر : عبد السلام مسدي و آخرون ، النظرية اللسانية و الشعرية ، ص:15 .
[3]-ينظر : فردينان دوسوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، يوسف غازي و مجيد النصر ، ص : 149 .
[4]-ينظر : فيلي ساندريس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، خالد محمود جمعة ، دار الفكر ، ط1 ، 2003 ، ص 127 .
[5]-ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص : 10 .
[6]-ينظر : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 99 .

و هذا ما قد أشار إليه حازم القرطاجني (ت:684 هـ) موضحا أشكال هذا التأليف الذي لم يقصره على اللفظ بعينه إلى :

1-ائتلاف حروف الكلمة مع بعضها : و يقصد به الربط الدال للحروف في تتابعات لغوية حسب قواعد النظام اللغوي للمعنى ، كأن نقول في العربية س+ل+ش+ص+ه = (سلشصه) تتابع لا معنى له .

2-ائتلاف جملة مع جملة تلاصقها منتظم في حروف مختارة متباعدة المخارج مرتبة ترتيبا فيه خفة و تشاكل ما .

3-التناسب بين الكلم إما في الاشتقاق أو الأوزان .[1]

و لعلى ما أشار إليه السيوطي (ت:911 هـ) بعنوان " ائتلاف اللفظ مع اللفظ و ائتلافه مع المعنى" له علاقة بعنصر التأليف ، و جاء تقسيمه إلى :

" الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا ، بأن يقرن الغريب بمثله و المتداول بمثله رعاية لحسن الجوار و المناسبة .

الثاني : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة ..."[2]

و من الأمثلة ذكر النوع الأول : قوله تعالى : " " قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً "[3] حيث :

أ-أتى بأغرب ألفاظ القسم و هي التاء رغم قلتها .

ب-أغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء و تنصب الأخبار ، مقارنة بـ " تزال" لأنها أقرب إلى الإفهام و أكثر استعمالا منها .

ج-أغرب ألفاظ الهلاك و هو الحرض .[4]

و هكذا فإن عملية التأليف و التركيب بين عناصر الجملة يقتضي حسن الوضع و أن تجاور كل لفظ غريب لفظ من جنسه .[5]

أما عن النوع الثاني فكقوله تعالى : " لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ "[6]

" أتى بلفظ (الاكتساب) المشعر بالكلفة و المبالغة في جاذب السيئة لثقلها "[7]

و عن امتيازات هذا المفهوم أيضا هو اعتباره مقياس جودة الشعر و قطب الرحى عند الشعراء ، كقول خلف الأحمر :

---

[1]-ينظر : حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص 222 .

[2]-السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ج3 ، 1408 هـ -1988 م ، ص : 262 .

[3]-سورة يوسف ، الآية 85 .

[4]-ينظر السيوطي ، الإتقان ، ص : 262 .

[5]-ينظر : المصدر نفسه ، ص 262 .

[6]-سورة البقرة الآية 286 .

[7]-ينظر : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ص : 263 .

و بَعْضُ قَرِيضِ القَوْمِ أَوْلادِ عِلَةٍ [1] يَكَدُ لِسَانُ النَاطِقِ الـمُتَحَفِظِ

و هذا بمعنى أنه " إذا كان الشعر مستكرها و كانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينهما من التنافر ما بين أولادت العلات و إذا كانت للكلمة ليس موقعها إلى جذب أختها مرضيا موافقا كل على السلسل عند انتشار ذلك الشعر مؤونة "[2] .

و استنتاجا من جميع المفاهيم التي قد تطرقنا إليها يجدر بنا الإشارة إلى أبعادها اللسانية التي قد اهتم بها دو سوسير بالتحديد بما يعرف بالعلاقات التركيبية و العلاقات الإستبدالية .

فالاختيار الذي يقصد به مجموعة من الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام ، و التي لها طواعية الاستبدال فيما بينها علاقات الإستعاض ، أو ما يسمى بالعلاقات الإستبدالية **Les rapports paradigmatique** [3] .

حيث تنتمي هذه العلاقات إلى مجموعات فرعية تتكون من وحدات يمكن أن تؤدي وظيفة نظمية واحدة في موضع معين من المنطوقة ، أي أن كل واحدة منهما يمكن أن تحل محل أي واحدة من أخواتها في منطوقة معينة .[4]

و عرفها دوسوسير على أنها : " تلك العلاقات التي تحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامة اللسانية و العلامات التي يمكن أن تحل محلها مما يمكن أن تتسم معه بشيء مشترك " [5] .

و تزدوج هذه العلاقات مع علاقات أخرى في الحدث اللساني ناتجة عن رصف هذه الأدوات و تركيبها تسمى بالعلاقات الركنية [6] ،أو بالعلاقات النظمية [7] ،أو بالعلاقات التركيبية **Les rapports syntagmatiques** على حد رأي دوسوسير معرفا إياها على أنها : "تلك العلاقات المبنية على صفة الخطية و التي لا تقبل أن ينطبق لفظ عنصرين في آن واحد و هذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية " [8] .

---

[1]- علة : أخوة من الأب و أمهات متشتة : ينظر : الجاحظ ، البيان ، ج1 ، هامش ص 50 .

[2]-الجاحظ ، البيان ، ج1 ، ص 50 .

[3]-ينظر : عبد السلام مسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص : 138-139 .

[4]-Vois : Galisson et coste , dictionnaire de didactique des langues , P : 395-396 .

[5]-دوسوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ، يوسف غازي ، مجيد النصر ، ص : 149 .

[6]-ينظر : عبد السلام مسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص : 139-140 .

[7]-فاطمة الطبال بركة ، النظرية الألسنية ، ص : 36 .

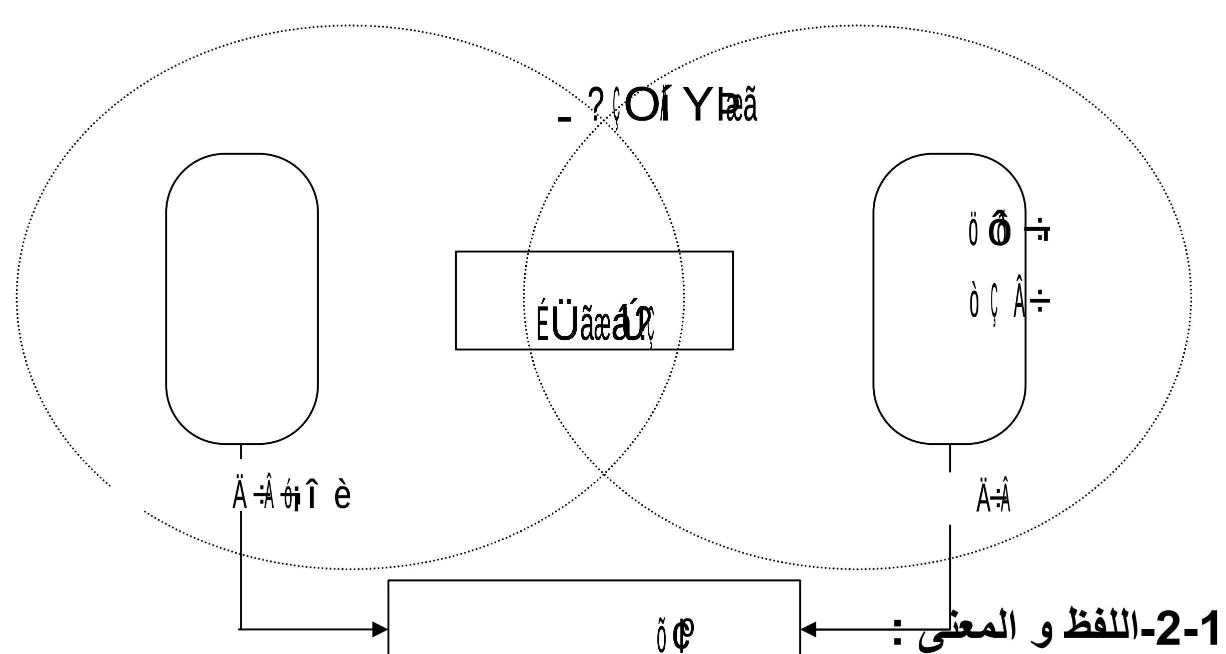
[8]-دوسوسير ، محاضرات في الألسنة العامة ، ص : 149 .

و من خلال تعريف هاتين العلاقتين نستنتج أن هذين المحورين يمثلان الجانب الإجرائي الذي يقوم فيه النظام اللغوي ، حيث تتسم العلاقات الإستبدالية بالغيابية أين يتم استبدال وحدة لسانية بأخرى باعتبار ما هو مخزن في الذهن ، أما عن العلاقات التركيبية هي علاقات حضورية تمثل تواصل سلسلة الخطاب حسب أنماط تبتعد نوعا عن العفوية و الإعتباط .[1]

و الحقيقة أن ثنائية الاختيار و التأليف بأبعادها اللسانية تخدم الوظيفة الأساسية للغة و هي التواصل ، فهي ضرورية في بناء أي رسالة تبليغية ، أين كان نوعها أو عزفها ، فالاختيار بمثابة انتقاء المادة الخام قبل انصهارها في قالب التأليف بين مختلف الألفاظ .

و هكذا فالمرسل ينتقي ألفاظ رسالته و رموزها ، بعد ذلك يبحث عن روابط دلالية ، نحوية ، صرفية ...الخ ، لتلك الوحدات ثم ينقلها إلى الملتقى الذي يستقبلها و يقوم بعملية فك الترميز و إعادة هدم تلك العناصر ، ليتمكن من تفسير و فهم هذه المرسلة لإتمام حلقة الحدث اللغوي .

و يمكن فهم آليتي الاختيار و التأليف في عملية التواصل من ترميز و تحليل من خلال هذا الشكل التوضيحي التالي :[2]



2-1-اللفظ و المعنى :

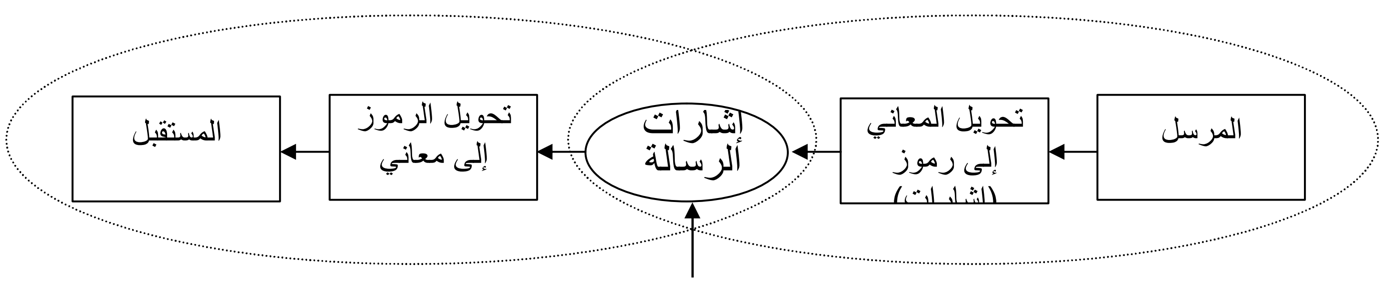
تعتبر قضية اللفظ و المعنى من أهم القضايا التي تلفت انتباه أي دارس للبلاغة ، وإن كانت هذه النقطة نتيجة تقاطع عدة علوم كالنقد الأدبي و علم اللغة و علم الدلالة و غيرها ، إلا أنها من النقاط التي يجب الولوج إليها ، و التي لا يمكن إلغاؤها ضمن أهم الثنائيات التي تساعد على بناء الرسالة الإعلامية على

[1]-ينظر : عبد السلام مسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 96 .
[2]-فيلي سانديرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، خالد محمود جمعة ، ص : 126 .

شتى أشكالها و طرقها فالإنسان يميل عادة إلى تنظيم مدركاته و خلع المعاني وفقا لعدة ظروف و لا يمكن للإعلامي أن ينجح في تأدية رسالته ما لم يعرف حقيقة الإطارات الدلالية للجمهور و يدرك كيفية تكوينها ، فلا يظن بذلك أن ما يقدمه من أخبار و معلومات تفهم بالطريقة التي يفهمها هو بها .[1]

فعملية التواصل تتم بإرسال الرسالة من متكلم يعتمد على رصيده المعجمي و انتقاء الألفاظ التي لها صورة ذهنية حاضرة لدى الملتقى و هذه الصورة هي المادة الخامة و هي الحضور الفعلي للسلوك اللغوي التواصلي .

على أن يكون هذا التصور ينتمي إلى الإطار الدلالي الذي يعكس رؤية مشتركة للرموز و موقعها ضمن مدركات الأفراد و خبراتهم و هذا بالفعل ما اهتم به ويلبور شرام في نموذجه بمجال ما يسمى الخبرة المشتركة أو المختزنة أو الإطار الدلالي لكل من المرسل و المستقبل و عبر عنه في الشكل التالي :[2]

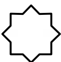


ßÑÊÐ? ??Ïá ÑÇØ?Ç æÃ ÉßÑÊÐ? É??Ç áÇ?

و لهذا فمجال الخبرة المشتركة تعتبر هي الأخرى زي يلبس به اللفظ ليكتسب معنا محددا وبغض النظر عن تنوع العلاقة بينهما التي درست في مختلف المناهج الدلالية و النظريات ، فما يهمنا هو دراسة اللفظ في ظل اكتسابه التداول و الاستعمال و مدى ارتباطه بالمعنى .

و هذا ما انتهت إليه علوم الإعلام في بحوثها حول تفسيرات الناس و إدراكهم للبيئة ـ أي ما حولهم من رموز ـ و خبرتهم التواصلية من خلال تعلم الرموز و دلالتها أثناء التفاعل [3] ،ضمن عملية التبليغ اللغوي ، كما و قد قامت أيضا البلاغة العربية القديمة على جدلية الشكل و المضمون أو اللفظ و المعنى و ما تفرع من مباحث و اتجاهات مختلفة فمنها ما يهتم بالبناء اللفظي و منها ما يهتم بصلة اللفظ و معناه و ما يترتب عن ذلك .[4]

[1]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص : 236 .
[2] -محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير ، ص 72 .
[3]-ينظر المرجع السابق، ص : 312 .
[4]-ينظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، ص 258 .



و يبقى السؤال مطروحا حول أسبقية أو لنقل أفضلية المعنى على اللفظ أو العكس ، ففي مختلف أشكال التبليغ (الشفوي ـ الكتابي) و بمختلف وسائله ، يقف المرسل مع نفسه موقفا شائكا حيث تتولد المعاني في النفوس و تحتاج لها إلى ألفاظ للتعبير عنها ، تتطابق معها أو قد تتجاوز هذا التطابق إلى نوع من الانحراف اللغوي باختلاف أغراض المتكلمين ، أو بمعنى آخر هل يركز الاهتمام على ضرورة وصول معنى المقال إلى المتلقين في الخبر الصحفي أو الإذاعي أو التلفزيوني مثلا دون الارتكاز على ضرورة ربطه باختياره اللفظ المناسب ؟

إن هذه المسألة قد تردد صيتها كثيرا لدى البلاغيين العرب ، و لعلى أول إشارة إلى ذلك الجاحظ في اهتمامه بالشكل الخارجي للفظ و تبعه في ذلك آخرون منهم ابن قتيبة و ابن المعتز و أبو هلال العسكري ، و منهم من يربط الصلة بين اللفظ و المعنى كعبد القاهر الجرجاني و من ناصره كابن رشيق مثلا .[1]

أما الجاحظ فقد أشار إلى المعاني محددا وجودها [2]، بأنها متصورة الأذهان و الخواطر و لا تحيا إلا بذكر الكلم الدال عليها و استعمالها في نشاط تواصلي لأن وجودها في المرة الأولى صامت و مكتوب، أو هو في " معنى العدم" [3] ،و هذا يعني أنه قد يكون المعنى و لا اسم له ، و لا يكون اسم إلا و له معنى " [4]، و في عبارته المشهورة صور لنا المعنى على أنه الفكرة العامة قبل أن تصاغ و تخرج إلى الحياة و هي تشبه إلى حد ما غرض المتكلم قبل انطلاق موجة التفاعل التواصلي و هذا في مقولته : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي ، و البدوي و القروي " [5] و جعل الأهمية حول " إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولته و سهولة المخرج ، و في صحة الطبع و جودة السدك " [6] ، ، و جعل من الشعر " صياغة و ضرب من التصوير "[7].

فالمتكلم هو صاحب الشأن في اختيار الكلمة و انتقائها و ليست الكلمة هي العبارة المفروضة عليه لأنها وضعت من أصلها إما ارتجالا أو محاكاة أو غير ذلك " [8] ...

---

[1]-ينظر : محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، ص : 238 وما بعدها .

[2]-و هذا في قوله : " المعاني قائمة في صدور العباد ، و المتصورة في أذهانهم ..." عن الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص :76 .

[3]-ينظر : حسن طبل ، المعنى في البلاغة العربية ، دار الفكر العربي ، ص : 12 .

[4]-ينظر : الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، عبد السلام هارون ، الخانجي ، 1964 ، ص : 262 .

[5]-الجاحظ ، الحيوان ، ج3 ، ص 444 .

[6]-المصدر السابق ، ص : 444 .

[7]-المصدر نفسه ، ص : 444 .

[8]-ينظر : عبد العزيز شرف ، لغة الإعلام اللغوي ، ص : 186 .

و بهذا فإن أهمية التبليغ تكاد تنحصر في الحسن من الكلام و آدائه لأن المعاني قاسم مشترك واضح المعالم مهما كان غرضه أو طريقة إيصاله .

و إذا كانت الكلمة المفردة تمثل الوحدة التحليلية الأولى للكلام فإن المدلول الإفرادي لتلك الكلمة هو بمثابة الوحدة التحليلية الأولى للمعنى في هذا الكلام [1] ، و يمتد هذا الإدراك التحليلي للكلام إلى منطقة مدى تأثير الرسالة على الملتقى ، و هذا بصياغتها وفق أغراض المتكلمين و مقاصدهم ، لذلك يجب أن يكون التحرك التعبيري يؤدي وظيفته وفق اللفظ المؤثر في الموضع المناسب و يقصد به " وضع الشيء الموضع اللائق به ، و ذلك يكون بالتوافق بين الألفاظ و المعاني و الأغراض من جهة ما يكون بعضها في موضعه من الكلام متعلقا و مقترنا بما يجانسه و يناسبه و يلائمه من ذلك " .[2]

و أما عبد القاهر الجرجاني فهو يعتبر الألفاظ أوعية للمعاني تتبعها في مواضعها ، " فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس ، و جب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق "[3] و هذا ما أشار إليه ابن سينا سابقا في قوله : : " كلما خطر المعنى أدرك اللفظ ، و كلما سمع ذلك اللفظ أدرك المعنى ، لا أن اللفظ هو ذلك المعنى " [4] ، و هذا ما لفت انتباه إبراهيم إمام ، حيث لاحظ أنه هناك مجتمعات كثيرة تخلط بين اللفظ و المعنى و بين الرمز و الشيء ، فالراية الحمراء رمز للخطر و لكنها ليست الخطر نفسه ، و كلمة الموت لا تلفظ صراحة في معظم اللغات ، و إنما يستعاض عنها بألفاظ مختلفة دفعا لشر هذا الرمز .[5]

و لهذا فإن الرموز اللغوية هي مفاهيم ترتبط بذهن من ينطقها أو على أساس أنها محرك يثير معنى ما ، لأنك " لا تطلب اللفظ بحال و إنما تطلب المعنى ، و إذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك و إزاء ناظرك "[6] .

و اللافت هنا أن المنهج الإعلامي في اللغة هو منهج لوصف المضمون للرموز المستخدمة في عملية التواصل الإعلامي بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل [7] ، و إن كانت اللغة أكبر وسيلة معقدة في التواصل إلا أنها كما يقول عبد القاهر الجرجاني : " من حيز المعاني دون الألفاظ ، و أنها ليست لك حيث تسمع بأذنك ، بل حيث تنظر بقلبك و تستعين

[1]-ينظر : حسن طبل ، المعنى في البلاغة العربية ، ص : 11 .
[2] -حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص : 153 .
[3]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص: 104 و ص: 106 .
[4]-ينظر : حسن طبل ، المعنى في البلاغة العربية ، ص : 14 .
[5]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص 172 .
[6]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 110-111 .
[7]-ينظر : عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص : 109 .

بفكرك ، و تعمل رويتك و تراجع عقلك ، و تستنجد في الجملة فهمك ، بلغ القول في ذلك أقصاه ، و انتهى إلى مداه " [1] .

و بنظرة موضوعية لا يمكن الجزم إلا بأن الربط بين الرمز و المدلول حقيقة لا مناص منها و إن كان الحديث عنها جدل اختلف في كيفية دراسته من قديمها إلى حديثها .

1-3-الإيجاز و الإطناب :

تمتد البلاغة العربية منطلقاتها من عدة آليات ذات مفاهيم عميقة الجذور أرسى قواعدها العديد منن العلماء و الدارسين ، حيث تشرئب من هذه الأسس عدة روافد من بينها مفهومي الإيجاز و الإطناب أثناء ولادة رسالة تواصلية بمختلف أغراضها النفعية أو الأدبية .

إن المرسل يبلغ رسالته ضمن سلسلة كلامية أو إشارية في كم محدود بين الغرض و الموقف التواصلي الذي قد يطول أو يقصر كسبيل للمفاضلة التي يفرضها المقام و محتوى و غرض الرسالة و هذا ما قد وصفت به البلاغة العربية ضمن مساواة اللفظ و المعنى ، تربطهما علاقة الوضوح و عدم التكلف التي قد أشار إليها الجاحظ في قوله : " و متى شاكل ـ أبقاك الله ـ ذلك اللفظ معناه و أعرب عن فحواه ...، و تسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن الموقع و بانتفاع المستمع"[2] ، فضرورة الوضوح و التبسيط ظاهرة أساسية ترافق المنهجية السليمة التي تكفل نجاح التبليغ و تفسير مضامينه ، " و حسبك من ذم التكلف أن الله عز و جل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتبرؤ منه ، فقال : << قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ >> [3].."[4]

و الواضح هنا أن البلاغة العربية تنصرف عن هذه الخاصة و إن كانت منبع الطاقات الزخرفية الأدبية في كتابة بعض أنماط الرسائل ، ذات القوالب الفنية الإبداعية كالشعر أو حتى في بعض الرسائل العادية ، و هذا لخدمة القصد و الغرض من التبليغ ، فيجب أن " لا نظن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ و التعميق في المعنى ، فإن أصل الفصيح من الكلام ما أفصح عن المعنى و البليغ ما بلغ المراد "[5] ، و يقصد بالفصيح من الكلام : " ما أفصح عن معانيه و

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص : 112 .
[2]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 2 ، ص : 340 .
[3]-سورة ص الآية 86 .
[4]-قدامة بن جعفر ، نقد النشر ، ص : 105 .
[5]-المصدر نفسه ، ص : 105 .

لم يحوج السامع إلى تفسير له ، بعد ألا يكون كلاما ساقطا أو الألفاظ العامة مشبها "[1].

بناءا على هذا المفهوم نميز بين الإيجاز و الإطناب في بناء النصوص التي تستخدم اللغة بسائر أنظمتها ، استخدما نفعيا أساسه إيصال الأفكار .

و لعلى بعض كتابات الجاحظ التي لا نكاد نجدها تخلو من تركيزه على الإيجاز ، دليل على عنايته في توصيل المعنى في أحسن صورة ، و بأيسر و أسرع الطرق و بتأثير أشد في الملتقي .

حيث أورد الجاحظ نصوصا كثيرة تدل على مدى الأهمية التي يوليها للإيجاز ، و من ذلك قوله : " رب قليل يغني عن الكثير ..."[2] و أيضا : " بل رب كلمة تغني عن خطبة و تنوب عن رسالة "[3] ، و المتأمل لهذا النص يدرك دقة الجاحظ في تناوله لهذا الموضوع ، فقد يكثر المتكلم الكلام لكن بدون أن يبلغ المعنى المراد ، في حين قد يعبر عن معناه هذا بكلمة واحدة فتكون شافية و كافية .

و بالتالي فهي ترتبط بمفهوم :" الكمية - في رأيه - ثم بالمقابل يعيد ليستدرك وجهة نظره ليربطها بمفهوم آخر هو " الكيفية" على أن " الإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف و اللفظ و قد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار [4] فقد أوجز "[5] .

و بالإضافة إلى ما سبق ثمة تعاريف أخرى ، من بينها تعريف السكاكي في المفتاح ، على أن الإيجاز " هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط "[6] ، و هذا الأداء هو ما يميز بلاغة البلغاء ، و مطلب كل من أراد تبليغ غرضه للمتلقي و في تفضيله قيل : " يقول جعفر بن يحي لكتابه إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا ، و قال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز فإن له إفهاما ..."[7] .

بل و أكثر من هذا ، فقد وصف الكلام به و توج به و اعتبر أحسن صبغة تنطبع به ، كوصف الصائغ الذي سئل عن أحسن الكلام فقال : خير الكلام ما

1-قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 105 .
2-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص : 340 .
3-المصدر نفسه ، ص : 340 .
4-طومار : الصحيفة ، ينظر الجاحظ ، الحيوان ، ج1 ، هامش ص : 91 .
5-الجاحظ ، الحيوان ، ج1 ، ص : 91 .
6-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ت:عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العربية ، لبنان ، ط 2000 ، ص : 387 .
7-أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 179 .

أحميته بكير الفكر و سكته بمشاعل النظر ، و خلصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الإبريز ، و مركبا في معنى و حيز "[1] .

و عن أمثلة المجاز فهي كثيرة و المقام لا يسعنا التبحر فيها ـ خاصة المعجزة هذا التي وضعت فيها ألفاظ التي لا يتناهى معناها بل يكاد قارئها أو سامعها يخر لها سجودا ، و نقتصر على ذكر هذا المثال في قوله تعالى : << هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ >>[2] ذهابا إلى المعنى : هدى للضالين الصائرين إلى التقوى بعد الضلال ، لما أن الهدى ، أي الهداية إنما تكون للضال لا للمهتدي " [3] .

أما عن دور الإيجاز في الرسالة التبليغية فهو كشكل من أشكال احترام المتكلم لوقت القارئ و السامع بحيث يبعد عنهما الملل [4] ، و لهذا فعلى الكاتب التلفزيوني أو الإذاعي مثلا أن ينتقي ألفاظا ذات المعاني المتجددة الواضحة و الموجزة ، تبتعد عن الحشو الذي قد يشتت ذهن و تركيز المتلقي ، فتفقد هذه الرسالة فعاليتها .

و هذا ما أكد عليه الجاحظ من بعد عن الصنعة و الغرابة و الكلام الوضيع [5] ، و أكثر من هذا أنه قد أورد مراد قاله في قوله : " ...و في الاقتصاد بلاغ "[6]

و عن هذا المرادف تحدثت البحوث و الدراسات المعاصرة كثيرا بما يعرف بالاقتصاد اللغوي **L'économie linguistique** .

و هذا الاقتصاد هو مبدأ سيميائي هام منظم للسلوك اللغوي ، و هو يعنى بترتيب العناصر اللغوية على نمط يسهل عملية التواصل .[7]

و يقوم هذا المبدأ من منظور متكامل بين الوحدات اللغوية المحدودة من جهة و بين وظيفتها التبليغية من جهة أخرى ، و قد عبر عنه أندري مارتيني (1908) ـ صاحب هذا المفهوم ـ عن مغزاه الحقيقي في قوله : " لا يمكن أن نحصر معنى << الاقتصاد >> في معنى التقتير (**Parcimonie**) ، كما فعل ذلك باسي (Passy) حين قابل كلمة << الاقتصاد >> بكلمة <<التبذير >> (**Emphase**) ، بل إن << الاقتصاد >> يشمل كل شيء : تقليص كل تمييز غير

---

[1]-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 365 .
[2]-سورة البقرة ، الآية 02 .
[3]-المصدر نفسه ، ص 388 .
[4]-ينظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، ص : 104 .
[5]-ينظر: الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص 157 .
[6]-المصدر نفسه ، ص : 158 .
[7]-ينظر ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ و الأعلام ، ص : 59 .

مفيد ، و إظهار تمييزات جديدة ، و الإبقاء على الوضع الراهن (Statu quo) ، فالاقتصاد اللغوي هو التآلف بين كل القوى المتواجدة "[1] .

و بناء على ما سبق ، فالاقتصاد اللغوي هو ما يمكن من أداء وظيفة التواصل بأقل جهد ذهني و بدني ممكن ، و الذي يساعد على تحقيق هذا المبدأ ، هو مبدأ التقطيع المزدوج (**Double Articulation**) ، و به تتم عملية التواصل بواسطة عدد محدود من الفونيمات [2] و المونيمات [3] .[4]

و من أشكال الصياغة اللغوية و التتابعات اللفظية التي اهتم بها البلاغيون أيضا " الإطناب" و قد ربط بالتواصل و التبليغ لأن : " النطق إنما هو بيان و البيان لا يكون إلا بالإشباع ، و الشفاء لا يقع إلا بالإقناع ، و أفضل الكلام أبينه ، و أبنيه أشده إحاطة بالمعاني " [5].

و عن تعريفه في القول بأنه : " أداؤه بأكثر من عباراتهم ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل " [6] ، هذا يعني وجود علاقة تربط بين الإطناب و مفهوم " الكم " و كثرة استعمال الألفاظ و المعاني و الجمل إلى أن يتجاوز في بعض الأحيان مفهوم الإطالة و الإكثار أو الحشو.

و لعلنا هنا نقف عند هذا الموضوع قليلا ، خاصة و أن أبا الهلال العسكري قد فرق بين الإطناب و الإطالة قوله : " فالإطناب بلاغة ، و التطويل عي ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا ما يقرب ، و الإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة "[7] ،و عن هذه الزيادة المفيدة التي التي يقتضيها الكلام عند طلب الإيضاح بعد الإيهام ، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و التوضيح [8] ،حيث قال الخليل : " يختصر الكتاب ليحفظ و يبسط ليفهم " [9] .

---

[1]-أحمد مومن ، اللسانيات ، النشأة و التطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2002 ، ص : 155 عن :
André martinet , Economie des changements phonétique (Berne Franck édition) , 1955 , P : 97 .

[2]-الفونيم : عرفه " تروبتسكوي " (1890-1938) : " الوحدة الصغرى المميزة أي هو أصغر وحدة يمكنها ، في مستوى الدال ، أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين " عن ميشال زكريا ، الألسنة ، ص : 237 .

[3]-المونامات : هي الوحدات المتتابعة التي تحتوي على دلالات مثلا جملة " جاء الرجل " تحتوي على ثلاثة مونامات " جاء " و " ال " و " رجل " ، ينظر : المرجع نفسه ، هامش ص : 33 .

[4]-ينظر : الطيب دبة ، مبادئ في اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستمولوجية ، دار القصبة ، الجزائر ، 2001 ، ص : 108

[5]-أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 196 .

[6]-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 388 .

[7]-المصدر السابق ، ص : 197 .

[8]-ينظر : الخطيب القز ويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني و البيان و البديع (مختصر تلخيص المفتاح) ، ت: الشيخ بهيج عزاوي ، دار أحياء العلوم ، بيروت ، ص : 186 .

[9]-المصدر السابق ، ص : 198 .

و من المواطن التي تستدعي الإطناب ألوانا مختلفة يستصديغها المستمع أو القارئ ، نظرا لورودها في السياق كضرورة طبعتها صدق الإحاطة بالموضوع ، و دقة التصوير ، نذكر ما جاء في القرآن الكريم مثلا " قول الخضر لموسى عليه السلام ، في الكرة الثانية << أَلَمْ أَقُل لَّكَ >>[1] بزيادة (لك) لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان قدم له ممن << إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا>>[2] ، [3]و أيضا في سورة الرحمان نجد التكرار الداعي لتجديد الإقرار بالنعم و اقتضائهم الشكر عليها ، وأيضا سورة المرسلات لتأكيد إقامة الحجة و الإعذار [4]و من جهة جهة أخرى " قيل لبعضهم : متى يحتاج إلى الإكثار ؟ قال : إذا عظم الخطب و أنشد :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَمْتُ زُينَ أَهْلُهُ وَ فَتَّاقُ أَبْكَارِ الكَلاَمِ الـمُحَبَرِ

و قال آخر :

يَرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِوَالِ و تَارَةً وَ حَيَ الـمُلاَحِظِ خَشْيَةَ الرُقَبَاءَ "[5]

و مما يسترعي الانتباه هو أن التكرار ظاهرة لغوية يجوز استغلالها في النصوص و الرسائل بحكم تفعيلها ضمن المقام كمؤشر مساعد على فهم الأداء اللغوي و ضمان نجاح العملية التبليغية كتأكيد على أولوية الفهم و الإفهام و ضرورة رفع اللبس عن كل عمل لساني منظم .

كما يستعمل التكرار ليؤكد به المتكلم القول للسامع و قد جاء في القرآن و فصيح الشعر منه الكثير ، كقوله تعالى : " كَلاَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ " [6] فيكون للتوكيد .[7]

كما قد حدد قدامة بن جعفر في كتابه " نقد النثر " بعض مواقع الإكثار أهمها : [8]

1-في تفسير الجمل و توضيحها .
2-إفهام العامة .

---

[1]-سورة الكهف الآية 75 .
[2]-سورة الكهف الآية 67-72-75 .
[3]-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 394 .
[4]-عبد المنغم خفاجي و عبد العزيز شرف ، التفسير الإعلامي للأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1991 م ، ص : 252-253 .
[5]-أبو الهلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 198 .
[6]-سورة التكاثر الآية 4-5 .
[7]-ينظر أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 199 .
[8]-ينظر قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 103 .

3-الاتصال من أعلى مستوى إلى أقل مستوى ، كخطاب الأئمة و الرؤساء للجمهور .

و عبر عن ذلك أهل التواصل على أن أي زيادة في الحروف و التركيبات ضرورة في التقليل من قدر التشويش ، نظرا لزيادة احتمالات فهم المستمع ، و بالتالي تساعده على فك رموز المرسلة و إدراك معنى الرسالة [1] ، فهي إذن مصدر من مصادر إزالة بعض مصادر التشويش الدلالي و لبس الفهم .

و هذا بالفعل ما أدركه البلاغيون العرب باسم " الحشو " كصورة مقابلة لمفهوم الإطناب و تم تقسيمه إلى ضربين هما : [2]

1-ما يفسد المعنى : كقول أبي الطيب :

وَ لاَ فَضْلَ فِيهَا للشَجَاعَةِ و النَدَى وصَبْرُ الفَتَى لَوْلاَ لِقَاءِ شُعوبِ

فإن لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى لأنه لا فضل للشجاعة و الصبر و الندى لولا وجود الموت ، و هكذا فالحكم صحيح في الشجاعة دون الندى .

2-ما لا يفسد المعنى : كقوله :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَأْسِ و الوَصْبِ

فإن لفظ الرأس حشو لا فائدة منه لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس .

و هكذا يمكن أن نستنتج أن على المرسل أو المتكلم أن يكون عارفا بتصاريف الكلام ، أين يستعمل المجاز في موضعه الحسن و الإطناب أيضا في الوضع الحسن ، فمتى يستعمل كل من الإيجاز و الإطناب ؟ .

أجاب أبو هلال العسكري من هذا الإشكال حين قال : " الإيجاز للخواص ، و الإطناب مشترك فيه الخاصة و العامة ، و الغبي و الفطن و الريض و المرتاض ، و لمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا "[3].

فالإيجاز بمفهومه خاص لطبقة معينة من المستمعين و هم فئة خاصة لها القدرة و الفطنة ما يمكنها من تفكيك رموز هذه الرسالة في حين أن الإطناب قاسم مشترك بين الخاصة كالطبقة المثقفة مثلا ، أو ذي المهارات الإدراكية العالية و العامة من الجمهور ، خاصة رسائل الرؤساء لشعوبهم .

و من المفيد في هذا السياق الإشارة إلى ما فصله قادمة بن جعفر عن مواضع الإيجاز قوله : " فأما المواضع التي ينبغي أن يستعمل كل واحد منها فيه ، فإن الإيجاز ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة ذوي الأفهام الثاقبة ، الذين يجترئون بيسير القول عن كثيره و بمجمله عن تفصيله "[4] ، ثم يقصى بعض

---

[1]-ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير ، ص : 64 .
[2]-ينظر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص : 171-172 .
[3]-أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 196 .
[4]-قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص : 97 .

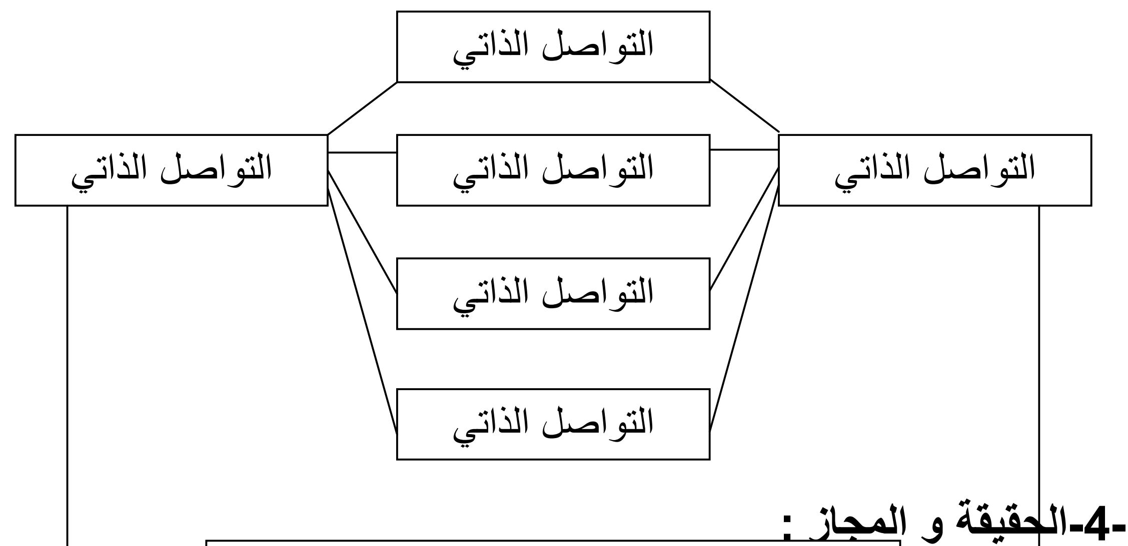
الحالات التي توجب الاختصار كالمواعظ و السنن و الوصايا التي يراد حفظها و نقلها كأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .[1]

و أما عن مواضع الإطناب فقال عنها أنها تستعمل : " في مخاطبة العوام من ليس ذوي الأفهام و من لا يكتفي من القول يسيره ، و لا ينفتق ذهنه إلا بتكريره و إيضاح تفسيره "[2] كتكرير القصص في القرآن الكريم كقصة هود و موسى و هارون و شعيب و إبراهيم و غيرهم و كذلك ذكر الجنة و النار و أمورا كثيرة .[3]

و لعل من أهم ما استقر في الأذهان بعد هذه الإشراقة و الإلتفاتة إلى ثنائية الإيجاز و الإطناب ، أن نستنتج بأنه يمكن ربط مفهوم الإيجاز بأنماط خاصة من أنواع التواصل ، فقد ينحصر في التواصل الذاتي أو التواصل المواجهي أو الوسيطي في حسن أن الإطناب قد يشمل كل هذه الأنماط و يزيد عليها بالتواصل الجماهيري الذي يرتبط به بصورة أكثر وضوحا .

و على ضوء هذا فإن الثنائية المذكورة ، ما هي في عملية التواصل غالبا إلا وسيلة نسقية في ترتيب العناصر اللغوية ، على نمط يسهل عملية التبليغ .

و هذا ما يتضح في الشكل التالي :



4-الحقيقة و المجاز :

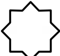
يحتل الح... الدراسات البلاغية التي تهتم بمستويات الدلالة و الفرق بينهما ، خاصة ذلك الجدل العقائدي حولهما ، و لهذا سنحاول النظر إلى هذه المسألة من وجهة إبلاغية ، و في كيفية تأثيرها على التواصل و كيف يمكن للمجاز أن يساهم في تبليغ المقاصد لمختلف المتلقين و الوسائل الوسيطية في ذلك .

---

[1]-ينظر المصدر نفسه ، ص : 97 .

[2]-المصدر نفسه ، ص : 97 .

[3]-ينظر : الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص: 72 .



و سوف نحاول من خلال الجدول الموالي إلمام شتات أوجه التقابل بين هذه الثنائية ضمن نقاط مختصرة و هي:

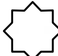
الفارق	الحقيقة	المجاز
التنصديص [1]	بأن يقول واضع اللغة : 1-أهذا حقيقة :[مثلا " البلق (و هو مجموع البياض و السواد) متى أستعمل " البلق" في الخيل .	2-و ذاك مجاز ، متى استعمل في غيرها .
الاستدلال [2]	إذا أيطلق اللفظ ففهم معناه بدون قرينة ، علمنا أنه حقيقة ، مثلا : " جاء الولد "	إذا أحتاج اللفظ إلى قرينة تحدد معناه علما ، أنه مجاز مثال : قال تعالى : " وجاء ربك "[3] فإنه يستحيل عقلا تعليق المجئ بالذات فالمعنى : جاء أمر ربك.
الاستعمال [4]	تستعمل الحقيقة يوميا لأداء الوظيفة الأساسية للغة و المتمثلة في التبليغ و التواصل	يستعمل المجاز لغرض بلاغي و لأغراض أخرى [التعظيم ، التحفيز ، تلطيف المعنى...]

[1]-السيوطي ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، صيدا ، بيروت 1986 ، ج1 ، ص : 363 و أيضا العلوى ، الطراز ، مكتبة المعارف الرياض ، ج1 ، ص:291 .
[2]-المصدر نفسه ، ص : 363 و أيضا الطراز ، ج1 ، ص :92-93 .
[3]-سور الفجر ، الآية 22 .
[4]-المصدر نفسه ، ص : 364 .

القياس [1]	يمكن القياس على الحقيقة كأن يقال : ضرب ، يضرب ، فهو ضارب فيطلق الإسم على كل ضارب إذ هو حقيقة .	لا يمكن القياس على المجاز كأن يقال : اسأل الثوب قياسا على " وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا"[2] و ذلك لإمكانية تأويل الآية في المحور الإستبدالي [اسأل أهل القرية] و لاستحالة التأويل في المثال : اسأل الثوب
الاشتقاق[3]	يمكن اشتقاق الصفات من الحقيقة، فيقال: أمرا،يأمر،آمر،مأمور. صيغة الجمع في اللفظ المستخدم فلفظ "أمر" الذي هو ضد النهي يجمع على "أوامر" فيكون على الحقيقة ك:أمر الأستاذ الطالب أمرا.	لا تشتق منها الصفات والتفريعات الأخرى. صيغة الجمع في اللفظ المستخدم استخداما مجازيا تختلف عنها في الحقيقة و"الأمر" الذي القصد و الشأن يجمع على "أمور" كقوله تعالى:"وما أمر فرعون برشيد" أي أحواله وأفعاله وشؤونه.

الاطراد[1]	الحقيقة يطرد واستخدامها في كل	يطرد المجاز في مواضع

[1]-المصدر نفسه ، ص : 364 .
[2]-سورة يوسف الآية 82 .
[3] - السيوطي المزهر ج1 ص: 364



	الأحوال [لأن الحقيقة إذا وضعت لإفادة شيء وجب اطرادها وإلا ناقض ذلك اللغة فلفظ "الأب" يطلق على الواحد حقيقة]	ولا يطرد في أخرى [امتناع الإطراد مع إمكانه أن يدل على انتقال الحقيقة إلى المجاز كتسمية الجد"أبا"فإنه لا يطرد].
التعلق[2]	يطلق على اللفظ حقيقة "على ما يصبح تعلقه به كقوله تعالى:"...ولا طائر يطير بجناحيه"[3]تعلق الجناح بالطائر حقيقة.	يطلق اللفظ على ما لا يصح تعلقه من جهة المجاز: كقولنا: حضر الطبيب على جناح السرعة وتعليق""الجناح"بالسرعة مجازا [تعليق على جناح "حضر"تعليق مجازي]
الشرط[4]	لا يشترط في الحقيقة أن تسبق مجاز فقد تكون حقيقة بالوضع أو مجازا كثر استعماله فالحق بالحقيقة	يشترط في المجاز أن يسبق بالحقيقة فإطلاق لفظ "الأسد" على الشجاع يسبقه إطلاق اللفظ على الحيوان المفترس دلالة وضعية.

التأكيد[5]	الحقيقة توكد لينفي عنها المجاز،كقوله تعالى:"وكلم الله موسى تكليما"فنعني عن كلم المعنى المجازي.	المجاز لا يؤكد، فمثلا في قوله تعالى:"فَوَجَدَ فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ"لم يؤكد "يريد"ب"إرادة"، لأنه استخدم مجازا فالمريد، الوحيد هو الله

[1] - المصدر نفسه ص64.
[2] - المصدر نفسه ص:64.
[3] - سورة الأنعام الآية 38.
[4] - المصدر نفسه ص:363.
[5] - المصدر السابق ص363.

		جلت قدرته.
التأويل[1]	لا يحتم ل الحقيق ة التأوي ل ف ي الغال ب وقلنا:"في الغالب" لأنه يمكن تأويلها إذا لمحت من خلالها الكتابة (لأنها تحمل على الحقيقة أحيانا).	المجاز أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعا في القلوب والأسماع لاحتماله التأويل.

و مما يلفت النظر حول ما تقدم في هذا الجدول أن المجاز وسيلة فنية تستعمل لإثراء الرصيد المعجمي، وتحقيق القوة التعبيرية و الإبلاغية والاقناعية انطلاقا من التغير الذي يطرأ على الدلالة بذلك الخطوة الانتقالية في استعمال اللفظ لغير ما وضع له، والقارئ يمثل هذه المفاهيم قد يتصور أن المجاز غالبا هو تشويش دلالي وعائق في عملية التبليغ، أو حاجزا يقف أمام الوضوح والبساطة الموجودة دائما من التواصل في حين يعتبر تقنية تصويرية بدائية وسيلتها هي المخيلة وأدائها الألفاظ الملمحة.

وهذا ما قد جاوز به جاكبسون المجاز باعتباره مظهر من مظاهر البلاغة وتعدى به إلى أحدث مظاهر التواصل ألا وهي الرسم التكعيبي ومجاز السينما والأفلام في فن التصوير.[2]

أما عن العلاقات والقرائن الموجودة بين اللفظ في معناه الحقيقي والوضع الاستعمالي الجديد له لصلة ما من بينها:[3]

-السببية:بأن يطلق لفظ السبب ويراد المسبب

مثل:"رعى القطيع "الغيث" والمقصود بالغيث سبب النبات.

-المسببية: بأن نطلق لفظ السبب ونريد المسبب.

مثل: أمطرت السماء نباتا المطر سبب النبات

-الجزئية: وهو تسمية الشيء باسم الجزء بينما يراد الكل نحو:

الإسلام يحث على تحرير الرقاب" فالرقاب بدلا من العبيد.

-الكلية: وهي أن نسمي الشيء باسمه كله مثل:"أقام المتنبي في مصر"،نريد مصر هنا جزءا منها وليس كلها.

-اعتبارا ما كان نحو "شربت البن" المقصود "بالبن" منا القهوة وأصلها بن

-اعتبار ما يكون: نحو"إني أعصر خمرا" فالمقصود ب"الخمر" العنب إن الخمر لا يعصر.

-المحلية: بأن نذكر اسم المكان مع إرادة الكائن فيه، نحو: إني أخاف ركوب البحر".[4]

---

[1] - السيوطي: المزهر، ج1،ص:361.

[2] -ينظر:فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية ص:51-53.

[3] - ينظر: سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية ص:166.

[4] - ينظر: المرجع السابق ص176.

كما رأى بعض البلاغيين ضرورة وجود شروط تتدخل في هذه العلاقات المتبادلة أهمها:

أن يشوبها شيء من الستر والتخفي الشفاف، كل ذلك من أجل أن يتوصل المتلقي بنفسه،وبعد إهمال الذهن إلى اكتشاف الدلالة، وهذا الاكتشاف له من الإثارة النفسية ما يميط الملل في التبليغ ومن جهة أخرى ترسيخ وتوكيد غرض المعنى في ذهن المتلقي.[1]

وقياسا على ما سبق نقر بأن المجاز طاقة تبليغية تساهم في توصيل الرسالة خاصة الاقناعية منها لما تنطوي عليه من صيغ تأثيرية لها فائدة في عملية الأخبار، وهذا إثر نظرة ثاقبة للنصوص التراثية البلاغية التي تتجاوز اعتبار المجاز كطاقة تعبيرية وأداة فنية صالحة للشعر وتوسيع الخيال فيه إلى وظائف أخرى أهمها:[2]

1- تأنف النفس من ترداد الكلام بمعانيه الموضوعة له في الأصل لأن ذلك يولد السأم وبهذا يتدخل المجاز لتفريغ الكلام وتوسيع المعجم اللغوي لدى كل من المتكلم والمتلقي.

2-استعماله هو توكيد وترسيخ للمعنى مما يوجد حالا من التفاعل والانفعال بين طرفي التواصل، ومن جهة أخرى يؤدي إلى جعل المتلقي يقبل على الرسالة، فيتشرب معناها وتحفر له مكانا في ذهنه.

وهذا بالفعل ما أقره العلوي في كتابة"الطراز" حين قال:"...إذا عبر عن المعنى باللفظ الدال على الحقيقة حصل كمال العلم به من جميع وجوهه، وإذا عبر عنه بمجازه لم تعرف على جهة الكمال فيحصل مع المجاز تشوق على تحصيل الكلام"[3].

وما يلفت الانتباه أيضا تلك التعاريف الدقيقة التي تسند على الولوج إليها والتبصير في أهم مصطلحاتها التي لها صدى لساني حديث ألا وهو "اللغة والكلام" أو "التواضع والاستعمال"،فمن خلال تعريف السكاكي لعلم البيان يتضح ذلك في قوله:"هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية"،[4]ويقصد بالدلالات الوضعية، اللغة المتواضع عليها بين الأفراد والجماعات وهي الكلام، وهذا الأصل إن استعمل في بعض الجمل لا يمكنه فهمه وإدراك معناه إلا باستعمال الدلالات العقلية الناتجة عن أعمال الذهن وتعليق تلك العبارات هو أصلها، وهذا ما أشار إليه في قوله: "وقلت: خذ يشبه الورد، الممتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى الدلالات

[1] - ينظر المرجع نفسه ص:175.
[2] - ينظر المرجع نفسه،ص175.
[3] - العلوي الطراز، ج1 ص:82.
[4] - السكاكي،مفتاح العلوم ،ص:437.

الوضعية"[1]بل يمكن فهمها:"في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر وثنان ولثلاث..."[2].

ومن التعاريف الدقيقة للحقيقة والمجاز، قول ابن جني: "الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة بمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[3].

وفي هذا النص دقة متناهية في حدة الحقيقة، فلقد ذكر مصطلحي "اللغة" و"الاستعمال" معا، و علق بالأول مفهوم "المواضعة" والثاني "فعل الإقرار".[4]

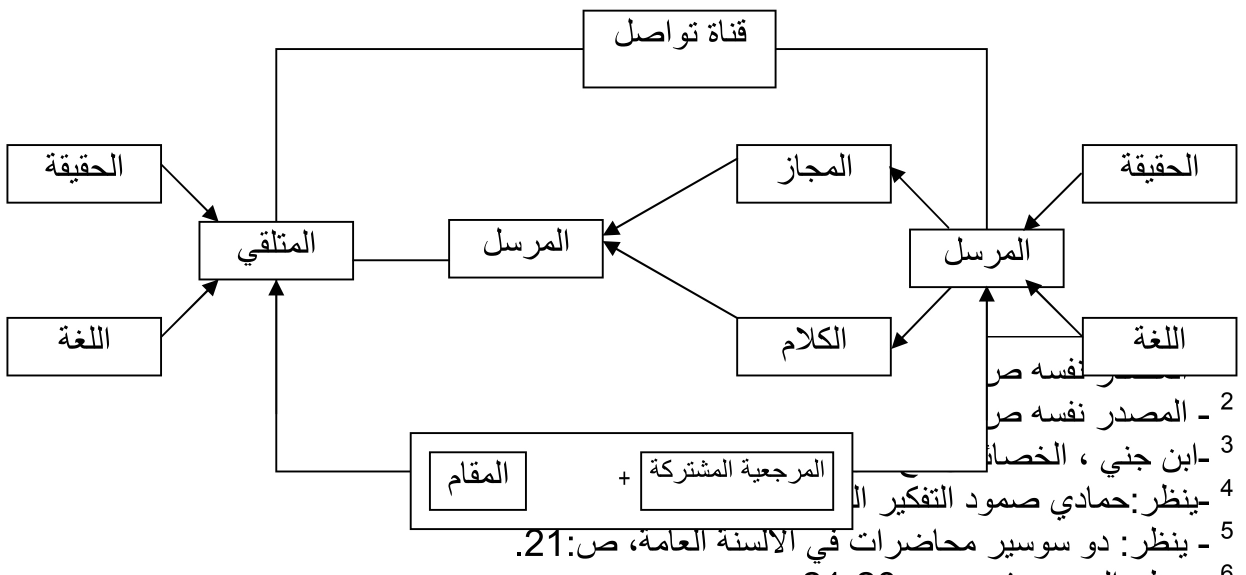
ومن زاوية أخرى فإن المجاز هو احتمال في اللغة وحدث طارئ على الحقيقة مرتبط بها ومن هذه المعطيات يمكن التوصل إلى أن:

1-أن الحقيقة في مفهومها البلاغي تقابل اللغة في نظر دي سوسير حيث يعتبرها واقعة اجتماعية، أو هي مجموع كلي متكامل ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الناطقتين بلسان معين[5].

وبالتالي فالتواصل داخل حقل مشترك ومرجعية موحدة لدى الأفراد عامل مساعد على إقرار فعالية ونجاح التواصل وبلوغ الغايات، باعتبار الحقيقة واقع اجتماعي ثابت ، ومثال ذلك كتحدث الأجنبي مع العربي لا يوجد بينهما تقاطع ثقافي، فالتخاطب بين لسانين مختلفين وحقيقتين متباينتين يحكم عليها عادة بالفشل.

2-أما عن المجاز فهو ما اسماه دو سوسير بمصطلح "الكلام" باعتباره فعل كلامي ملموس ونشاط شخصي يتجلى في تواصل الأفراد متشابهة أو كتابة،[6] أي أن المجاز انطباع شخصي فردي.

ونستطيع مما سبق إجمالا التعبير عن أهمية الحقيقة والمجاز في عملية التواصل من خلال الشكل التوضيحي التالي:



[1] - ... نفسه ص
[2] - المصدر نفسه ص
[3] -ابن جني ، الخصائ...
[4] -ينظر:حمادي صمود التفكير ال...
[5] - ينظر: دو سوسير محاضرات في الألسنة العامة، ص:21.
[6] - ينظر:المرجع نفسه، ص 20-21.

2-الخطابة العربية:

تبنى اللغة عادة من تراكيب متكاملة ضمن نسق تكويني،يفجر طاقات إعلامية مختلفة التشكيلات، ومن هذه المستويات اللغوية الهامة في التاريخ الإسلامي وقبله ما يعرف بالخطابة العربية التي عرفت بلغتها التواصلية الثرية الفاعلة مع الواقع والجمهور له نسيج اجتماعي التأثيري و الإقناعي بشتى مستوياتها وتطورها مع العامل الزمني.

ولعلى قوة هذه السلطة جاءت إثر ارتباطها بالبلاغة، لأنها من أهم مقومات التي تقتضي من الخطيب أن يكون على بينة من أمر يوجه كلامهم ليتمكن من بلوغ مرامه،[1]وباعتبار الكلام معقد الروابط بين الأفراد ووسيلة مد الجسور بين الجماعات، أدرك الإنسان أهمية الكلمة وجعلها وسيلة في التعامل من أجل إنجاز أغراضه فلا غرابة إذن أن تغدوا الخطابة العربية مهادا لحضارة التبليغ والإعلام على مدى الأزمان،[2]وإن كانت هذه الخطابة فنا أدبيا إلا أنها تختلف عن باقي الفنون لأنها تهدف إلى التأثير والإقناع معبرة عن عقلية الخطيب ورأيه في مشاكل الوجود، ومن جهة أخرى تختلف عن النقاش وإن كانت تعتمد على الأقيسة المنطقية والعقلية.[3]

وقبل الولوج إلى الإطار التاريخي لهذا القالب الفني الخاص، لا يفوتنا إلا ابتداء بخطابة أرسطو الذي تناول هذا الموضوع بالشرح أين وضع للخطابة أصولا و قواعدا وعرفها على أنها "الكشف عن الطرق المختلفة للإقناع في أي موضوع كان"[4].

كما يعتقد أرسطو أن وسائل الإقناع تعتمد على المنطق والتفكير المنطقي أولا، وعلى فهم الخلق الإنساني والخبر ثانيا، وعلى فهم الأحاسيس والمشاعر وطرق استثمارها.[5]

---

[1] - ينظر: انطوان القوال ـفن الخطابة-كتاب القارئ ـط1 1996 ص:11.
[2] - سينظر:عشراتي سليمان الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، ص25.
[3] - ينظر انطوان القوال ـفن الخطابة ، ص11.
[4] محمد عبد الرحيم عدس ـ فن الإلقاء- دار الفكر ط1-1995 ص:52
[5] - ينظر المرجع نفسه ص52.

وعبر أرسطو عن مفهوم الخطابة بمصطلح "الريطورية"[1] على أنها قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة. كما عبر عنها شوينهور schopenhauer بقوله:"هي ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آرائنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم"[2]، كما أضاف ضرورة التفاعل والتأثير في قوله :"وجماع القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا ويجب أن نصل إلى هذه النتيجة بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات وذلك بقوة تجعل أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهه الأولي لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها"[3].

أما عن الخطابة العربية الإسلامية بمختلف عهودها قامت بدور اجتماعي وسياسي وتعليمي وديني عام لها منزلة كبيرة، فصارت سلاح إنساني في السلم والحرب، كما أنها ذخيرة يستنجد بها الزعماء والساسة.

ومن خلال أهم الكتابات حول الخطابة العربية التي استنطقها العلماء، استدرجت مجموعة من المفاهيم نذكر منها:

1-2-1-تعريف الخطابة لغة:

أن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب،خطابة،واشتق من "الخطب" و الأمر الجليل، والاسم منها مثل راحم، وإذا جعل وصفا قيل:"خطيب.[4]

وعلى العموم تحليل مادة (خطب) ومشتقاتها في المعاجم العربية على المعاني التالية:

1-الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة صغر أو عظم

2-المواجهة بالكلام، أو مراجعة الكلام، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب و المشاورة، فنتناول المادة والموضوع والوسيلة في آن واحد،[5]وهكذا فالخطابة مفاعلة بين طرفين بمعنى اشتراك بربط بين الخطيب والمستمع وهذا ما يذكرنا بمفهوم التبليغ والتواصل.

1-2-2-الخطابة اصطلاحا:

وأما عن تعريفها كفن نثري، فهي كلام يلقى إلقاء أمام جمهور مستمع يهدف إلى توضيح أمر للجدل لتوجيه هذا الجمهور واستمالته بإشارة العاطفة[6].

---

[1] -و نظرا لأهمية - ريطورية - أرسطو و الدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة على التأثير في الرأي العام الوطني ، و الدولي و توجيهه بادرت الولايات المتحدة منذ عقود إلى إعادة الاعتبار إلى هذه البلاغة باعتبارها مادة مستقلة في التعليم خاصة - بفن التواصل و خطاب الإقناع-. ينظر : محمد العمري - في بلاغة الخطاب الإقناعي - دار الثقافة -ط1 ، 1986 ص:15

[2] -ينظر المرجع السابق ص 9.

[3] -ينظر المرجع نفسه ص 10.

[4] -ينظر: قدامة بن جعفر -نقد النثر -ص:93-94.

[5] - ينظر : محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ص 13.

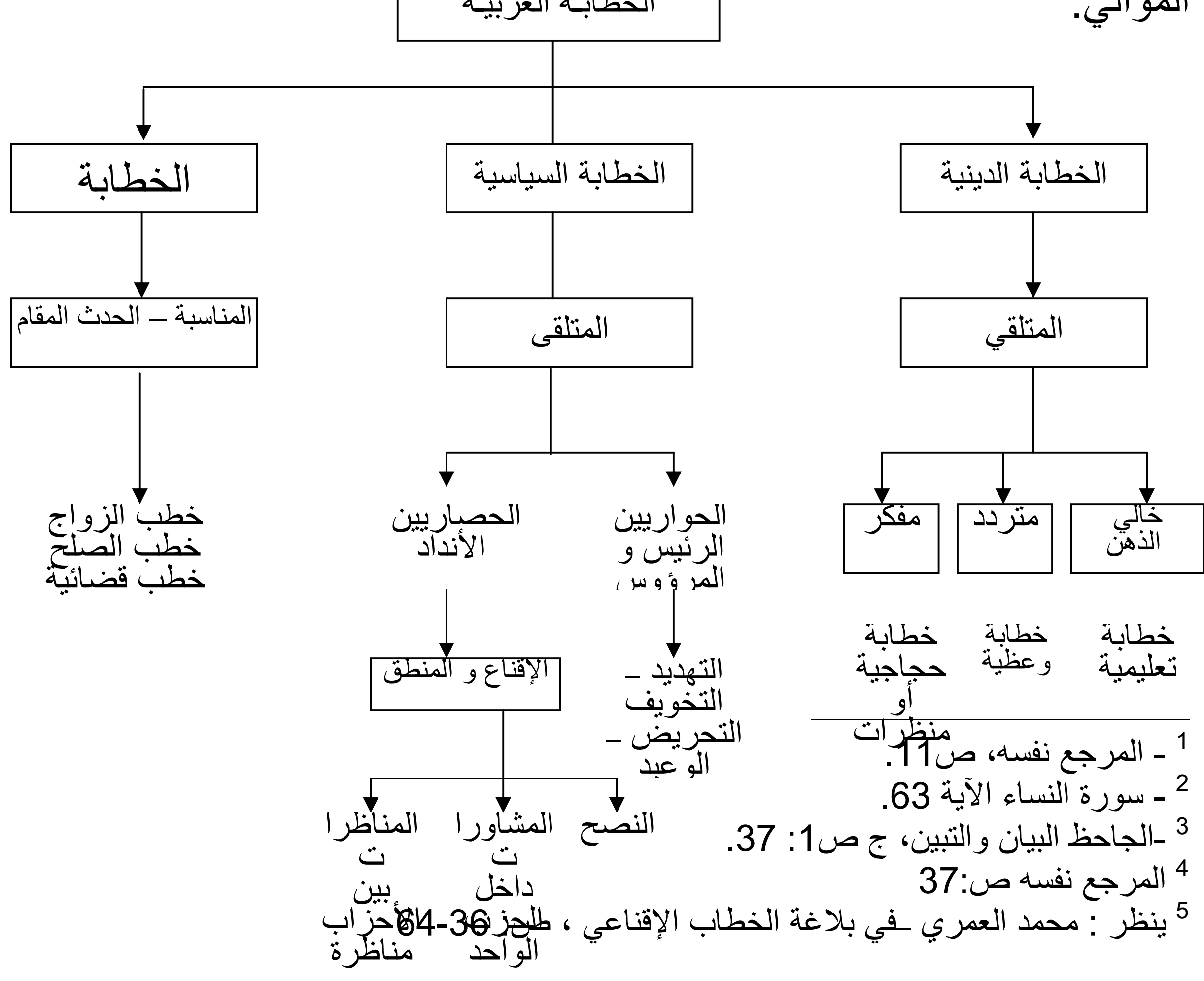
[6] - ينظر: انطوان القوال فن الخطابة ص:11.

وقد اختصرها سعيد تقي الدين بأنها :"إقناع أو اقتلاع، والخطيب الناجح هو الذي يمحو من أفكار مستمعيه ما يود أن يقتلع ، والذي يعزز في أهانهم ما يرغب أن يبشر به".[1]

فالخطابة مظهر من مظاهر الحضارة السمعية، جوهرها قائم على استمالة الجمهور وإيقاظ انتباههم وإحساسهم و تحذيره ، فهي إذن خطاب إلى العقل والعاطفة تقتضي التأثير والتغيير معا، وهذا ما أشار إليه الجاحظ حينما ربط القول بالإقناع، مستشهدا بقوله تعالى :"وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا"[2]، ليس يريد بلاغة اللسان، وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة".[3]

وما دام الدرس البلاغي قد اتخذ الاستمالة والإقناع أهم الأهداف، فإن الخطابة نهجت منهجا إجرائيا للتبليغ ولكي تنجح رسم لها الجاحظ خطوطا عريضة في قوله:"رأس الخطابة للطبع، وعمودها الدربة و جناحها رواية الكلام، وحيلها الإعراب، وبها تخيز اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"[4].

والناظر في الخطب العربية عبر أعقاب التاريخ الإسلامي يلاحظ أنها كانت متنوعة مختلفة من ناحية المحتوى والمستوى اللغوي المستعمل فيها ، وحتى الغايات وانطلاقا من موضوعاتها أطال العلماء في تقسيمها وشرحها وتفصيل دقائق أنواعها، والمقام الذي نحن فيه يلزم منا اختصار أهم معطياتها في الشكل الموالي:[5]



[1] - المرجع نفسه، ص11.
[2] - سورة النساء الآية 63.
[3] -الجاحظ البيان والتبين، ج ص1: 37.
[4] المرجع نفسه ص:37
[5] ينظر : محمد العمري -في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ط2، 36-64

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نستنتج أن الخطابة المسموعة التي تعتمد على المجابهة والمشافهة ،قد كانت قطب الرحى للتواصل مع الجماهير، وفي الوقت نفسه لا يمكن استئصال النوع الآخر ألا وهو الخطابة المكتوبة رغم استغنائها للعديد من المميزات التي تنحصر في الخطابة الشفهية معبرا عن ذلك قدامة بن جعفر في قوله: " فأما الرسائل فهي مستغنية عن جهارة الصوت وسلامة من العيوب، لأنها بالخط".[1]

ويمكن اختصار أهم المقابلات بين الخطاب الشفهي والكتابي في المخطط التالي:[2]

الخطاب الشفهي	الخطاب الكتابي
1-يهتم المتحدث بجذب انتباه مجموعة من الحاضرين. 2-المستمع أقل بطئا في فهم المعاني خاصة للمجموعات الكبيرة. 3-ينبغي أن يكون أسلوب المتحدث مفهوما بطريقة سريعة. -توجد رابطة قوية بين المتحدث والمستمع.	-يهتم الكاتب بجذب انتباه فرد واحد، في وقت واحد. -يقرؤها فرد واحد، ويعتبر كل مستمع حالة خاصة، وإن يأخذ في اعتباره حجما الجمهور: معدل السن المستوى التعليمي الاهتمامات الخاصة. -يتسم بميزة المراجعة .

[1] - قدامة بن جعفر نقد النثر، ص:98.
[2] -ينظر محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة دار الفجر ، ط99.- ص:84-85.

-المستحدث يستطيع أن يلاحظ مجاوره، ويكيف كلامه إن أراد ليجعله أكثر قبولا.	-القارئ والكاتب منفصلان. -أما الكاتب فليس له من سبيل إلى الاسترجاع المباشر، وليس له إلا تخيل رد فعل القارئ.

وإذا حللنا جميع ما سبق يمكن أن نستنتج العلاقة المقابلة بين الخطابة العربية والتواصل الجماهيري لاعتماد كليهما على لغة إعلامية تنقل إلى جمهور لغاية محدودة، إلا أن الفارق هو ذلك التطور الحضاري الذي نوع في وسائل التواصل والربط بين الخطيب والجمهور من الحضارة المسموعة إلي الحضارة المسموعة والبصرية معا.

ومن هنا غدت قواعد فقه الخطاب الإعلامي المعاصر حيث تنتزع إلى التحليل والبسط والاختزال الذي فرضته طبيعة التواصل كالاستغناء عن بعض الطاقات التعبيرية كالاستعارة والكناية في بعض الكلام والمناسبات ،و في تصورنا أن استعمال البيان من استعارة ومجاز وتشبيه وكناية على أنها أداة تصورية شاشتها هي مخيلة كلا من طرفي التبليغ، "ذلك لأن النص المصور بات ينافس النص المحروف، لأن النصوص المصورة السمعية البصرية من أهم وسائط تمرير المعرفة"[1].

فالصورة البيانية في الخطابة المعاصرة، أصبحت تركيبا لغويا بسيطا ليكون في متناول الأذهان وله قابلية مدعمة بالمشهدية[2]، وبنظرة متفحصة للغة للتواصل الجماهيري التي تستعملها اليوم أجهزة الإعلام في الخبر والمقال الصحفي والحديث والتقرير الصحفي والمقابلة الإذاعية والتلفيزيونية، نجد أن اللغة بسيطة مباشرة تتجنب اختيار الإيحاءات الجمالية والفنية وللألفاظ[3] وهذا ما يؤكد فكرة ضرورة اختيار الألفاظ والتأليف حسب مستوى المستعملين حسب مستوى المستمعين سواء من المثقفين أو العامة، في إطار دلالي مشترك أو من ذخيرة مفرداتية موحدة.

2.2-عناصر الخطابة العربية:

بعد أن تطرقنا للأطر العامة للخطابة العربية، نحاول تخصيص هذه الدراسة في نظام اللسان كشكل مهم من أشكال التبليغ.

---

[1]- عشراتى سليمان ـ الخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي في الجزائر ص:80.

[2]- ينظر:المرجع نفسه ص:89.

[3] -ينظر : عبد العزيز شرف ـ علم الإعلام اللغوي ـ ص:195.

فلا نص بلا قارئ، ولا خطاب بلا سامع حيث يظل الملفوظ موجودا بالقوة سواء أفرزته الذات المنشئة له الخطيب أو دفنته في بواطن اللاملفوظ[1]، حيث يقول موريس غارسون:" إذا كان صحيحا أن الخطيب هو شخص يتكلم والكلمة أداة التعبير عن الفكرة، فإنه ينبغي أن نسجل أن الخطابة هي... فن معرفة التعبير عن الفكرة وبثها بطريقة فيها الإقناع مما يجعلها تفرض نفسها..."[2].

ومن هذه الإيضاحات وغيرها تبين عناصر الخطابة والتي تتمثل في الخطيب والسامع والموضوع والأداء الخطابي ،ولكل واحد من هذه العناصر وظائف تتعلق به وهي العناصر التي تتلاقى مع مكونات الخطاب عند رومان جاكبسون – التي سبق ذكرها- وهي:

1.2.2- الخطيب:

يعتبر الخطيب العنصر الأول في عملية التلفظ ، وقد يتجسد ذلك في أشكال متنوعة وبصور حديثة كالمذيع في البث الإذاعي وناشر الأخبار في المجلات والصحف وحتى التلفزيون.

فالمخاطب هو الباث والمتكلم، حيث يقوم بعملية تركيب وصياغة المفاهيم والتصورات في نسق كلامي محسوس، ينقل عبر القناة الحسية بواسطة الأداة اللسانية[3].

و إثر ذلك يقع على عاتق الخطيب أعباء كثيرة، تتجسد في مجموعة من الشروط الواجبة توفرها فيه، حتى يستطيع إلى غاياته والتي لبها الإقناع والاستمالة والتأثير.

ومن الصفات الواجبة توفرها في الخطيب نذكر منها:

أ.الصفات العقلية أهمها[4]:

- التمتع بموهبة الخطابة والثقافة العالية كموهبة الشعر والفن لاستعمالها كأدلة وقرائن، وبراهين، كقول الجاحظ:" وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطيب، يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، آي من القرآن"[5].

- امتلاك ثقافة واسعة ملما بالمعارف الإنسانية خاصة علم النفس الاجتماعي.

[1]- ينظر عبد السلام مسدي:" الأسلوبية والأسلوب"، ص 87.
[2]- يظر انطوان القوال:"فن الخطابة"، ص 49.
[3]- ينظر المرجع السابق، ص 62.
[4]-ينظر أنطوان القوال:"فن الخطابة"، ص 16.15.
[5]- الجاحظ:"البيان والتبيين"ج1، ص 80

- القدرة على سبر أغوار نفوس المستمعين للاهتداء إلى أنجع الأساليب التأثير[1]، فلا بد له من أن يكون لسنا فصيحا قادرا على الإقناع والتعبير[2].

ب.الصفات المعنوية:

- أن يكون ذا طباع حسنة، صبور لا يأخذ منه الغضب" رابط الجأش ساكن الجوارح"[3]،

- أن يكون صاحب سمعة طيبة له مكانة عالية، ومهمة في مجتمعه لا سيما العامة.

وقال الإمام علي رضي الله عنه:"من نصب نفسه للناس إماما، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم"[4].

ج.الصفات الجسدية :

يمكن إيجازها فيما يلي:

- الاهتمام بالشكل الخارجي للخطيب، لما له من انطباع ينعكس على نفسية الجمهور أثناء التواصل المباشر الشفهي، خاصة:" فالإستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة من يقبل قوله"[5]، كما أشار إليها الجاحظ أيضا في قوله:" وحدثني محمد بن بشير الشاعر قيل لأعرابي:ما الجمال؟ قال: طول القامة، وضخم الهامة ورحب الشدق وبعض الصوت"[6] .

-حلاوة الصوت وجهارته، "فمما يزيد في حسن الخطابة وجلالة موقعها جهارة الصوت فإنه من أجل أوصاف الخطباء:

جَهِيرُ الكَلاَمِ جَهِيرُ العُطَا سِ شَدِيدُ النِيَاطِ جَهِيرُ النَغَمِ"[7]

فكثيرا ما يسحر الخطيب صوته أكثر من سحره ببلاغة لذا قيل: البلاغة تكون في الصوت والملامح كما تكون في اختيار الكلام[8]، وذلك بتنويع صوته ونبراته ومن الوسائل المتطورة التي صارت مساعدة في هذه العملية هي مكبرات الصوت، التي قد تكون في بعض الأحيان من مصادر التشويش وإعاقة التبليغ، إن كانت غير صالحة.

- ومن جهة أخرى ذكر أن المزايا الطبيعية والجسدية كقوة الكتفين والنظرات الخاطفة، والصوت القوي المرن قد أعانت من الخطباء.

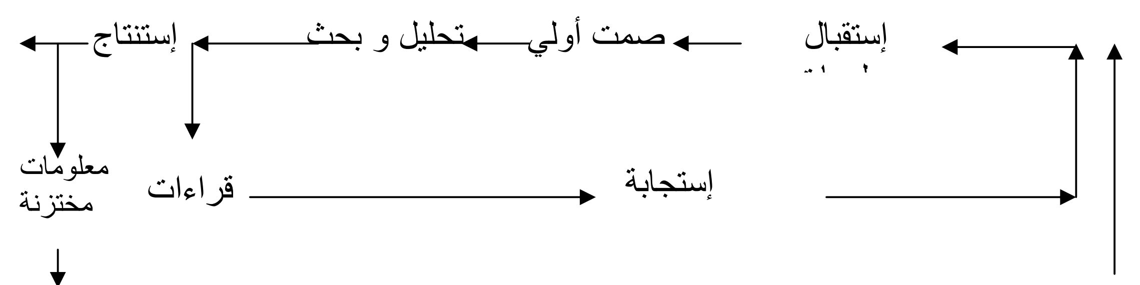
---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص 15.
[2] -ينظر محمد عبد الرحيم عدس:" فن الإلقاء"، ص 55
[3]- أبو هلال العسكري:"الصناعتين:"، ص 26.
[4]- ينظر أنطوان القوال:" فن الخطابة"، ص 16.
[5]- حازم القرطاجي، المنهاج، ص 64.
[6]- الجاحظ:ط البيان والتبن، ج1، ص 82.
[7]- قدامة بن جعفر:" نقد وشعر، ، ص 109..
[8]- ينظر : محمد عبد الرحيم عرس، فن الإلقاء، ص 55

- إضافة إلى ذلك أنه على الخطيب أثناء التواصل إما مباشرة (وجها لوجه) عليه رؤية المتكلم لوجه سامعه حتى ، يرى فاعلية إشارات الآخر وحركاته وتعبيراته ومجرى الخطاب وسياسة الموقف الإتصالي، وأما إن كان التواصل بواسطة قناة، فعليه أن يركز على الأداة التي تساعده على إحداث فاعلية أكثر لرسالته، وهذا ما قد أشار إليه ابن جني عن أحد المشايخ في كتابه الخصائص:" أن لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة" إشارة إلى أن أهمية الرؤية المتكلم لوجه سامعه"[1].

2.2. المخـاطـب:

ومن ضمن المسميات التي تطلق عليه اسم: المستمع أو المنصت، فالخطابة هي إرسال موضوع ما، لكم الأفراد التي تتقمص دور المستمع في بادئ الأمر لاستكمال فهم الموضوع وإن كان هذا الدور مبدئي إلا أنه موجود فعلا، لأنه يقوم بعملية تفكيك الرسالة بعد إرجاع مدلولاتها المجردة إلى معنا عام حتى يتسنى له اختيار نوع الاستجابات التي قد تصدر منه ،وبالتالي فالنظام الخاص بهذا النوع من التفكيك للرسالة يتم وفقا للتتابع الآتي[2]:



كما تعتبر مهارة الاستماع من أهم المهارات الضرورية لمثل هذه العملية اللغوية، حيث كانت لها جذور مهمة جدا في تراثنا أين كان علماؤنا يعتمدون على سماع الروايات المنطوقة في نقل التراث وتوصيله للأجيال في شكل تواصل حضاري وهذا طبعا قبل اختراع المطبعة.

لذلك ركز القرآن الكريم على ضرورة تنمية حاسة السمع وفضلها على باقي الحواس الأخرى، بما فيها البصر باعتبارها من أهم و أقوى الحواس المساعدة على إدراك مواقف المحيط[3] و على سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً "[4] .

فالامتناع والإصغاء والإنصات كلها مقابلات صحيحة لها نوع من الإيحاء الذي يساعد كما يقول الدكتور زيدان عبد الباقي ـعلى تلمس الشعور النفسي

[1]- محمد منير حجاب، مهارات الاتصال، ص 29.
[2]- ينظر المرجع السابق، ص 40
[3] ينظر :المرجع السابق، ص:26
[4]- سورة الإسراء، الآية، ص 36.

للمرسل وعقب ذلك يكون المرسل قد تهيأ نفسيا ليكون مستقلا[1]، ويبقى السؤال مطروحا ما معنى الاستماع،وماذا يقصد به وما هو هدفه؟

الاستماع وسيلة أساسية للحصول على المنبهات الخارجية، وتحدث ه ذه العملي ة نتيج ة للتغي رات المادي ة ف ي ض غط اله واء الناتج ة ع ن اهت زاز الأجسام،فينقل الصوت في شكل موجات تستقبل من طرف الأذن[2]،ويتقبلها بعد إدراكها وتميزها.

أما عن هدفها،فيرتكز حول الفهم والاستيعاب، فنحن نستمع للمناقشات والأحادي ث والمحاض رات والن دوات،لنفهم أولا ث م لنس تفيد بع دها لتحقي ق الاستجابة[3]،وهذا ما أدركه أبو هلال العسكري في قوله : "إن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب،والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى.وقال إبراهيم الإمام حسبك من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع[4] ".

ومن جانب آخر فإن عملية الاستماع في حد ذاتها هي بحاجة إلى رغب ة ملح ة للإص غاء،قال ب ن عب اس رض وان الله عليهم ا :"لجل يس عل ي ثلاث:أرمى بطرفي إذا أقبل وأوسع له إذا جلس-وأصغى إليه إذا حدث"[5]،والمعنى أنه حتى الاستماع تسبقه مراحل متعددة ليتحقق على أكمل وجه،هي رغبة أولا ثم الهيئة المناسبة والجلسة المعينة على الإصغاء والأحسن اتخاذ الوضعية الصحيحة في الجلوس ثم تأتي بعدها مرحلة الإصغاء.

وحت ى تنم و ق درة المس تمع ف ي إنج اح عملي ة التواص ل ،ذك رت جمعي ة الاتصال الخطابي (الأمريكية عام 1984) مجموعة من المقومات و القدرات الأساسية هي :[6]

1-القدرة فهم اللغة الشفهية للحديث و تميز الأفكار الأساسية .
2-القدرة على تحديد التفاصيل الفرعية .
3-تميز العلاقات الواضحة بين الأفكار .
4-القدرة على استدعاء أو استرجاع الأفكار و التفاصيل الرئيسية .

و إضافة إلى ما ورد عن الجمهور المستمع ذلك التقسيم الذي قام به " لستيفن كوفي " لمستويات المستمع تبعا لمدى إصغائه للمتحدث و هي : [7]

---

[1] ينظر: محمد منير حجاب ـ مهارات الاتصال ، ص: 12
[2] ينظم المرجع السابق ، ص 13
[3] ينظم المرجع نفسه ص 16
[4] أبو هلال العسكري ـالصناعتين ص 22.
[5] المصدر نفسه ص 27
[6]-ينظر : محمد منير حجاب ، مهارات الاتصال ، ص : 38 .
[7]-ينظر المرجع السابق ، ص: 109 .

1-التجاهل التام لما يقوله الطرف الآخر .
2-التظاهر فقط بالإصغاء مع الإيماء بالرأس أو غيرها دون فهم .
3-الاستماع الانتقائي أي ننتقى من الحديث ما يهمنا فقط .
4-الاستماع الشكلي
5 ـ الاستماع المتفهم للاستفادة .
6-الاستماع المتعاطف حتى قبل أن يعطى وجهة نظره لوجود رابط قوي بين طرفي التواصل .

و من الطريف أن تجد جذورا لمثل هذه المعطيات في تراثنا البلاغي ، ذلك في ذكر بعض من هذه المستويات التي حددها " لستيفين كوفي " لتتقاطع في أغلبها مع ما قد تطرق إليه حازم القرطاجني ـ و إن كان قد خصصها حول مستمعين الشعر و الأقاويل المخيلة ـ إلا أنها تحتاج منا إلى إضاءة فحوها حيث يقسمها إلى ما يلي : [1]

1-جمهور من يفهم لغة الخطاب و يتأثر به للاستفادة أو لغرض ما .
2-جمهور مما يعرفه في الخطاب و يستمع له يتأثر له و لا يبدي له أي اهتمام .
3-جمهور يتأثر به إذا سمعه و يستعطف مع قائله .
4-جمهور لا يعرفه و لم يسمعه و لا يتأثر به حتى و لو سمعه، و أرغم عليه أي غير مبال .

ومن ضمن الأنواع المذكور لتقاسيم الجمهور ، هناك نوع خاص اهتم به الدارسون البلاغيون و خصوا القول في فضائله و الإتيان بالأمثلة و الحكم فيه ، و هو ما يسمى "بالاستماع الذاتي " أو ما يعرف " بالصمت " ، فلا يمكن اعتبار أن أي اتصال له رد فعل مباشر مجسد
وواضح ، فقد يبقى المتلقي صامتا إزاء الموقف اللغوي الذي عرض عليه دون إبداء ظاهري لهذا الموقف، و في نفس الوقت لا يمكن الجزم بأن هذا السلوك ساكن ، في حين أنه حركة باطنية للشعور الذاتي للمستمع (المتلقي) .

فالصمت هو إنصات للعقل اللاشعوري ، ولهذا فإن الصمت الظاهري الذي يغلف الإنسان في كثير من المواقف ليس سكوتا مطبقا و إنما هو صمت ظاهري يخفى حالة ما ، قد تصل أحيانا إلى الصخب الداخلي الذي يزهق الإنسان [2] ، ويبقى السؤال مطروحا لماذا الصمت ؟ أو ما هي أهميته؟ .

ذكر للصمت فضائل مختلفة متنوعة من بينها :

[1]-ينظر : حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص : 21 .
[2]-ينظر : محمد منير حجاب ، مهارات الاتصال ، ص : 54 .

1-الحد من تشوه المعلومات التي تتدفق مع المتحدث [1] ، كقول أحد الشعراء :

" صَمُوتًا فِي المجَالِسِ غَيْرَ عِي .·. جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَوَابِ "[2]

.

2-يساعد على التركيز و الانتباه [3]، فقد قيل : " كان أعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول صمته ، فقال : << أَسْمَعُ فَأَعْلَمْ وَ أَسْكُتُ فَأَسْلَمْ >> "[4] .

3-وسيلة لتبادل المعلومات المتحدث .

4-دليل على الاهتمام و الإصغاء مما يشجع على استمرار المتحدث في الكلام .

5-قد يقرن الصمت بإيماءات و إشارات متبادلة بين الطرفيين كبديل الكلام

.

6-الصمت يؤدي إلى الاستماع أكثر مما تتكلم ، لتسلم من الأخطاء و العيوب ،[5] كقول مكي بن سوادة : تسلم بالسكوت من العيوب .

وَ يَرْتَجِلُ الكَلاَمُ وَ لَيْسَ فِيهِ سِوَى الهَذَيَانُ مِنْ حَشْدِ الخَطِيبِ " [6]

و قيل أيضا " لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب "[7].

2-2-3-الإلقاء الخطابي :

اعتبر أرسطو عنصر الإلقاء عنصرا مستقلا في الخطابة و أكد ذلك البلاغيون العرب [8] ، حيث يتضمن قواعد و عناصر أساسية مساعدة على هذا الأداء و هكذا اهتم الخطيب بكيفية أداء رسالته الشفاهية خاصة و عكف على تحسين عباراته و صوته و البحث عن الشروط التي تكفل لها السلامة من العيوب ، فما هو فن الإلقاء ؟ و ما هي قواعده ؟ .

أما عن الإلقاء ، فقد فسره الدكتور جبور عبد النور في " المعجم الأدبي بأنه : " فن متعلق بطرائق الإبانة الكلامية ، و يعنى خاصة بالإخراج الصوتي للنصوص ..."[9].

---

[1]- ينظر : المرجع نفسه ، ص : 69 .
[2]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج2 ، ص : 10 .
[3]- ينظر : محمد منير حجاب ، مهارات الاتصال ، ص : 69 .
[4]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 123 .
[5]-ينظر : محمد منير حجاب ، مهارات الاتصال ، ص : 69 .
[6]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 10 .
[7]-المصدر نفسه ، ص : 123 .
[8]-المصدر نفسه ، ص : 123 .
[9]-ينظر : فاروق سعد ، فن الإلقاء العربي ـ الخطابي و التمثيلي ـ العالمية للكتاب ، لبنان ، ص : 11 .

و أيضا عرفه الدكتور عبد الله العلايلي في " المرجع " فذكر أنه " إبلاغ الصوت الأسماع – الأداء المتعلق بمخارج الحروف- و تكييف الصوت حسب المقامات ، و إنطاق الإشارة بالمعنى أي تجسيده فيها ، قالوا : هو جيد الإلقاء ، حسن الإفضاء "[1].

و أما عن فن الإلقاء فيقصد به نقل الأفكار إلى السامعين أو المشاهدين بطريق المشافهة ، هدفه تبليغ هذه الأفكار و التفاعل معها ، حيث يحتاج هذا النوع من الفن إلى مهارات معينة حتى تحقق الهدف المطلوب من الإلقاء [2] .

و هذه المهارات تتأرجح عادة ما بين حسن التعبير و اللفظ و تناغم الأصوات و الإشارات الخطابية لذلك قيل : " الخطبة دون الأداء جسم بلا حياة ، و سيف مغمد لا يحسن حامله الضرب به "[3] ، و بهذا فإن فن القول (أو الأداء) القولي أو الإيصال الصوتي ، يدل على الكيفيات و الأنظمة و الأنماط ذات الضوابط المختلفة التي يؤتيها الخطيب بصوته .[4]

و أما عن أشكاله المجسدة فعلا فهي تختلف باختلاف المحتوى و طبيعة المتلقي منها : إلقاء الكلام العادي – تلاوة القرآن من تسبيح و دعاء – فنون الأداء التمثيلي و المسرحي – الإلقاء الخطابي – فنون الإنشاد و الغناء و غيرها كثيرا .[5]

و بهذا المعنى يفترض على الأداء الجيد للخطيب و أداء الإلقاء ، كفن و مهارة معا يحتاج إلى عدة عوامل تجر بالخطيب إلى رتبة الإبداع ، منها :

أ-الاستعداد الفطري .

ب-المناخ المناسب عملا بالقول المأثور لكل مقام مقال .

ج-الممارسة .

و قد تنبه البلاغيون أيضا إلى ضرورة توفر مجموعة من القواعد المساعدة على هذا الأداء لتحقيق غاية استمالة الجمهور و التأثير على خواطرهم و التغيير في السلوكيات و المعتقدات أو إثباتها و شحنها ، و من ضمن هذه القواعد ، الاهتمام مثلا بمكان إلقاء الخطبة ، و استخدام الإشارات المناسبة للكلام للتعبير عن المعاني ، و كذا الاهتمام بما نسميه بالإلقاء التنغيمي الصوتي و هو ما نحن بصدده .

---

[1]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 11 .
[2]-ينظر : محمد عبد الرحيم عدس ، فن الإلقاء ، ص : 11 .
[3] -ينظر : أنطوان الفوال ، فن الخطابة ، ص : 21 .
[4]-ينظر : شعيب مقنونيف ، فن القول و علاقته بفنون الإيصال في النقد و البلاغة ، ص : 45-46
[5]-ينظر : المرجع نفسه ،ص :46

أولا : الصوت :

يتميز النظام اللساني العربي بعدة سمات تفرده عن غيره من الأنظمة ، خاصة تحت ذلك الإطار الصوتي النغمي الذي يكاد يعتبر أهم عنصر في عملية الخطابة إذ له القدرة على توضيح المعاني ، و الوصول بالألفاظ و العبارات إلى أغراضها المقصودة فضلا على أن الصوت في خشونته و ليونته له ذلك التأثير النفسي على المتلقي في تخذير مشاعره و عواطفه .

" فالصوت هو آلة اللفظ " ، كما قالها الجاحظ [1] ، كما سبق و أشار إلى التنافر بين الحروف في الكلمة الواحدة و الذي يدخل في التركيب أيضا عن طريق تكرار الحروف و الكلمات أو إيراد ما هو قريب من حيث مخارج الأصوات ، و نبه إلى ما في هذا التنافر من عيب يشين اللفظة ، و يذهب بشطر كبير من فصاحة التركيب ، لكن دون أن يفصل في علل هذا التنافر [2]، و تم تعريف هذه الآلة على أنها مجموعة من أصوات تخرج من الرئتين و الفم و قوامه التنفس و هو يتكون في الحنجرة أثناء الزفير .[3]

كما يعبر الصوت عن معاني متعددة تتضمنها رسائل تواصلية كثيرة منها :

الارتفاع تعبير عن الغضب و التهديد ...الانخفاض كتعبير عن الخوف و المرض و الاحترام ... السرعة لتعبر عن الانفعال و الخطر و الضيق ... و البطئ لإملاء معلومات مثلا أو ترجمة أو مرض في الجهاز النطقي و النوعية مثل النبرة- المدة- الخشونة- النغمة...[4]

و مما لا يفوتنا و يعتبر أيضا من الظواهر المهمة في مثل هذه الدراسة ما يعرف بأهم الظواهر الفونولوجية[5] التي تهتم بدراسة وظيفة الصوت ، و تخص بالدراسة الظواهر الفونولوجية على مستوى مبدأ النغمية لالتصاقها بالأداء و الإلقاء الخطابي أو بمفهوم الخطابة الشفاهية.

ثانيا- الظواهر الفونولوجية على مستوى مبدأ النغمية:

تدرس الفونولوجية إضافة إلى المصوتات(الحروف) عناصر أخرى سميت بالعناصر فوق القطيعة SUPER SEGMENTAUSC و هي العناصر ليست قطعا من

---

[1]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1 ، ص : 58 .

[2]-ينظر : محمد عبد الرحيم دعبس ، فن الإلقاء ، ص : 52-55 .

[3]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 28 .

[4] ينظر:محمد يسري دعيبس-الاتصال والسلوك الإنساني-ص 173

[5] يعرفها اندري مارتيني andre martinet (1908-1999) بأنها"دراسة العناصر الصوتية للغة ما وتصنيف هذه الأصوات تبعا لوظيفتها في اللغة،عن أحمد مختار عمر"دراسة الصوت اللغوي-عالم الكتب -القاهرة ط1 1405 هـ-1991 ص 98

السلسلة الكلامية ،و قد أطلق عليه "علم النغم"PROSODEMIE على الدراسة الخاصة بهذه العناصر نذكر : التنغيم- النبر - الكمية- الصيغة.

أ-التنغيم:

يعتبر التنغيم صوتا عند أداء الجمل للتعبير عن مواقف معينة أو مشاعر ،و يقصد به "المنحنى الإيقاعي الذي يرافق مجموعة العناصر في عبارة ما إلى آخر عنصر فيها ذلك الذي يحدد بدقة عن طريق انخفاض مستوى إيقاع الصوت"[1]، فالتنغيم هو علامة لسانية فوق قطيعة ذات مادة و شكل تؤدي وظائف دلالية معينة[2].

كما يعتبر التنغيم من سمات اللغة العربية المسموعة أثناء التواصل ، و لكل نوع من أنواع الجمل هيكل تنغيمي خاص بها ، فالجملة الاستفهامية لها منحنى نغمي متزايد ، و الجملة الإخبارية لها منحنى متناقص و الجملة التعجبية لها منحنى أشد منها ، " فقد روي عن الحجاج أنه كان إذا صعد المنبر تكلم رويدا رويدا ... فلا يكاد يسمع ثم يزيد في الكلام حتى يخرج يده في مطرفه و يزجر الزجرة فيفزع بها من حوله "[3] .

و من أمثلة التنغيم قي القرآن الكريم ما جاء في سورة يوسف بعدما فقد صواع الملك :" قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رجله فهو جزاؤه"[4]، فلا شك أن تنغيم جملة " قالوا جزاؤه " بنغمة التقرير ، و جملة من وجد في رحله فهو جزاؤه" بنغمة الاستفهام قرب معنى الآيات إلى الأذهان المستقبلين و كشف مضمونها[5].

و من أمثلة التنغيم أيضا في اللغة العربية نذكر:[6]

1-/لا: إذا نطقت بنغمة هابطة تكون الجملة تقريرية بمعنى لا أوافق.

2-/لا:إذا نطقت بنغمة صاعدة تدل على الدهشة أو الاستنكار.

3-/لا:إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة تكون توكيدية.

و هكذا فإن التنغيم في الخطابة لا يحدد المعنى المعجمي ، و لكن يحدد معنى الجملة و بالتالي ليست له وظيفة معجمية بل ووظائف تمييزية متعددة في الجمل (الاستفهام-الأمر-التقرير) ووظيفية تعبيرية، تعبر عن الأحوال النفسية (الألم-الحزن-الفرح).

ب-النبر :ACCENT

---

[1] ينظر :دراقي زبير"محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة " -ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1990-ص 92"

[2] ينظر محمد منير حجاب مهارات الاتصال- ص 27

[3] سورة يوسف الآية 74-75

[4]أحمد سليمان ياقوت :"أبحاث في اللغة" دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1994 -ص 11

[5]-أحمد سليمان ياقوت : أبحاث في اللغة -دار المعرفة الجامعية -الإسكندرية -1994-ص:11.

[6] -حلمي خليل -الكلمة دراسة لغوية معجمية - دار المعرفة الجامعية -الإسكندرية -1995-ص:47.

النبر بصفة عامة ، هو إعطاء قيمة صوتية تتحقق بواسطة وسائل صوتية ،كانت دائما محل جدل بين الفونولوجيين و المتمثلة في الضغط ،ارتفاع النغم ، المدة ، و هي الوسائل الثلاث تنتج من خلال فهذا عضلي آلي في عملية التلفظ[1]، و يرتبط النبر ارتباطا وثيقا بالبنية المقطعية بالضغط على أحد مقاطع الكلمة من أجل إظهار صوت ما على غيره مما يتطلب جهدا عضليا وطاقة زائدة من المتكلم.

و للنبر في اللغة العربية وظيفة تمييزية على مستوى معنى الجملة فقط بحيث يتعدد معنى الجملة باختلاف موقع النبر فيها مثل : هل جاء محمد ؟إذا كان النبر على "جاء" فإن المعنى أن المتكلم يشك في فعل المجيء ، أما حين يكون النبر على كلمة "محمد" فإن الشك ينصرف إلى الفاعل هو "محمد" أو غيره .

وقد أشار ابن جني إلى وظيفة النبر النحوية دون تحديد المصطلح "دلالته على الصفة المحذوفة" ، إذ يقول :" و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم :"سير عليه ليل" و هم يريدون "ليل طويل" و كأن هنا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها و ذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح و التفخيم و التعظيم ما يقول مقامه قوله : "طويلا"."[2].

ج-الكمية : Quantité

المقصود بالكمية اعتبار القيمتين الخلافيتين اللتين تسميان الطول و القصر ، فالمصوت الممدود وهو مصوت يختلف عن غيره بمدة النطق التي تقاس بالثواني إنما تحدد بالمقارنة بين الطول و القصر في خطاب معين و في السلسلة الصوتية يظهر الفرق بين المصوت (الحرف) الطويل و القصير [3] ، كالفرق بين " ضرب " و " ضارب " فهو فرق بين الحركة و المد و كذلك بين " ضرب " و " ضرب " فرق بين الإفراد و التشديد ، والمقصود بها الطول و القصر في الصوامت (الحركات) و الصوائت (الحروف) و أمثلتها كثيرة في القرآن الكريم و من أمثلة المد في الصوائت " عام" ، أما في الصوامت فهو التشديد " سمح " أما عن القصر في الصوائت مثل " عم " و في الصوامت : " يسمح " .

---

[1] Jean Louis-La Phonologie P.107-108

[2] ابن جني : الخصائص –ج2-ص:370-371.

[3] -ينظر :تمام حسان – اللغة العربية معناها و مبناها – عالم الكتب – ط3 -1998 –ص:301-300..

ومما يتصل بالكمية في العربية الكلمات المنتهية بالألف و الواو و الياء " المتلوة بكلمات ساكنه الأول : " الفتى العربي " فقدت الألف كميتها و أصبحت في طول حركة الفتحة من ناحية المد .[1]

د-الصيغة :

و هي البنية المفرادتية الخاصة بكل لغة و نمط تواصلي مختلف ،و هي في العربية بنية الكلمة و وزنها ، و هي القالب الذي يحوي فونيماتها الأصلية و الزائدة معطيا إياها جرسا و وزنا معينا .

فصيغة الكلمة أو وزنها هو أحد العناصر الأساسية التي تحدد معناها فلولاها لالتبست معاني الألفاظ المستقلة من مادة واحدة ، " فالصيغة هي التي تقيين الفروق بين (كاتب و مكتوب و كتابه) و هي التي تحدد معنى الفاعلية فيما كان على وزن فاعل من الثلاثي و معنى المفعولية في أوزان اسم مفعول " [2] .

و من هنا نفهم أن للصيغة وظيفة تمييزية في معرفة جزء معنى الكلمة فإذا سمعنا كلمة على وزن " مفعول " عرفنا أنها تدل على من وقع عليه فعل الفاعل " معنى المفعولية " ، و هذه الخصائص الموسيقية العربية لا نظير لها في اللغات الأخرى ، وهذا ما يؤكده الحاج صالح بقوله " إن اللغة العربية لا تتألف فقط من قطع كلامية بل هناك وحدات مجردة ، تدل على معنى مثل المادة الأصلية الكلام و هذا النوع من الوحدات موجودة في مستوى التراكيب ، و هذا التصور لنوعية الوحدات هو تصور عربي محض لا يوجد مثله في اللسانيات الغربية "[3] .

4-2-2-الرسالة الخطابية :

إن اللغة نسق من العلامات موجودة في أي مجتمع لأنها من أهم الوسائل في التواصل و إن اختلفت ألوانها و مضامينها كالرسالة في الخطابة العربية ، فهي تتقاطع مع شروط كتابة الرسالة عموما و بنائها و عن أهم العناصر المكونة لها أسلوبها المتميز و كيفية التعبير عن الفكرة سواء بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة .

يتصف الأسلوب الخطابي بصفات منفردة منها : [4]

1-وضوح العبارة _ مراعاة لمستوى المستمعين الفكري ، فلا يستعمل المفردات الصعبة أمام العامة ، و لا يسف إذا كان جمهوره مثقفا .

[1]-ينظر : المرجع نفسه ، ص: 301 .
[2]-ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص : 155 .
[3]-عبد الرحمان الحاج صالح ، مقال " الجملة في كتاب سبويه " ، مجلة المبرز ، الجزائر ، ع2 ، جويلية 1993 ، ص : 19 .
[4]-ينظر : انطوان الفوال ، فن الخطابة ، ص : 12 .

2-استخدام الجمل القصيرة و تحاشي الفصل بين الفعل و الفاعل أو المبتدأ أو الخبر حتى لا يضيع المعنى على المستمع .

3-اسد تعمال صد يغ الاسد تفهام و التعجـ ب و الاسد تعانة بالمثـ ل أو الحـ دث التاريخي بشكل مقتضب لدعم رأيه .

و هذه المعايير و الضوابط تمثل ركائز ضرورية في كتابة الرسائل خاصة أن الغرض يتعدى حدود التواصل إلى عملية الإقناع و التأثير .

فالرسـ ائل هـ ي نمـ ط مـ ن الأنمـ اط الإعلاميـ ة السـ ائدة لنـ وع مـ ن التحريـ ر ، تضـ يف إلـ ى معرفـ ة الجمهـ ور معلومـ ات جديـ دة بطريقـ ة بسـ يطة ، حيـ ث تحتـ وي وسائل الإعلام على ثلاثة أنواع رئيسية من الاتصال الإقناعي :[1]

أو لهـا الإعـلان و ثانيهـا الـدعوة المقصـودة كالمقالات الافتتاحية و الرسـوم الكاريكاتوريـ ة الأعمـ دة المقـ الات التفسـ يرية التـ ي تـ ؤدي بالقـ ارئ للوصـ ول إلـ ى استنتاج .

و ثالثها : ذلك المضمون الذي يـراد بـه أساسـا الترفيـه ، أو الإعـلام بحيـث يكون الإقناع منتجا فرعيا.

-أمـا عـن أنواعهـا مـن حيـث كيفيـة كتابتهـا و تحريرهـا فقـد تـم تقسـيمها إلـى ثلاثـة أنواع هي :[2]

1-التحرير الإعلامي : تعبير موضوعي يبتعد عن الذاتية التي يتصف بها الأديب ، و هو مقدر بمصلحة الجموع .

2-التحريـر التعبيـري : يبحـث عـن الحقيقـة الخالـدة علـى المسـتوى الجمـالي فالمؤلف يعبر عن أفكاره و تجاربه الخاصة .

3-التحريـر الإقنـاعي : فإنـه يتوسـل بأسـاليب التحريـر الأدبـي و الإعلامـي بهدف التأثير على الناس عن طريق النواحي العاطفية و الانفعالية .

وهـذا مـا تـذهب إليـه الخطابـة العربيـة ذلـك أن المضـمون فـي الغالـب حـول مشكلة أو فلسفة محددة .

و الهـدف فـي الغالـب أيضـا يـرتبط بالإقنـاع و كيفيـة بنـاء الرسـالة و تنظـيم معطياتها لأن الرسالة و خصائصها تظل هي المتغير الأساسي و الحاسم في تحقيـق هـذا الهـدف و كيفيـة بنائهـا هـو البدايـة الناجحـة لزيـادة التوقعـات بإنجـاح العملية الإقناعية .[3]

و الواقـع أن التحـدث عـن مضـمون الرسـالة الإقناعيـة توجـب مـن المتصـل اتخاذ عدة قرارات على سبيل المثال عليه أن يحدد الأدلة التي سيضعها و التي

---

[1]-ينظر عبد العزيز شرف ، مدخل إلى وسائل الإعلام ، ص : 193 .

[2]-المرجع السابق، ص : 201-202 .

[3]-ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير ، ص : 321 .

سيستبعدها ، و الحجج و نوعية الإستمالات و مدى قوتها ، و هذا ما يمليه الهدف الإقناعي ، و أيضا خصائص الجمهور و مهارات التحدث [1]

-و في إطار تعدد المعنى و النصوص ذهب ارسطو إلى تقسيم الخطبة إلى أربعة أقسام و هي المقدمة و العرض و الخاتمة و هذا ما أقره معظم الباحثين[2] ،و هي على التوالي :

أ-المقدمة :

أو ما تسمى أيضا الافتتاحية ، و هي البداية ، حيث يفتتح الخطيب كلامه ممهدا لموضوعه و هي مهمة جدا ، لأنها أول ما يطرق آذان المستمعين و تشد انتباههم .[3]

و من بين الأمور المهمة في المقدمة جاء :[4]

-أن لا يبتعد عن الموضوع الذي يعالجه الخطيب ، بل تكون مفضية إليه ، " و ملاك الأمر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته ، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ و النظم و المعاني و الأسلوب ، ما يكون فيه بهاء و تفخيم ..."[5]

هذا يعني أن غرض التبليغ يجب أن يبدو و في مقدمة الرسالة و إن كان في شكل تلميح حتى يستدرج بعد ذلك باقي المضامين اعتمادا على ألفاظ و معاني و أسلوب مناسبة للغرض الحقيقي من وراء هذه الرسالة .

-أن تكون سهلة ، إذ أنه من المستهجن أن تكون معانيها ملتبسة على فهم و إدراك السامعين على مختلف ثقافتهم و أوضاعهم الاجتماعية .

-أن تكون مشرقة ، جذابة ، تستميل السامعين ، وذلك بقول ما " فيه تنبيه و إيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالا و يثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك "[6]

-ألا تكون مغرقة في الطول فيمل السامعون و يقل الإقبال على الخطبة حيث قدم إبراهيم بن محمد المدبر (973 هـ) في كتابه " الرسالة العذراء " قوله : " و لا تطيلن صدر كلامك إطالة تخرجه عن حده ، و لا تقصدر به عن حقه " [7]

كما أضاف أيضا قوله : " و ليكن في صدر كتابك دليل واضح على مرادك ، و افتتح كلامك برهان شاهد على مقصدك ، حيث ما جريت فيه من فنون العلم ، و

---

[1]-ينظر : جيهان رشى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، ص : 410 .

[2]-ينظر : انطوان الفوال ، فن الخطابة ، ص : 12 .

[3]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 13 .

[4]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 12-13 .

[5]-حازم القرطاجني ، المنهاج ، ص: 310.

[6]-المصدر نفسه ، ص : 310.

[7]-صالح خليل أبو اصبع ، نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر ، ص : 231 .

نزعت نحو من مذاهب الخطب و البلاغات "[1] ، و أكثر من هذا وضع العرب شروطا في الخطبة كأن تفتح بالتحميد و التمجيد ، و توشح بالقرآن و الأمثال ، و سمو الخطبة التي لا يذكر الله في أولها البتراء و التي لا توشح بالقرآن و الأمثال الشوهاء .[2]

أما عن الافتتاحية في المقال الصحفي فإن كتابها يلجأ إلى جميع الوسائل الإنشائية و البلاغية الممكنة ، كأن يورد حكمة أول قول مأثور أو حتى نتساؤل فيه إحراج أو غضب أو عتاب أو غير، مما يلزمه المقام .[3]

ب-العرض :

يعتبر العرض هو النواة الأساسية التي يهتم بها الخطيب ليعتمد على جميع أسلحته في التأثير و الاستمالة و استقطاب المستمعين ، لهز مسامعهم بالفكرة أو القضية المطروحة ، و تختلف مواضيع الخطبة حسب أنواعها و أغراضها و نوع الجمهور و المناسبة و لأن المقدمة و الخاتمة غايتها المساعدة في إنجاح الخطيب يمكنه الاستغناء عنها في الخطبة ،و من شروط نجاح العرض ما يلي :[4]

-وحدة الموضوع ، لأن الكلام في الخطبة يدور حول موضوع رئيس لترتبط به جميع الأفكار الثانوية .

- ترتيب الكلام و تنسيقه تنسيقا يظل معه الخطيب محتفظا بانتباه السامعين ، كالتدرج في الكلام و القدرة على حسن الانتقال بين الأفكار كقول حازم : " اعلم أن الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر لا يخلو من أن يكون مقصودا أولا فيذكر الغرض الأول ، لأن يستدرج منه إلى الثاني و تجعل مآخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهيأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني ..."[5]

-التدرج تدرجا تصاعديا في إيراد المؤثرات لتحقيق فاعليتها المطلوبة ، و هذا التدرج قائم على معياريين هما :[6]

1-معيار الجاذبية : أي البدء بعرض الجوانب الأكثر جاذبية و تشويقا و لذلك لجذب انتباه المستقبل .

---

[1]-ينظر المرجع نفسه ، ص : 231 .
[2]-ينظر : قدامة بن جعفر ، نقد و نثر ، ص : 95 .
[3]-ينظر : جان جبران كرم ، مدخل إلى لغة الإعلام ، ص : 45 .
[4]-ينظر : انطوان الفوال ـ، فن الخطابة ، ص : 12-14 .
[5]-ينظر : حاظم القرطاجني ، المنهاج ، ص : 315 .
[6]-ينظر : ينظر : محمد منير حجاب ، مهارات الاتصال ، ص : 246 .

2-معيار الأولوية أو الحداثة : و يعني أن النقاط التي تقدم أولا يخطى باهتمام أكبر من تلك التي تليها و تقديم المعلومات الأحداث الأكثر فاعلية .

-الوضوح في الكلمات و المعاني ، لأن الخطابة تهدف إلى الإقناع و كل غامض لا يقنع .

-التحليل الدقيق للوقائع ، التي تدعم الموضوع تفسيرا أو تحليلا أو تعليلا .

و يقصد بالتفسير هنا : هو شرح الوقائع و الأحداث ، أما التحليل فهو فرز عناصر الموضوع

بحيث يمكن النظر إلى كل عنصر على حدة و الحكم عليه ، و أما التعليل فهو ذكر الأسباب المؤدية إلى الظواهر و الأحداث و الوقائع .[1]

-الاعتماد على الإستمالات الوجدانية كالتخويف و التهديد أو الإستمالات العقلية ، إلا أن بحوثا كثيرة سالفة قد حسمت ، أفضلية الإستمالات عن الأخرى في صالح الإستمالات العقلية.

و لذلك تهتم بحوث الإقناع بالدرجة الأولى باستشارة الجوانب المعرفية و الإدراكية ، التي تساعد المتلقي على اتخاذ القرار بالإيجاب أو السلب .[2]

ج-الخاتمة :

تتخذ الخاتمة أشكالا مختلفة بتعدد عباراتها و استنتاجاتها ، فقد تكون إعادة للعبارات التي تم الاستهلال بها أو تثبيتا مجددا للرأي الذي أقام الخطيب البرهان عليه التوسع و قد يكون استنتاج مبدأ عام أو غير ذلك .[3]

لذلك يجب على الخطيب أن يحمل ما عالجه بأسلوب حي و رشيق فيثير انتباه الناس أكثر لأن الخاتمة هي آخر ما يطرق سمعهم و يبقى في أذهانهم .[4]

و بهذا فإن مهمة الخطيب تتعدى الارتجال الطارئ إلى تفكير مسبق في بناء رسالة خطابية إعلامية تشد انتباه العامة و الخاصة و إن اختلفت أشكالها مع التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام ، إلا أن الركائز الأساسية تبقى دعامة رئيسية تتقاطع معها مختلف أشكال الخطيب من سياسة كانت أو اجتماعية أو دينية أو تعليمية أو غيرها .

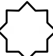
---

[1]-ينظر : جان جبران كرم ، مدخل إلى لغة الإعلام ، ص : 46 .

[2]-ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات و اتجاهات التأثير ، ص : 122 .

[3]-ينظر : ينظر : جان جبران كرم ، مدخل إلى لغة الإعلام ، ص : 46 .

[4]-ينظر : انطوان الفوال ، فن الخطابة ، ص : 14 .



1-السياق و مقتضى الحال :

إن ما تميز به تراثنا العربي هو ذلك التكامل الذي يجمع بين جميع معارفه من نحو و أصول، و تفسير و بلاغة بالإضافة إلى وحدة منطلقاته ، كما لا ننسى أن للتراث العربي خصائص ابستمولوجية تجعل منه وحدة متميزة مستقلة في حين أن هذه الوحدة المتكاملة لها القدرة على التحاور العلمي مع أهم الدراسات اللسانية الحديثة خاصة منها : " التداولية اللسانية " لا سيما البلاغة العربية ، ذلك أنهما يعتمدان على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي ، على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف ، فكل رسالة لها قصدها و موقفها و ظروف تلقيها [1] .

فقاعدة " مطابقة الكلام بمقتضى الحال " مشتركة بين البلاغة و التداولية ، فماذا يقصد إذن بالتداولية ؟ ثم ما مدى ارتباطه بالبلاغة من زاوية السياق ؟

1-1-مفهوم التداولية: La Pragmatique

تعتبر اللسانيات التداولية اتجاها حديثا في الدراسات الغربية ، حيث تشكل الاتجاه العامل الذي ما فتئ بظهوره أن أحدث تحولا جذريا في مسار الدرس الغربي ، و كانت بدايات وبوادر ظهورها الأول على يد مدرسة جنيف ، و هي تعد بذلك إشارات خفيفة لهذا المنحى ، بينما تعود التصورات الأولى في أمريكا و أوربا ، إلى تصورات السيميائي الأمريكي شارل بيرس Sharles pierce (1914-1939) ، و هو يعتبر من المؤسسين المباشرين لهذا الاتجاه ، إلى جانب أعمال شارل موريس W.Charles morris ، و أعمال كارل بوهلر [2]، بالإضافة إلى المحاولات التجريبية المنطقية القريبة من نادي فينا Imprisme logique من خلال أعمال فريج Fregé و أعمال منجشتاين Wittagténien و كارناب R.Carnap و بارهييل T.Berhille فقد أعطى هؤلاء التصورات الأول للدرس التداولي ، و مهدوا له من حيث هو مبادئ عامة تشتمل جميع أنظمة العلامات [3].

و توالت المحاولات لإعطاء الدرس اللساني التداولي منهجا ، و أسسا و هذا على يد جون أوستين J-Austin [4]و تلميذه سورل R..Searle [5]و إمسيل بنفست E.Beneniste ، و ديكرو Ducrot[6] و غيرهم ... .

---

[1] -ينظر : سعيد حسن البحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم و الإتجاهات ، ص 10 .
[2]-ينظر : جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 7 .
[3]- ينظر : فرونسوار أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر :سعيد علوش ، مركز الإبهاء القومي ، ص 13 .
[4] -ينظر المرجع السابق ، ص 62 .
[5] -ينظر المرجع نفسه ، ص 56 .
[6] -ينظر المرجع نفسه ، ص 58 .

فالتداولية ترجمة للكلمة La pragmatisme و هو مصطلح إنجليزي الأصل و نجد للتداولية مجالان :

أ-مجال الاستعمال العام : و تعني الذرائعية و هي تقابل مصطلح La pragmatisme و هو مذهب نفعي عرفت به الفلسفة الأمريكية يرى " أن معيار صدق الآراء و الأفكار في عواقبها العملية ، و الحقيقة تعرف بنجاحها ، و قد عرف بهذا الاتجاه كل من جيمس و شليستر وديوي"[1] يعد هذا المجال خارج المجال اللغوي .

ب-في مجال اللسانيات : "و تعني La pragmatique ذلك الاتجاه الذي يدرس اللغة ، في إطار استعمالها من خلال الدواعي النفسية ، ردود أفعال المتخاطبين ، نوع الحوار ، موضوع الحوار ".[2]

كما نجد اللسانيات التداولية La pragmatique linguistique ، عدة تعريفات أقدمها تعريف موريس Morris : " إذ يرى أن التداولية جزء من السيميائية تعالج العلاقة بين العلامة و مستعملي هذه العلامة " [3] .

كما يمكن أن تعرف اللسانيات التداولية بأنها " تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم و خطاباتهم ، كما تعنى من جهة أخرى بكيفية تأوليهم لتلك الخطابات و الأحاديث "[4] .

و اللسانيات التداولية تخصص ينفتح على العديد من التيارات الفلسفية المختلفة و المتداخلة حيث تظهر المفاهيم القريبة من التداولية عند أولئك الذين يهتمون منذ أمد بعيد بآثار الخطاب على المتكلمين من سوسيولوجين ، و معالجين نفسانيين و متخصصين في البلاغة و ممارسي التواصل و لساني تحليل الخطاب[5] الخطاب[5] .

لذا كان من الصعب على الدارسين الغربيين تحديد موضوعها فهي تيار يجمع العديد من التخصصات (علم النفس ، علم الاجتماع ...) ، و ظهورها بهذا المظهر جعل الكثير من الدارسين الغربيين يطلق عليها اسم رقعة الدراويش ، أو سلة المهملات التي تودع فيها المشاكل التي لم يكن في إمكانها المعالجة في النحو و الأدلة و خاصة مشاكل الاستعمال .[6]

---

[1]-المنهل : جبور عبد النور ، سهيل إدريس ، ص : 957 .

[2]-Jean du boin et autre, dictionnaire de linguistique, P 388 .

[3]-فرانسوار ارمنكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، ص: 08 .

[4]-جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر : محمد يحياتين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص : 07 .

[5]-ينظر : فرانسوار أرمينكو : " المقاربة التداولية " ، ص : 07 .

[6]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 12 .

و هذا ما جعل القول بتداوليات و ليست بتداولية واحدة ، و على الرغم من تشعب مجالها إلا أننا نجد بعض محاولات لتحديد لموضوعها من جانب سيميائي أي ، دراسة تلك العلاقات القائمة بين العلامات و مؤوليها ، و هذه وجهة نظر كل من موريس (S.Morris) و ريكاناتي E.Recanti ، كما نجد تحديدا لآخر عند ديلر M.Diller و ريكاناتي أيضا ، فهي تخصص يدرس اللغة داخل الخطاب و السمات المميزة التي تؤسس وجهتها الخطابية في صلب اللغة.[1]

و هكذا ينظر إلى هذه التحديدات من جوانب عدة للإنتاج اللغوي بحكم تداخل تيارات معرفية عديدة و اقتربت في تحديد مجالها الذي يعتبر أساسا في القوانين التي تضبط تفاعل المتخاطبين.

فالتداولي ة إذن ه ي دراس ة للجان ب الاس تعمالي للغ ة ، و هذ ا تح دد (Orechioni) وظيفة التداولية : " و استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية : المرسل – المتلقي ، الوضعية التبليغية" .[2]

إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة [3] ، و هنا يتجلى العنصر الرابط و المشترك بين مختلف النظريات و التوجيهات ، التي شكلت ما نسميه التداولية و هو " السياق " Contexte [4] ، بما فيها البلاغة العربية و نظرية التواصل

و عن المهام الرئيسية للنظرية التداولية ذكر:

أولا: أنها تحول ضروب الخطاب إلى أفعال منجزة و بعبارة أخرى فإن ما توجد له بنية مجردة لموضوع العبارة ينبغي أن يصير بنية مجردة لإنجاز العبارة .

ثانيا: يجب أن " تنـزل" هذه الأفعال في موقف معين و أن تصديغ الشروط التي تنص على أي العبارات تكون ناجحة تواصليا في أي موقف من المواقف . [5]
5

---

[1] -ينظر : جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص : 43 .

[2]-عمر بلخير ، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا) ، مجلة إنسانيات عدد 14-15 ماي-ديسمبر 2001 ، ص : 102 . .

[3]-المرجع السابق، ص 102 .عن : OrecchioniK G.K .Enonciation De L a Subjectivité Dans Le Langage Paris Armand 1980

5-ينظر : المرجع نفسه ص:103

[5]-ينظر : فان دايك –النص و السياق - استتسقاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي- –تر : عبد القادر قنيني –افريقا الشرق 2000 ص: 256-257..

كما أصطلح على أن اللفظ التقني الذي يستخدم في مثل هذا الموقف هو مصطلح " السياق" .[1]

و من هذا المنطلق جاء أن " السياق هو عبارة عن تجريد عالي الصورة المثالية مأخوذ من مثل هذا الموقف ، و هو يحتوي فقط على أحداث تعين على نحو مطرد مناسبة العبارات المتواطئ عليها "[2].

و عن النوع الأول و الذي قد نصطلح عليه باسم " السياق الداخلي " جاء أنه: " قد يكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين و تكوينهم الداخلي (معرفتهم ، و اعتقاداتهم وأغراضهم ، و مقاصدهم) ".[3]

أما النوع الثاني أي " السياق الخارجي " جاء أنه : " قد تكون الأفعال المنجزة ذاتها و بنياتها و الصفة الزمانية و المكانية للسياق، حتى يمكن وضعها في محل من عالم ممكن متحقق " [4].

1-2-السياق عند علماء الأصول – في ظل التداولية - :

من خلال المعطيات السابقة و من خلال التتبع للدرس اللساني العربي نرى أنه لم يبتعد كثيرا عن هذه القضايا اللغوية -السياق خاصة- التي توصل إليها الغرب، في مجال اللسانيات التداولية، فقد تضمن إشارات بمفاهيم تواصلية تداولية هامة ، تجعل من اللغة العربية عنصرا فاعلا يتجاوز حصرها في جانبها الصوري التجريدي المعياري .

ولكننا سنحاول التركيز على مفهوم السياق كعنصر ضروري في العملية التبليغية لدى البلاغين خاصة الأصوليين منهم.

حيث لم يكن الدرس الأصولي بمنأى عن القضايا التي تمس اللغة فقد كانت الجوانب اللغوية من أهم الجوانب التي أسس منهجه عليها ، و هذا للوصول إلى فهم مقاصد النص القرآني ، و استنباط أحكامه ذلك أنهم أدركوا الربط الوطيد بين اللغة و النص الشرعي ، " فنظروا إلى القرآن على أنه خطاب متكامل متماسك و هي نظرة بنيوية و يظهر هذا من قولهم أن القرآن يفسر بعضه بعض ، و نظرة أخرى و هي نظرة تداولية محصنة من خلال مراعاة أحوال المخاطبين و السياق " .[5]

فتوجهت عنايتهم لتحديد المعنى و فهم قصد الشارع ، و كان انطلاق علماء الأصول في تحليلهم للنص القرآني – آخذين بعض المفاهيم البلاغية – من مبدأ

---

[1]-ينظر المرجع نفسه ، ص : 257 .
[2]-ينظر المرجع نفسه ، ص : 257 .
[3]-المرجع نفسه ، ص : 257 .
[4]-المرجع نفسه ، ص : 257 .
[5]-مسعود صحراوي ، مجلة الدراسات اللغوية ، مج5 ، العدد 1 ، ص : 40 ، وأيضا عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص35 ، ص:98 .

أن اللغة تحمل وظيفة اجتماعية و هذا في خضم حديثهم عن وظيفة اللغة و عرفيتها و الوقوف على إمكانياتها و تعبيرها عن الفكر بكل خصائصه ، و توجيهاته إذ " تنبهوا في بادئ الأمر إلى أن اللغة وظيفة اجتماعية ، وهي بحكم تلك الوظيفة تعتبر سلوكا مميزا لأنواع خاصة من الكائنات الحية "[1].

و هذا التصور لا يبتعد عن تصور علماء الغرب في أن اللغة وظيفة اجتماعية عرفها الأساسي التواصل و دراستها ينبغي أن تكون في إطار هذا التواصل، و بذلك ربط علماء الأصول الظواهر اللغوية بوقائعها الفعلية " حيث بدأت تتجه إلى الدلالة المستمدة من النظم القرآني ذاته و أثر هذه الدلالة على الأحكام الشرعية فيما عالجته من أحداث الحياة "[2] .

كما أولى علماء الأصول للمفاهيم التداولية أهمية كبيرة، حيث أشاروا إليها أنها تتدخل في توجيه الخطاب الشرعي، الأصولي آخذين ما يلزم للفهم منها معرفة السياق الذي يرد فيه الخطاب ، و هو ما أسموه بالمستوى العام "، و هو ما يرجع إلى معرفة البيئة العربية المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماض سحيق و تاريخ معروف أو عقيدة بأي لون تلونت و فنون مهما تتنوع ...و أعمال مهما تختلف و تتشعب "[3] .

أما المستوى الخاص و هو مستوى قريب إلى الخطاب ، و يرجع إلى ثبوت النص و ضبطه ببيان تاريخ ظهوره ، و أدوار جمعه المختلفة ، و كتابته ، و أسباب نزوله و قراءته .[4]

و لذا ارتبط فهم بعض الآيات بأسباب نزولها (أي المقام الذي نزلت فيه) ، و هو ضروري لمعرفة معانيها ، فلا يمكن فهم قوله تعالى مثلا إلا في سياقها المناسب " لَيْسَ عَلَى الذِينَ آمَنُوا ، و عَمِلُوا الصَالِحَاتِ ، جُنَاحٌ فِيَمَا طُعِمُوا "[5] ، أدى ببعض الصحابة إلى فهم أن كل من يعمل الصالحات ، أن يقرب الخمر الخمر لكن سبب نزول هذه الآية غير ذلك إذ نزلت بعد تحريم الخمر ، و أن من قتلوا في سبيل الله قبل تحريمه و كانوا يشربونه ، لا جناح عليهم[6] ، لذا يعتبر سبب النزول عاملا قويا لبيان معاني الآيات ، و كان اعتماد علماء الأصول عليه في تحليلاتهم للخطاب الشرعي ، فلم تكن هذه المفاهيم بعيدة عن المفاهيم التداولية المعاصرة التي تبنتها اللسانيات الغربية التداولية منها [7].

---

[1]-أحمد عبد الغفار ، التصور اللغوي عن الأصوليين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1992 ، ص : 57 .

[2]-ينظر ، المرجع نفسه ، ص : 21 .

[3]-إدريس حمادي ، المنهج الأصولي في فقه الخطاب ، ص : 56 .

[4]-ينظر المرجع نسه ص 75 .

[5]-سورة المائدة الآية 93 .

[6] -ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ج1 ، ص 643 .

أ-مفهوم السياق : Contexte :

ينظر إليه على أنه " الوظيفة الملموسة التي توضح و تنطلق من خلالها مقاصد تخص الزمان و المكان و هوية الأسس و كل ما نحن بحاجة إليه من أجل فهم و تقييم ما يقال " [1] فاستعمال اللغة يخضع لعدة شروط و معطيات اجتماعية و ثقافية و نفسية للمتكلمين ، حيث يشمل السياق أغراضهم و مقاصدهم ، و يعمل على تحديد المواقف الكلامية و القضايا المعبر عنها و التي تختلف حسب المناسبات و الظروف .

ب-مفهوم المقام Situation

حدده كوست G.Coste " على أنه مجموعة شروط إنتاج القول ، و هي الشروط الخارجية عن القول ذاته ، فالقول يجعل في وسط (مكان) و لحظة (زمن) الذي يحصل فيه " [2] ، و هذا ما يؤدي إلى تغيير المواقف بحسب ، و نجد تدخل عناصر عديدة في تحديد المقام منها : المشاركون في عملية التبليغ و القول و المقاصد و مكان التفاعل .

كما قام علماء الأصول بتقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء أو ما عبر عنه الأصوليون " أن معاني الكلام من حيث هي لا تخرج عن الأمر وما في معناه و الخبر و ما في معناه " .[3]

ذلك أن الكلام بالنسبة لهم إما اسم مع اسم و هو إخبار ، وإما اسم مع فعل (Acte) و هي إنشاء ، و هذا التقسيم أدركه العرب فيها بعدوان ، و إن لم يكن بالعمق الذي نجده عند علماء الأصول في تفصيلاتهم للأسلوبيين .

و قد فصل الإمام القرافي في هذا، حيث قام بإعطاء الفروق بين الخبر ، و الإنشاء على أساس أربعة أوجه :

-الوجه الأول: أن الإنشاء سبب لمدلوله بخلاف الخبر .

-الوجه الثاني: أن الإنشاءات يتبعها مدلولها ، فلا يقع الطلاق إلا بصيغة الطلاق مثلا و الأخبار تتبع مدلولاتها (أي تابع لتقدير مخبره في زمانه) .

-الوجه الثالث: أن الإنشاء لا يلزم الصدق و الكذب بخلاف الخبر .

-الوجه الرابع: أن الإنشاء لا يقع إلا منقولا عن أصل الوضع بينما الخبر يكفي منه الوضع الأول. [4]

كما يذهب القرافي في إطار هذا أدرجنا إلى التفريق بين الشهادة ، و الرواية فالخبر إما أن يقصد به أن يترتب عليه فصل و إلزام حكم ... فإذا قصد

---

[1]-فرانسوار أرمنيكو ، المقاربة التداولية ، ص : 09 .
[2]-جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص : 41 .
[3]-إدريس حمادي ، المنهج الأصولي في فقه الخطاب ، ص : 39 .
[4]-شهاب الدين القرافي ، الفروق ، ص : 39 .

به فهو شهادة ، و إما أن يقصد به تعريف دليل حكم شرعي ، أولا فإذا قصد ذلك فهو رواية ، و إلا فهو سائر أنواع الخبر .[1]

و قد احتكم علماء الأصول في تفريقهم بين الخبر و الإنشاء إلى معايير ، منها معيار الصدق و الكذب ، بالإضافة إلى معيار مطابقة الكلام للنسبة الخارجية ، كذلك اعتمدوا على الصيغة إذ يرى ابن حزم أن " الأمر و النهي إنما هو ما ورد بلفظ افعل و لا تفعل فهذه الصيغة لا يشركه فيها الخبر الذي في معناه الخبر المحض رأى أن الأوامر تكون على وجهين [2] :

-أحد هما بلفظ افعل ، أو افعلوا مثل قوله تعالى : " أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة " .

-الثاني بلفظ الخبر ، و إما بفعل و ما يقتضيه من فاعل ، و إما بجملة ابتداء و خبر ، كقوله تعالى : " كتب عليكم الصيام " ، و قوله تعالى : " مقام إبراهيم من دخله كان آمنا " .

وكذلك اشترط شهاب الدين القرافي في إنشاء الشهادة أن تكون بصيغة المضارع كقول الشاهد " أشهد بكذا " ، و ليس " شهدت " بصيغة الماضي ، خلاف البيع الذي يشترط فيه أن يكون بصيغة الماضي " بعت لك " ، كما اشترط في الشهادة أيضا الذكورة و الحرية و العدد أما الرواية فهي أخبار كرواية الحديث النبوي و لم يتحدث علماء الأصول صراحة عن الظروف و السياقات ووضعوها في إطار معيار وحيد ، و هو معيار الإفادة .

و هذا ما قد يذكرنا في تقسيم أوستين للجملة من تقريرية و أدائية ووضع معايير منها:

-اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم مسدتند إلى ضمير المفرد المتكلم.

-اشتمال الجمل على فعل أو ما يقوم مقامه بصيغة البناء المجهول مسند إلى ضمير المخاطب.[3]

و لا حظ أو ستين أن هذه الشروط غير كافية ، و جملة " أقرر أن الأرض كروية الشكل " تشمل شروط المعيار الأول ، لكنها وصفية فاقترح معيار آخر و هو القيود المعجمية .[4]

كما يضيف شروطا أخرى للتفريق بين هذين الأسلوبين هي:[1]

---

[1]-ينظر : المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 15 .

[2]-أبو محمد ابن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام ، ص: 33 .

[3]-مسعود صحراوي ، "نظرية أفعال الكلام " المجلة الجامعية ، الأغواط ، مج1 ، العدد 2 ، ص : 41-42 عن Austin (Johan langshaw) , quand dire c'est faire , traduction française de gilleslane ,postface de François reacanati m Paris ,Editions de seuil , 1970..

[4]-ينظر المرجع نفسه ، مج 1 ، ع2 ، ص : 43 .

1-الصوت أو الإيقاع (أي فنون القراءة) .
2-الظروف و أدوات الربط.
3-متتبعات الكلام و ملابساته (مثل الحركات و الإشارات) .
و هذا من خلال ما يعرف عندهم بنظرية الأفعال الكلامية أو تداولية الأفعال الكلامية La pragmatique Des Actes de Parole للأمريكي ج.ل.أوستين J.Austin من خلال كتابه حين نقول نعمل Quand dire c'est faire و هو ينطلق من مقولة – و هي لما نوفسكي – " أن اللغة وسيلة من وسائل الفعل ، و ليست أداة للتأمل " [2] ، و هنا لا ينبغي حصر اللغة في جانب التواصل بل هي أيضا أفعال تنجز ، و بذلك فرق أوستين بين الجمل الإثباتية و الجمل التي تؤدي أفعالا ، قسم الجمل إلى تقريبية أو بيانية Constatif ، و جمل إنجازية أو أدائية Performatif فالجمل التقريرية تستخدم للإصدار العبارات الخبرية ، أما الجمل الأدائية فهي الجمل التي يؤدي بها المتحدث أو الكاتب عملا أو فعلا و ليست مجرد كلام "[3] و مثال ذلك :
أ-انتصر فلان على كذا ← تقريرية .
ب-أراهنك على كذا ← أدائية (أو إنجازية لفعل الرهان مجرد التلفظ) .
أما علماء الأصول فيذهبون في تحليلهم للخبر ، و الإنشاء إلى اتجاه مخالف ، و أكثر عمقا لهذين الأسلوبين ، فالخبر ما كان إثباتا و يكون إفادته للحكم الشرعي ، و الإنشاء هو الابتداء و الخلق في اللغة ، و إما أن يكون طلبيا و إما أن يكون غير طلبي ، كما قام ابن حزم بتقسيمه إلى مراتب :
-حيث على الفعل و يدخل في إطاره (الواجب ، المندوب ، المباح للفعل) .
-حيث على الترك و يدخل في إطاره (الحرام ، المكروه ، المباح الترك) .
كما نجد علماء الأصول يصنعون للخطاب مستويين :
1-مستوى الخطاب التبليغي لوجوب التحريم .
2-مستوى الخطاب الوصفي و هو ما كان سبب الآخر مثل الزوال يوجب الصلاة . [4]

---

[1]-بن ضيف الله الطاحي ، دلالة السياق ، معهد البحوث العلمية ، السعودية ، ط3 ، ص : 227-228 .
[2]-المرجع السابق ، ص : 223 .
[3]-جون لاينر ، اللغة و السياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، مؤسسة شؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، ط1 ، 1987 ، ص : 192 . .
[4]-طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط1، 1998 ، ص : 256 .

غير أنه ما بقي يشكل إشكالا هي تلك الجمل التي صدنفها علماء الأصول كقسم ثالث من أقسام الخبر و الإنشاء أو ما اسماه أوستين : " الأدائيات الأولية " ، أو غير الصريحة و هي التي لا تحتوي على تعبير يوضح نقش الكلام (أي التركيب) في مقابل الأدائيات الصريحة أو الواضحة مثل جملة " سأدفع كذا " .[1]

فليس في هذه الجملة حقيقة اعتبارها وعدا ، أو تنبؤا أو بيانا ، و نجد علماء الأصول يصنفون هذا النوع من الجمل إلى قسم ثالث ، و يفصلون القول في هذا الباب مثل الاختلاف في صيغ العقود و الحمد و الذكر فهي إنشاءات منقولة عن آلية الخبر (أو ما أسموه أخبار عن إنشاء) إذ تظهر الفروق بين هذه الجمل : [2]

-الجمل التي تحتوي على لفظ الطلاق هي جمل إنشائية صريحة .

-جمل لا تحتوي على لفظ الطلاق ، و هي إنشاء للطلاق (غير الصريحة) مثل جملة : " أنت علي كظهر أمي " ، ففي عرف العرب إنشاء لطلاق .

و تعتبر الآية في قوله تعالى : " إياك نعبد و إياك نستعين " لفظ خبر ، لكن المعنى دعاء و طلب ، كما أشار علماء الأصول إلى نية (أو قصد) المتكلم في ذلك ، و أشاروا أيضا إلى الكلام النفسي أي دون تلفظ ، و هو لا يعتبر أداء للأفعال أو تعبيرا عن إنشاءات إذ يعتبر علماء الأصول أن الإيمان لا يكفي فيه مجرد الاعتقاد بل لابد معه من نطق باللسان ، و إن توفر فيه القصد .

و مفهوم القصد قد أشار إليه أو ستين في تقسيمه للفعل اللغوي:

1-فعل القول " **Acte Locatif**" و هي الأحداث النطقية و تتضمن ثلاثة أقسام:

أ-الفعل الصوتي : ما تصدره أعضاء النطق من أصوات .

ب-الفعل التبليغي" **Phatique**" : و هي تلك الكلمات التي تخضع لقواعد اللغة المنتمية إليها.

ج-الفعـ ل الـ دلالي أو الخطـ ابي :" **Rhétique**"حيـ ث أن العبـ ارة لا تحمـ ل دلالات معينة .

2-الفعل المتضمن للقول أو الإنشائي : و هو يتعلق بإنجاز المتكلم للفعل مجرد التلفظ به و يرتبط هذا بالمقاصد (**Intentions**) .

3-الفعـ ل التـ أثيري : **Perlocutif** و هـ و عبـ ارة عـ ن عمليـ ة ردود أفعـ ال و التأثير على المخاطبين.[3]

و قد أطلق عليه سورل R.Séarle مصطلح الفعل الغرضي ، و هو الفعل المتضمن لمقاصد المتكلمين مقسما إياه إلى مجموعة تصنيفات و هي :

---

[1]-جون لاينز ، المعنى و اللفظ و السياق ، ص : 194 .
[2]-القرافي ، الفروق ، ص : 56 .
[3]-ينظر : جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص: 24 .

1-التأكيدات : **Assertifs** أو الإثباتات ، و هي تحمل إحدى قيمتي الصدق أو الكذب مثل أكد .
2-الأوامر **Directifs** : و من خلالها يحصل المتكلم على شيء مثل طلب إنجاز شيء ما .
3-الالتزامات **Comossifs** : ما يلزم المتكلم القيام به مثل الوعد .
4-البوجيات **Expressif** : و هي حالات نفسية للمتكلم مثل الاعتذار .
5-التصد ريحات **Déclaration** :أو الأدلاءات تق ارب المضد مون بـ ين المضمون اللغوي و الواقع .[1]

و مما يلفت النظر هو محدودية هذا التصنيف فقد تتجاوز الأغراض في هذه المعطيات ، و في نفس الوقت يستحيل حصر جميع الأفعال الغرضية ، لذا ذهب علماء الأصول في الحكم على الجملة على أنها أمر ، أو قسم إثبات و هذا من خلال طبيعة هذه الجملة بالإضافة إلى الأخذ بدلالة بعض الأفعال كأفعال الوعود ، و قد قصد علماء الأصول في تحليلهم للخطاب الشرعي معرفة قصد الشارع ، و التركيز على إفهام المكلف " إذ يعتبر الأساس في عملية التواصل ، و هو المقصود أساسا بالحكم "[2] .

و هك ذا ف إن اللغ ة ضد من اسد تعمالاتها الاعتيادي ة تأخ ذ أشد كالا و أنماط ا مختلفة، و لهذا فإن المعاني الضمنية أو المباشرة هي مفاتيح معرفة الغرض من التواصل و التبليغ .

و إن اختلفت المستويات المعجمية المستعملة التي يحدها سياقها -الداخلي أو الخارجي – حتى يتسنى إدراك المعنى المقصود .

1-3-السياق عند بعض البلاغيين في ظل التداولية:

لقد ضمن علماء البلاغة مباحثهم إشارات لمفاهيم التداولية ، و هذا من خلال ما أسموه بعلم المعاني ، الذي يتناول المعنى الوظيفي للغة ، و على الرغم من أنهم لم يقوموا بدراسة المعنى الاجتماعي بشكل مقصود إلا أنهم أشاروا إلى مفاهيم هامة مثل أحوال المتخاطبين ، مقتضى الحال.

و بذلك لم يكتفوا بدراسة اللغة بوصفها مجرد بنية صورية (أو حصرها في قواعد الإعراب) ، بل ربطوها بما تؤديه من معاني ، و هو ما أسموه بالأغراض و مقاصد المتكلمين.

و كان أهم ما أشار إليه علماء البلاغة في بحوثهم فكرة المقام ، مؤكدين في ذلك على أن لكل مقام مقالا و هو ما أسموه مقتضى الحال ، و قد تنبه علماء البلاغة لذلك حتى أن عملية حصر جل ما قيل أشبه بالمستحيل ، وقد حاولنا ذكر

---

[1]-ينظر : فرانسوار أرمينكو ، مقاربة التداولية ، ص : 66-67 .
[2]-إدريس حمادي ، المنهج الأصولي في فقه الخطاب ، ص : 32 .

أهمها في ما سبق كقول السكاكي مثلا – حين قال أنه توجد بعض البنى تناسب مقامات معينة ، دون مقامات أخرى ، إذ يقول : " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ...ثم إذا شرعت في الكلام ، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام و ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن و القبول ، و انحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به ، و هو الذي نسميه مقتضى الحال "[1] .

كما قسم علماء البلاغة الكلام إلى خبر و إنشاء، و هو تقسيم عام آخذين في هذا التقسيم بمعيار الصدق و الكذب، فإن احتمل الكلام معيار الصدق أو الكذب فهو خبر و إلا فهو إنشاء و وقد فصلوا القول في أسلوب الخبر على غير علماء الغرب الذين أشاروا إليه إشارة بسيطة و قد اختلف علماء البلاغة في اعتبار معيار صدق و كذب الخبر " فقال أكثرهم أن صدقه مطابقة حكمه للواقع ، و هذا هو المشهور ، و المعول عليه ، و قال بعض الناس صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان ، أو خطأ و كذبه مطابقته حكمه له "[2] و قد صنفوا الخبر على اعتبار حال السامع من الخبر فجعلوا منه " فائدة الخبر لازم الفائدة" .

ثم صنف الخبر على حسب حال المخاطب في نقله للخبر ، و ما نحتاج من مؤكدات لإثباته للسامع إلى " الأول من خبر ابتدائيا ، و الثاني طلبيا ، و الثالث إنكاريا ، و إخراج الخبر على هذه الوجوه إخراج على مقتضى الظاهر "[3] أي حسب حال المخاطب عند تلقيه الخبر ، و يعطي السكاكي أمثلة عن ذلك منها[4]: - عبد الله قائم ← و تعني الإخبار عن قيامه .

-إن عبد الله قائم ← جواب عن سؤال سائل .

-إن عبد الله لقائم ← جواب عن إنكار .

و قد ربط في هذا معاني الجمل الخبرية بحسب سياقاتها و مقاصد المتكلمين .

و كذلك أشار علماء البلاغة إلى مقامات التقديم و التأخير و أغراضه كثيرة منها: الاهتمام بأمر المتقدم مثل ، زيدا ضربت ، أو غرض تخصيص كقوله تعالى : " إياك نعبد و إياك نستعين " أي نخصك بالعبادة .

كما فصل علماء البلاغة القول في الإنشاء و رأوا أنه على ضربين : إنشاء طلبي ، و إنشاء غير طلبي ، و قد تعارف عندهم " بمصطلح الطلب " ، بدل الإنشاء حيث نجد مصطلح الإنشاء عند علماء البلاغة المتأخرين ، و يعرف السكاكي الطلب ، و تقسيمه ، إذ يقول : " و الطلب إذا تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول و قولنا لا يستدعي أن يمكن أهم من قولنا

---

[1]-أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 168 .
[2]-الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص : 60 .
[3]-المرجع نفسه ، ص : 81 .
[4]-ينظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 171 .

يستدعي أن يمكن ، و ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"[1] و من بين أساليب الإنشاء الطلبي لديهم : أسلوب التمني ، الاستفهام ، الأمر...، وجعلوا لكل من هذه الأساليب الطلبية أغراضا تخرج إليها حسب سياقتها، و من بين الإنشاء غير طلبي التعجب و المدح و الذم .

و هذا ما أشار إليه سورل "R.Searle" و حصره في قسم البوجيات و الأمريات إذ يعتبر أن " الأوامر Directifs و هي التي يحصل من خلالها المتكلم على شيء ما من المستمع أي طلب إنجاز شيء ما مثل طلب أمر... ، أما البوحيات Expressifs فهي التي تتضمن حالات نفسية مثل الشكر ، الاعتذار ...[2]

كما أشار علماء البلاغة إلى بعض الجمل الخبرية التي تقع موقع الإنشاء ، " و هذا الاحتراز من صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه ، ينظر المولى إلى الساعة ، و لحمل المخاطب على المطلوب ، أن يكون المخاطب ممن لا يجب أن يكذب الطالب "[3].

بالإضافة إلى هذا تحدثوا عن أحوال الكلام الصريح ، فتكلموا بذلك عن فصاحة المتكلم و قدرته على إيصال المعاني ، و عن فصاحة الكلام ذلك أن يكون مناسبا لمقاماته ، و الاحتراز عن الخطأ في تأديته ، و هذا يقارب ما أشار إليه غرايس في حديثه عن مبدأ التعاون أو التفاعل Interaction " الذي يبنى على أربع أحكام أساسية هي:

1-حكمة الكم : على المتكلم أن يقصد في كلامه ، دون زيادة أو حشو يفضي بالغرض المطلوب .

2-حكمة الكيف : لا ينبغي للمتكلم أن يتلفظ بكلام أصله خطأ أو بغير دليل و هذا ما يرتبط بالتواصل الحجاجي .

3-حكمة العلاقة : و هي تربط بين الخبر و علاقته بمقتضى الحال (السياق) أي مناسبة الكلام للمقام .

4-حكمة حكم الكلام : و هي ما تسمى أيضا القاعدة الأسلوبية تهتم بالوضوح و البيان و الابتعاد عن الخلط و الإبهام .[4]

-وكذلك من بين المفاهيم التي أشار إليها بعض البلاغيين و ترتبط بمفهوم السياق و هو الإيجاز في الكلام ، و ذلك بالابتعاد أثناء الكلام عما كان فضلة و هو في ذلك ضربان:

-إيجاز قصر : و هو تقليل الألفاظ و تكثير المعنى .

---

[1]-ينظر : المصدر السابق ، ص:171 .

[2]-ينظر : فرانسوار أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص : 66-67 .

[3]-القزويني ، الإيضاح ، ج3 ، ص : 93 .

[4]-ينظر : جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص : 33 .

-الإيجاز بالحذف : إما حذف جملة أو أكثر من جملة و هذا للاستغناء عن التكرار و عيوب الكلام [1]، و هذا ما ذهب إليه علماء الغرب في حديثهم عن الاقتصاد اللغوي من خلال ما أشار إليه غرايس في حكمه، و هي حكمة الكم : " و يقصد به كم الخبر بحيث يجب أن يكون بالقدر الذي يقتضيه الهدف و لا يتعدى القدر المطلوب "[2].

و في مقابل هذا أشار علماء البلاغة إلى الإطناب ، و هو الإيضاح بعد الإبهام – أشرنا إليه سالفا ، " ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس ، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال ، و الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل "[3] ، و هذا المفهوم لم يشر إليه الغرب إذ توقفت نظرتهم عند الاقتصاد اللغوي ، و الأساليب التي تؤدي إلى وضوح المعنى ، و كذلك أشار علماء البلاغة إلى مفهومي الحقيقة و المجاز العقلي ، و هذا في حديثهم عن الإسناد كما قسموا الحقيقة باعتبار الواقع و الاعتقاد إلى :

1-ما يطابق الواقع مع الاعتقاد .
2-ما يطابق الواقع مع عدم الاعتقاد .
3-ما يطابق الاعتقاد دون الواقع .
4-ما لا يطابق شيء ، و هي الأقوال الكاذبة . [4]

أما المجاز العقلي فهو : " إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر لعلاقة مع قرينة صارمة "[5] ، و المجاز عموما هو ما كان بعيد عما وضع له في اصطلاح التخاطب .

-كما نظروا أيضا في أسلوب الاستعارة على أنها نوع من المجاز و هي على قسمين :

-إما استعارة مصرح بها و بهذا تحتمل الحقيقة و التخيل من طرف السامع .

-و إما استعارة بالكتابة ، و تأويلها حسب السياق ، و القرائن التي ترد معها [6].

و الاستعارة تبتعد عما تواضع عليه في اللغة ، أي تخرج بذلك عن العرف اللغوي و أشار إلى هذا علماء الغرب من خلال ما أسموه بقوانين الخطاب و هذه

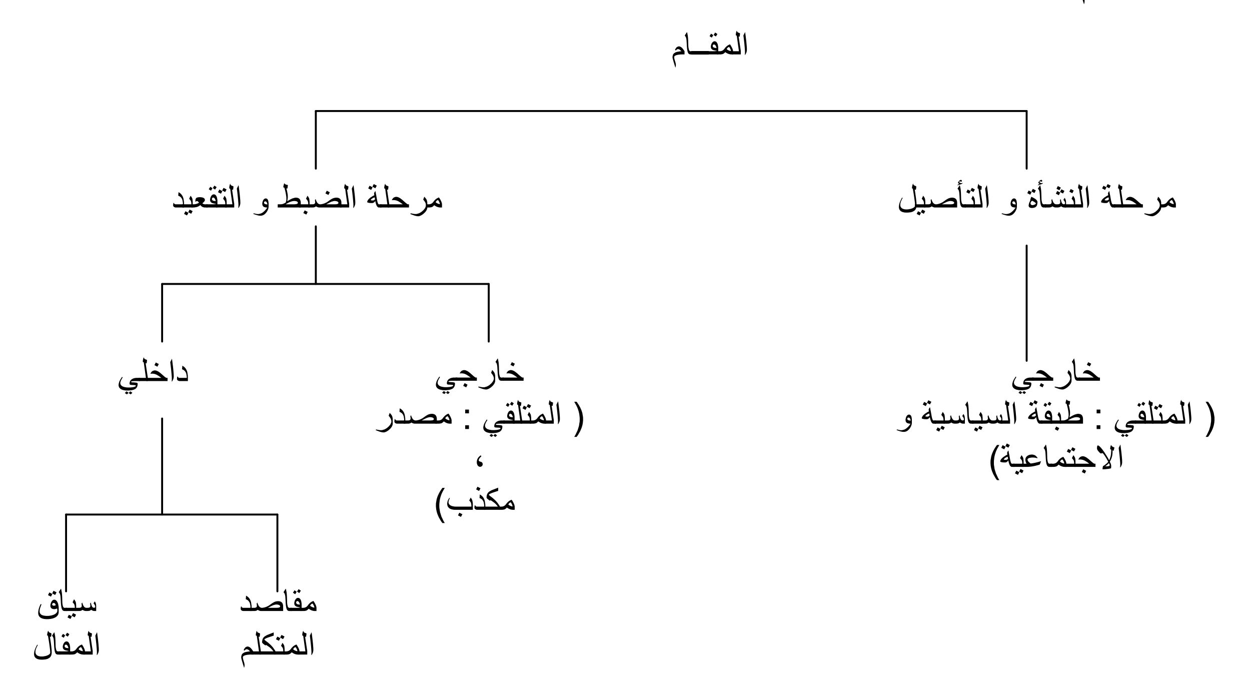
---

[1]-القزويني ، الإيضاح ، ج3 ، ص : 111 .
[2]-جيلالي دلاش ، مخل إلى اللسانيات التداولية ، ص :33 .
[3]-القزويني ، الإيضاح ، ج3 ، ص : 196 .
[4]-ينظر : المصدر السابق ، ج1 ، ص : 81 .
[5]-المصدر نفسه ، ج1 ، ص : 83 .
[6]-ينظر المصدر نفسه ، ج1 ، ص : 83 .

القوانين تسمح بانتقال الدلالة من مستوى صريح ظاهر إلى مستوى ضمني فحوار المتكلم يحوي مرجعيات و افتراضات مسبقة باختلاف السياقات ، و هذا ما يجعله يعبر عن أقواله التلميحية و يبتعد عن التفسيرات الحرفية و هذا ما اسماه سورل (R.Searle) بالفعل غير المباشر عندما تحدث عنه في إطار الاستعارة و التخيل " فالقول الحقيقي ينتصب وجوده متى كان هناك تطابق في معنى الجملة و معنى الذي يقصده المتكلم و ما يفهمه المستمع ، أما الاستعارة فهي التي تجبر المستمع على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يقصده المتكلم "[1].

و أشار إلى أن الأفعال غير مباشرة يكون لديها : " مجموعة من الوظائف منها التحايل أو الهزل أو تحاشي أمور غير مرغوب فيها أو غير مبررة أما الفعل المباشر فهو ما توفر على تطابق تام بين معنى الجملة و معنى القول "[2].

و يمكن الوصول إلى متضمنات القول حسب الاستعمال بين متخاطبين ، ويقوم كذلك على مفهوم المرجعية Référence أي حسب تجربة المتخاطبين و مرجعياتهم الثقافية .



و من خلال ما سبق نستنتج أن البلاغة العربية في عموم معارفها و من منطلقها الديني الذي رمى إلى دراسة القرآن الكريم ، لم تتأخر في الإشارة إلى مفاهيم لغوية هامة و كانت إشارات الدارسين العرب من علماء الأصول و

[1]-جيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص : 29 .
[2]-المرجع نفسه ، ص : 30 .

البلاغة دون الخوض في أسمائهم ، إشارات تكمل بعضها البعض لدراسة اللغة في إطار استعمالها الفعلي و ربطها بجوانبها الخارجية ، ولم تبتعد عن الدرس التداولي الغربي بل تجاوزته في بعض المواقف .

4-1-السياق و اللغة الإعلامية :

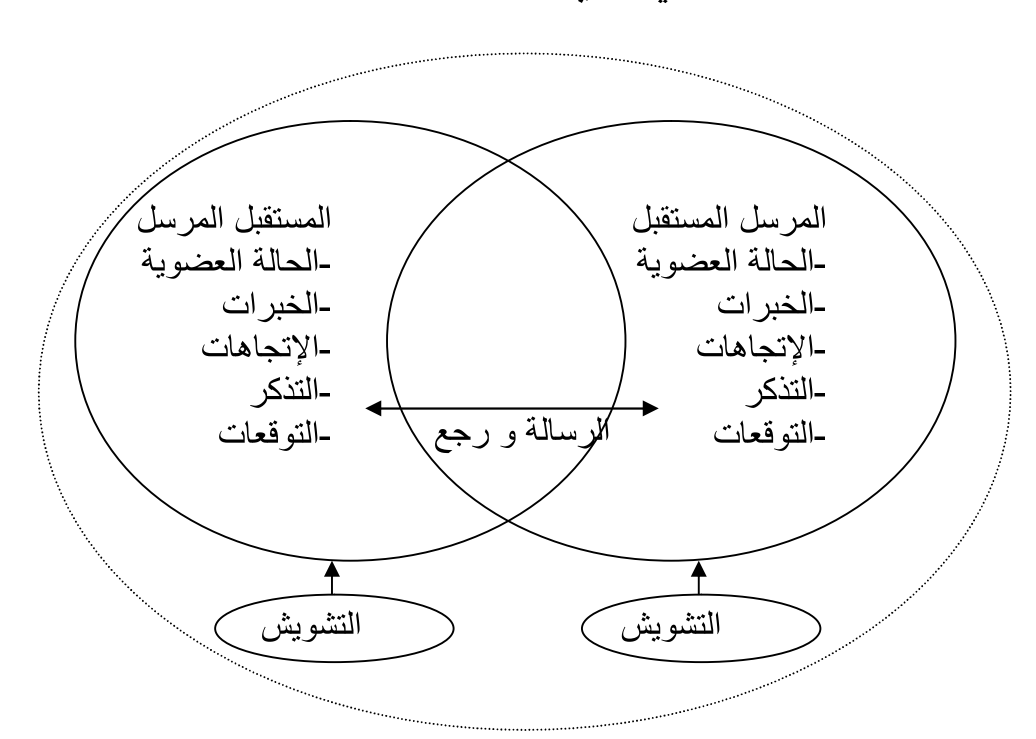
يعتبر السياق من أهم العناصر و الأفكار التي كان لها أثر في توجيه فحوى الرسالة الإعلامية و تجديد مفاهيمها و اختلاف مسارها .

و انطلاقا من تراثنا البلاغي ، الذي عالجها كموضوع رئيس تم وضع صورة شاملة له ضمن المخطط التالي : [1]

ففي المرحلة الأولى انعكست الحياة الاجتماعية على المتلقي مما أدى بالضرورة تأثيره على المقام ، فالواقع قد أوجب احترام نظام الطبقات و الفروق الاجتماعية للمتلقي .

فمحاولة تقصي الظروف المحيطة بالمتلقي تعتبر من محاولات الوصول إلى الكمال في تطوير الأسس الفنية لاستخدامات اللغة حتى يتسنى للرسالة الإعلامية تحقيق التأثير المنشود .[2]

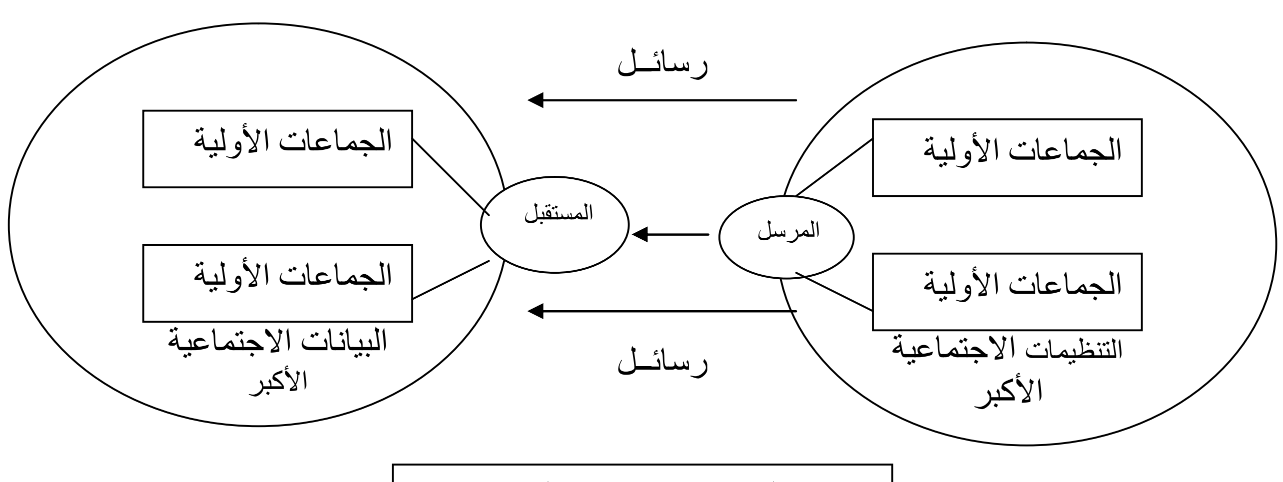
أين يرى مالينوفسكي أنه ينبغي علينا أن نربط ما بين دراستنا للغة و دراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي و الإنساني الآخر و أن تفسر دلالة كل لفظ أو عبارة داخل إطار السياق الحقيقي الذي تنسب إليه "[3].



1-جمال عبد الحميد ، البلاغة و الاتصال ، ص : 137 .
2-ينظر : عبد العزيز شرف ، لغة الإعلام اللغوي ، ص : 240 .
3-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 154 .

لنقترب -من خلال رؤية ليوفسكي- شيئا فشيئا إلى لغة الإعلام و في هذا الإطار أشار العالم " بركو" إلى التأثيرات البيئية في عملية التواصل ، على أن الأفراد هم نتاج خبراتهم و تأثيرات بيئتهم ، و هذه الأخيرة هي التي تفرض عليه نمط التواصل ، حيث قدم نموذجا أطلق عليه " البيئة الاتصالية " [1] ، موضحا ذلك في الشكل التالي : [2]

إضافة إلى ذلك فقد اعتمد الباحثان جون ريلي و ماتيلداريلي في مناقشتهما حول مدى أهمية تأثير البيئة في عملية التواصل و خصوصا تلك الأهمية حول البيئة المركزية للمرسل أو المتلقي كالعائلات و الأسر ، وأيضا كالجماعات التي لكل منها مرجعية ضمن سياق اجتماعي عام و وضحا ذلك على النحو التالي : [3]



أما فكرة (المقام) عند بلاغي المرحلة الثانية فقد إختصرها السكاكي و حدد معنى المقام الداخلي " مقاصد المتكلم " حيث قال : " فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، و مقام التهنئة يباين مقام التعزية ، و مقام المدح يباين مقام الذم ، و مقام الترغيب يباين مقام الترهيب "[4] .

فالسياق يعين على فهم الكلمة و إبعاد اللبس عنها و كمثال عن ذلك الكلمة في الصحافة حيث تستعمل لعدة معاني مؤقتة يحددها السياق ، فمثلا يقال فنان

[1]-ينظر : محمد عبد الحميد ، نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير ، ص : 79 .
[2]-المرجع نفسه ، ص : 79 .
[3]- المرجع السابق ، ص 78 .
[4]-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 73 .

للماهر في الفنون ، أصبح على أمر ما : أي أنكره و ضع فاعله موضع الملامة ، خابره : أي فاوضه أو بادله الخبر ...الخ .[1]

و هذا الفعل يذكرنا بقول أحد المحدثين و هو " فون دايك " حين قال أن " الخاصية الأولى للسياق مما يتعين التوكيد عليها هي الصفة أو الميزة الديناميكية المحركة ، فليس السياق مجرد حالة لفظ ، و إنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ ، و فضلا عن ذلك ، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان ، و إنما تتغير ، و على ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث "[2].

و عن المقام الخارجي الذي يختص بالمتلقي و شخصيته و مدى صدقه أو كذبه قوله : " ...وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام معنى الغبي "[3].

ثم توالت الدراسات التي تهتم بالسياق و خاصة في لغة الإعلام لأنها تفيد في فحص مضمون التواصل في مقابل أهدافه ، سواء أكانت صريحة أو ضمنية ، كما تفيد في تصحيح التأكيدات الخاطئة في مضمون التواصل .[4]

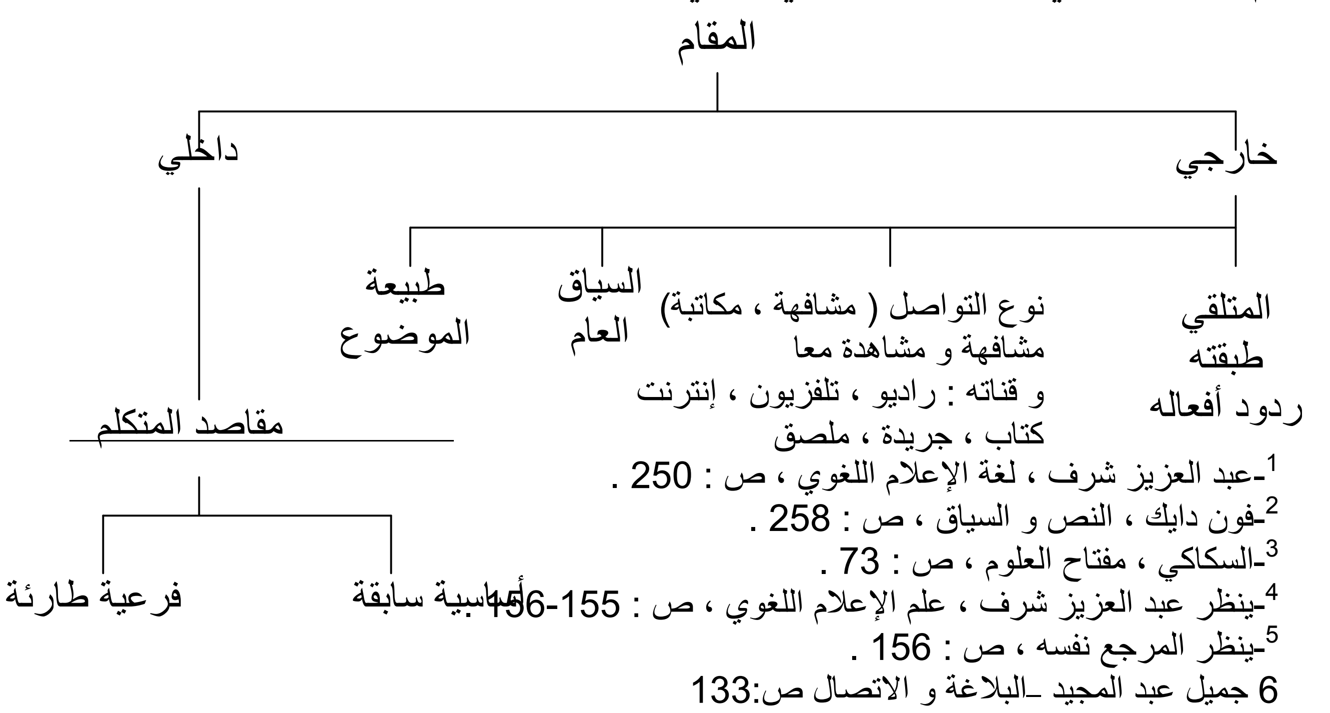
و صفوة القول أن دراسة السياق في لغة الإعلام تساعد على إنشاء معايير و تطبيقها على مستوى التواصل على ثلاثة طرق :

أولا : تقويم الأداء بناءا على معايير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن أو وجود هدف اجتماعي .

ثانيا : تقويم الأداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر .

ثالثا : تقويم الأداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجي ليس من المضمون .[5]

و انطلاقا من كل هذه المعطيات نتحصل على خارطة حديثة الأقسام المقام ثم توضيحها في الشكل التخطيطي التالي[6] :



[1]-عبد العزيز شرف ، لغة الإعلام اللغوي ، ص : 250 .
[2]-فون دايك ، النص و السياق ، ص : 258 .
[3]-السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص : 73 .
[4]-ينظر عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، ص : 155-156 .
[5]-ينظر المرجع نفسه ، ص : 156 .
6 جميل عبد المجيد -البلاغة و الاتصال ص:133

2-الأسلوب و اللغة الإعلامية :

يعتبر مصطلح " الأسلوب " أو " الأسلوبية " مقترنا بالبلاغة ، أكثر من اتصاله بباقي الفنون ، ذلك أن الأسلوب كان يعد جزءا من " تكتيك الإقناع ، و من هنا نوقش بصفة أوسع تحت موضوع " الخطابة " .[1]

و هذه العلاقة وطيدة منذ زمن بعيد ،أين تتقلص الاسلوبية أحيانا حتى لا يعدوا أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي ، بل و حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها " بلاغة مختزلة "[2] ، لأن الأسلوب الجيد موجود حيثما تستعمل قواعد البلاغة بشكل صحيح وفي مكانها المناسب [3]. ـفما الداعي لاعتبار الأسلوبية الوجه الحديث للبلاغة ؟

ذكر أن الاسلوبية هي حلية جديدة للبلاغة إذ أن هذه الأخيرة في خطوطها العريضة تكون فنا للكتابة و فنا للتأليف(فن لغوي ،و فن أدبي) وهما سمتان قائمتان في (الأسلوبية) و من هنا كانت المقولة المعروفة ، البلاغة في أسلوبية القدماء .[4]

ومما جاء حول مفاهيم الأسلوبية و اختلاف مشاريعها و وجهات النظر إليها ، و اختلاف مرجعية و طريقة التعبير عنها ، فقد تم تصنيف جهود مختلف الدارسين إلى مدرستين كبيرتين هما :

1-الأسلوبية التعبيرية : و هي أسلوبية اللغة :[5]

و هي تابعة للمدرسة الفرنسية على أنها هي دراسة هو " دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة " و هذا تعريف مبسط و مقبول في جملته ، لكنه يثير كثيرا من المشكلات ، أهمها مفهوم كل من " الفكر " ، و " اللغة " .[6]

2-الأسلوبية الفردية أو أسلوبية أدبية :

---

[1]-ينظر : رجاء عيد ، البحث الأسلوبي ، معاصرة و تراث ، ص : 07 .
[2] ينظر : هنريس بليث ـالبلاغة و الاسلوبية ـص:13
[3] ينظر: فيلي ساندريس ـنحو نظرية اسلوبية لسانية ـخالد محمود جمعة ص:99
[4] -ينظر فرحان بدري ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، دراسة في تحليل الخطاب ، المؤسسة الجامعية مجد ، ط1 ، 2003 ، لبنان ، ص 25 .
[5]-ينظر : المرجع السابق ص : 16-17 .
[6]-ينظر : صلاح فضل ، علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة ، مجلة فصول الأسلوبية ، مج:05-ع1 ، اكتوبر-نوفمبر-ديسمبر ، 1984 ، ص :49 .

و هي دراسة تكوينية تتناول الحدث اللساني (التعبير) إزاء المتكلمين و تحدد الأسباب و بذلك تنسب إلى النقد الأدبي ، و تبتعد عن المعيارية أو التقريرية .[1]

و بالتالي فإن اختلاف المفاهيم بين المدارس التي تهتم بدراسة الأسلوب أدت إلى تنوع وجهات زاوية النظر إليها ، و ضمن هذا يمكن تصنيف جهود مختلف الدراسيين إلى إتجاهين رئيسين وهذا حسب تقسيم فرحان بردي الحربي في كتابه:" الأسلوبية في النقد العربي الحديث"[2] وهما:

-مناهج تنطلق من عملية التواصل في التحليل، بهذه الصورة تندرج تحت أربع مجموعات تتعلق بعناصر التواصل هي:

أ.الأسلوب بوصفه تعبيرا عن شخصية المرسل وعقليته فقيل:

:"يمثل الأسلوب طريقة الأداء، أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه ونقله إلى سواه"[3].

فهو عبارة عن بصمات خاصة بالأديب أو بالمرسل تعبر عن شخصيته وأفكاره تختلف من شخص إلى آخر، وهذا بالفعل ما عززه بيفون (1707-1788) في قوله:" أما الأسلوب فهو الإنسان عينه لذلك تعذر انتزاعه أو تحويله أو سلخه، وهذه قد صاغها أيضا بروست و أخذها كل من موذان ودي لوفر، فالأسلوب هو إمضاء أو خاتم أو في عرف المؤسسات طابع وتوقيع"[4] .

ب.الأسلوب بوصفه أثرا في القارئ والمتلقي، ويعود أصل هذا المفهوم إلى (جارلز بالي) إذ يتمثل مفهوم الأسلوب عند في مجموعة من العناصر اللغة المؤثرة في المستمع، أو القارئ[5].

وهذا ما أشار إليه ريفاتير على أن الأسلوبية:" علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المستقبل والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المستقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك" [6].

و عليه فإن للأسلوب دور تعبيري إخباري و ف ينفس الوقت دور تأثيري ، حيث يحمل ذهن المتلقي ضرورة الإدراك تغييرا أو ترسيخا للمفاهيم .

---

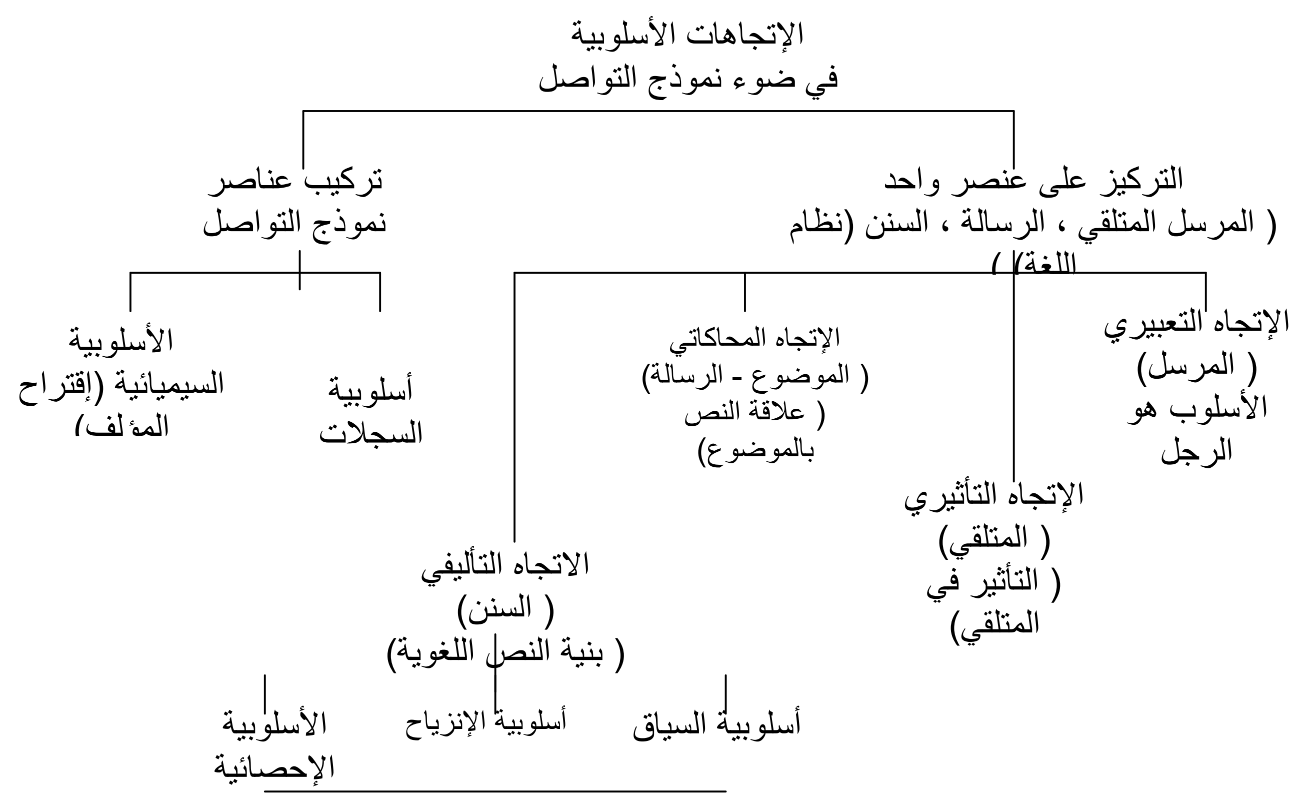
[1]-ينظر فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 17 .
[2] - ينظر المرجع نفسه، ص 17.
[3] - محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية، ص 230
[4] -ينظر عبد السلام مسدي:" الاسلوبية والأسلوب دار العربية للكتاب، ط2، 1992 ص 71.70..
[5] - ينظر فرحان بدري:" الأسلوبية في النقد العربي الحديث"، ص18.
[6] - عبد السلام مسدي:" الأسلوبية والأسلوب"، ص 49.

ج.الأسلوب بوصفه تأليفا خاصا باللغة ويمثل المفهوم التأليفي المتعلق بالنص ذاته[1]، معنى ذلك أنه عبارة عن معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة، أن يتكون في العقل قبل أن يجري على اللسان أو القلم[2].

د-الأسلوب بوصفه تقليدا لواقع ما في النص، وهو مفهوم محاكاتي وانعكاسي للأسلوب حول العلاقة بينه وبين الموضوع المتمثل به[3].

فالنظرية الأسلوبية تستمد معاييرها العلمية من عدة منابع جزائية أو عامة أو إثر علاقتها وتظافرها بمختلف العلوم .

فبرغم كثرة مفاهيم الأسلوبية و تعدد اتجاهاتها فإن " هنريس بليث " وضع لها مخططا مهما له علاقة بنظرية التواصل ، نوجزها في الخطاطة التالية :[4]



ومما سبق لاحظنا ذلك الترابط الواضح ما بين الأسلوب كمفهوم و بين المرسل، والمتلقي والرسالة كعناصر أساسية لأية عملية تبليغ.

ومن هنا ينجم ذلك التوافق بين الأسلوب واللغة الإعلامية، ويمكن إختزال هذا القول حول مدى أهمية مثل هذه النظرية الحديثة في الدراسات الإعلامية زيادة عن أهميتها في الدراسات الإبداعية المعروفة عنها.

---

[1] - ينظر فرحان بدري الحربي:" الأسلوبية في النقد العربي، ص 19.

[2] - ينظر عبد السلام مسدي:" الأسلوبية والأسلوب" ص 65.

[3] - ينظر فرحان بدري الحربي:" الأسلوبية في النقد العربي الحديث" ص 18.

[4] هنريس بليث –البلاغة و الأسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص –تر: محمد العمري – منشورات سال ص:10

وإن كان جاكبسون قد أغفل عملية التداخل بين الحدث اللغوي والإعلامي والحدث الأدبي مكتفيا بإثبات كون الأسلوبية فنا من أفنان الدراسات اللغوية تتداخل فيها البحوث الجمالية واللغوية، حتى أصبح هناك تحالفا بين علم اللغة والأدب[1].

وهذه العلاقة تساعد إلى حد ما في إبراز الوجه التواصلي والإعلامي للأسلوب، خاصة أن "ستارو يفسكي" حدد ماهيته كونه اعتدالا وتوازنا بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل[2].

ذلك أن الإعلام بمفهومه العلمي هو محاولة الجمع بين الأنا والمجتمع في إطار تفاعلي واعي يخدم الطرفين.

أما عن موضوع البحث الذي يتناول دراسة الأسلوب الإعلامي فهو يمس العبارة أو الجملة أو النص سواء أكان ملفوظا مسموعا أو مكتوبا مقروءا.

ويطرح الباحث في الأسلوب الإعلامي عدة فروض هي:

-هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها في الأسلوب الصحفي أو الإعلامي، وبين الوظائف التي تؤديها هذه الصيغ في السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.

-هل يتعين علينا أن فرق في الوظيفة اللغوية بين ما يمكن أن نسميه بـ:"الأسلوب المعرفي" أي الذي يؤدي إلى معلومات وما يمكن أن نسميه بـ:الأسلوب اللامعرفي الذي يؤدي إلى انفعالات وأوهام[3].

وبالتالي فإن مهمة الأسلوب الإعلامي حاليا، هي بلورة مجموعة من أفكار أو حتى انفعالات بين الأخبار النفعية والتعبيرية والتأثيرية الإيحائية، وليكون الهدف الرئيسي هو الفائدة الإخبارية بشتى أنواعها وغاياتها.

إضافة إلى ذلك فإن الأسلوب يعتمد كوظيفة تأثيرية في الإعلام والدعاية خاصة إما باللغة الانفعالية اللامعرفية التي تخاطب الغرائز توقظها، وإما بالغرائز البشرية الأنانية والخوف، والجنسية، وهي الأهداف التي يسعى المعلن والداعي إلى التأثير بها.

فالصورة واللغة هما أداتا الأسلوب الإعلامي الحديث ضمن ملاءمة التطور الاجتماعي مما جعلتها تحضى اليوم باحترام الكثير من اللغوين والنقاد والمبدعين والإعلاميين، اقترابا من الدراسات الإنسانية ومن روح العلم التجريبي في شكل أسلوبية حديثة.

---

[1] - ينظر المرجع السابق، ص 233

[2] - ينظر : المرجع السابق ص:233

[3] - ينظر المرجع نفسه.ص 151-152.

3-البلاغة الجديدة:

انطلقت الدراسات البلاغية القديمة ضمن مجموعة من المعايير الثابتة التي قد لا تتجاوز مقاصد الإقناع وفن الجمال والقول في حين قوبلت هذه البلاغة في شكل مختلف إثر تفاعلها ضمن مجموعة من متغيرات اللسانية الحديثة من السيميائيات، وعلم النص، التداولية، ونظرية التواصل ومختلف العلوم الفلسفية الأخرى لتنتج نسقا معرفيا حديثا مجانية مع التطور اللغوي والتفاعل الاجتماعي والتطور التكنولوجي لتصبح علما نفعيا جماليا في المجتمع حيث" ينظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها"[1].

فظهرت بحوث البلاغة الجديدة وأخذت تنمو منذ نهاية عقد الخمسينات إلى الآن، وولد مصطلح:"البلاغة الجديدة" ذاته عام 1958 في عنوان أحد الكتب الشهيرة للمفكر "بيرلمان".Perelman تحت اسم مقال في البرهان" البلاغة الجديدة"[2]

و هذه البلاغة هي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات يبدأ نشاطها من حيث ينتهي السنن المعجمي [3]، و هذا يعني منطلقا جديدا للبلاغة و مفهوما مضافا لها بوصفها نظرية للخطاب تسعى إلى الكشف عن بنية المعاني التي يتألف منها الخطاب .[4]

و باعتبار الكلام هو الإطار الشرعي لحياة الظاهرة اللسانية ـ و باعتبار التبليغ هو ذلك اللباس الشرعي للبلاغة القديمة ، فإن بيريلمان يؤكد ضرورة إبقاء هذا العنصر حتى في البلاغة الجديدة حيث يقول : " ما ينبغي أن يحتفظ به من البلاغة التقليدية إنما هو فكرة المستمعين التي تنبثق مباشرة عن فهم طبيعة الخطاب فكل قول يوجه لمستمع "[5] .

ثم وضع لها خصائص عامة و تحتويها هذه البلاغة الجديدة و هي :

1-النظر إليها على أنها منطقية و ليست تجريبية .

2-رفض الفصل بين الشكل و المضمون .

3-الدعوة إلى ترك محاولة دراسة الأبنية و الأشكال الأسلوبية بمعزل عن الهدف الأساسي التي تؤديه في عمليات البرهان .[6]

---

[1] - فرحان بدري الحربي الأسلوبية في البلاغة والنقد العربي الحديث، ص 32.
[2] - ينظر صلاح واصل بلاغة الخطاب وعلم النص ، مكتبة لبنان ناشرون ، المصرية لونجمان ، ط1 ، 1996 ، ص : 90 .
[3]-ينظر : فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 31 .
[4]-المرجع نفسه ، ص : 32 .
[5]-صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 94-95 .
[6]-فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 33 .

و قد أقام صاحب البلاغة الجديدة بير لمان ، أشكالا مختلفة لها من الناحية الوظيفية حيث قسمها إلى ثلاثة أنواع ، و هي :

أشكال الاختيار و الحضور و الاتصال .[1]

و هذا لا يعني أنه لا توجد أشكال أخرى و إنما تشير إلى أن التأثير إنما هو في إطار تقديم المعلومات التي ترتكز إما على الاختيار أو على مضاعفة الحضور ، أو على تحقيق الاتصال بالمتلقي.[2]

فماذا يقصد بهذه المفاهيم ؟ و ما هي علاقتها بالبلاغة الجديدة ؟

أولا : الاختيار :

تعتمد البلاغة على الاختيار لأنها لا تشرح الكلمات بل تبرز بعض مظاهرها دون الأخرى كالتورية مثل :

و صاحب لما أتاه الغني   تاه و نفس المرء طماحة

و قيل هل أبصرت منه يدا   تشكرها قلت و لا راحة

فالتورية في لفظة " راحة" ولها معنيان : أحدهما الكف وهذا المعنى القريب الذي يتبادل إلى الذهن أول وهلة بسب التمهيد له بكلمة "يدا" .

و المعنى الثاني ضد التعب و هو المعنى البعيد [3]

و الاستعارة مثل : قال تعالى :" و اتبعوا النور الذي أنزل معه "،ففي الآية مجاز لغوى أي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي هي " النور" و المقصود بها الهدى الذي جاء به صلى الله عليه وسلم .[4]

ثانيا : أشكال الحضور :

و هي التي تؤدي إلى أن يكون موضوع الخطاب حاضرا في الذهن و ربما كانت أولى هذه الأشكال " المحاكاة الصوتية " [5] .

و من أهم أشكال و عوامل الحضور هو " التكرار " فهو هام من الوجهة البرهانية كما أنه من الممكن أن يؤدي إلى ذلك من خلال تقييم الأحداث و الوقائع المتشابكة إلى تفصيلات صغيرة.[6]

ثالثا : الاتصال :

---

[1]-ينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 264 .

[2]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 264 .

3 -ينظر : ابن عبد الله شعيب ـالميسر في البلاغة العربية ـدار الهدى عين مليلة ـالجزائر ص:279

4 المرجع نفسه ص: 129

[5]-ينظر : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 264 .

[6]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 264 .

فهي إجراءات أدبية يعتمدها المتكلم عند استخدامها كي يعزز تواصله مع متلقيه [1]، خاصة تلك التي تعتمد في التواصل الجماهيري أين تهدف إلى تحقيق أمرين هما :

1-معرفة الهدف من التواصل .

2-كيفية استعمال اللغة في بناء الرسالة لتحقيق المشاركة و الفهم .[2]

فكان من الطبيعي أن يشتد الإحساس بالحاجة إلى بلاغة جديدة لتقوم بمختلف حاجات التواصل خاصة الجماهيري منه لتناسب التنوع و التطور في الوسائل .

4-البلاغة البرهانية الجديدة :

يتناول مصطلح البلاغة الجديدة دراسة حديثة هي البرهان أو ما يسمى في نظرية التواصل بالحجاج Argumentation يوصفها بلاغة أو تواصل يستهدف استمالة المتلقين و التأثير في سلوكياتهم و معتقداتهم .

-فما هو الحجاج أو البرهان ؟ و بداياته ؟ ثم ما مدى تأثير مثل هذا المفهوم في عملية التبليغ ؟

يشير استخدام مادة Argue في الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين و محاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب Reasons التي تكون حجة Argument مدعمة داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما . [3]

و من هنا يمكن الجزم أن الحجاج مرتبط بالمنطق و العقلانية أكثر من أي شيء آخر أثناء إثباتها أو نفيها بالنصح و التحذير مثلا ، و غيرها من المواقف التواصلية الاجتماعية المختلفة ، فهي وسيلة للتأثير أو تغير السلوكات بالاستجابة أو الاعتراف ، ارتكازا على الأدلة و المقدمات و صولا إلى نتائج لازمة الحدوث .

أما عن مفهومه الاصطلاحي ، فقد جاء في الدراسات الفلسفية الحديثة ، كالتي عرضها ريتشارد مالولم اتفاقا بينهما على كون الحجاج عملية اتصالية ، و لعلى أدل هذه المفاهيم على ذلك و أخصرها مفهومان :

الأول : " طريقة تحليل و استدلال ، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد و السلوك " .

الثاني : " عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين ".[1]

---

[1]-ينظر : المرجع نفسه ، ص : 265 .

[2]-ينظر : عبد العزيز شرف ، لغة الإعلام اللغوي ، ص : 239 .

[3]-ينظر : جميل هعبد الحميد ، البلاغة و الإتصال ، ص : 105 عن ينظر المادة Argue .عن : Long;an: Dictionary of contemporary. Eongman .1989.

إن هدف نظرية البرهان هو البحث عن سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعال في الأشخاص ، لذلك فإن هدف نظرية البرهان Argumentation لدى " بيرلمان" مثلا هي دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته .[2]

فالغرض الحقيقي الحجاج هو الاستمالة المتلقي و محاولة التركيز في استعمال جميع الأدلة و البراهين التي تستقطب هذا المتلقي في شرك التفاهم و التعاون الذي بين أطراف التبليغ ، على أن تكون هذه الطرق و الأدوات موضوعية و متولدة عن الملابسات الاجتماعية و الثقافية و غيرها من الظروف التي تحصر كل من المرسل و المتلقي و في نفس الوقت نقول أنها تبتعد عن المسلمات المنطقية لأنه لا حاجة أساسا لنقاش فيها لتوحدها لدى الطرفين .

-و عن هذه البراهين تحدث ارسطو في نص مطول له ، و قسمها بين نوعين من التصديقات (الحجج) :

1-التصديقات غير الصناعية و هي : " تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منها ، لكن بأمور متقدمة ، كمثل الشهود و العذاب و الكتب و الصكاك و ما أشبه ذلك " [3] .

2-التصديقات الصناعية ، و هي " ما أمكن إعداده و تثبيته على ما تبتغي بالحيلة و بأنفسنا"[4] .

ثم أضاف تقسيمه لهذا النوع عبر ثلاثة أقسام أخرى " فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة ، فمنها ما يكون بكيفية المتكلم و سمته ، و منها ما يكون بتهيئة للسامع و استدراجه نحو الأمر ، و منها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت "[5] .

فالنوع الأول من هذه التصديقات يخص المتكلم و سيرته الذاتية و شخصيته و أخلاقه فهو أهل لأن يصدق مثل : الصالحين و العلماء و غيرهم أما النوع الثاني فهو ما مالت له البلاغة العربية عادة خاصة في الشعر و ذلك بطعن الجروح و الآلام و شحن الانفعالات و تفريغها فهي انفعالية محصنة ، تسلب قلب المتلقي إلغاء لعقله كقولهم : " البلاغة قول مفقه في لطف ، فالمفقه : المفهم و اللطيف من الكلام ، ما تعطف به القلوب النافرة ، و يؤنس القلوب المستوحشة ، و تلين به العريكة الأبية المستصعبة و يبلغ به الحاجة و تقام به الحجة ".[6]

---

[1]-المرجع نفسه ، ص : 105-106 .
[2]-ينظر : صلاح فضل ـ بلاغة الخطاب و علم النص ـص:93.
[3]-محمد العمري ،- في بلاغة الخطاب و علم النص-ص:21
[4]-المرجع نفسه ، ص : 21 .
[5]-المرجع نفسه ص : 21 .
[6]-أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص : 157 .

أما النوع الثالث فهو نوع خاص بالجانب العقلي و الاستدلالات المنطقية ، و بهذا " جعل ارسطو الصناعة هذه خادمة للقول الواقع في مجال المعقول (La Raisonnable) الأسـ اس بعـ د أن كانـ تـ ـصـ انعة للقـ ول المقصـ ود بـ ه تحريـ ك الانفعالات (Les Passions)الأساس " [1].

أما عن أشكال و أنواع الحجاج لدى (بيرلمان) فقد قسمها إلى ما هو مرجح وممكن و محتمل ، ووصفها بأنها قد تكون مصطنعة أو شكلية أو لفظية ، ليحصرها في الأخير ضمن الثنائيات التالية : [2]

طبيعي / مصطنع ، مضمون / شكل ، واقع / لفظ

و أضاف إلى ذلك تصورا شاملا للتواصل الحجاجي في مجموعة من النقاط التي وضحها في الجدول التالي : [3]

الباعث	طبيعة الموضوع	العلاقة بين الطرفين (أثناء الحجاج)	الحجج : دورها ، طبيعتها ، شرطها	المحور	الغاية	الغاية الأسمى
الاختلاف	الاحتمال و المكان	تفاهم و تقارب و تعاون	الترجيح ، المعقولية المقامية	المتلقي	الاستمالة و التأثير العملي (الإقناع)	الحرية

---

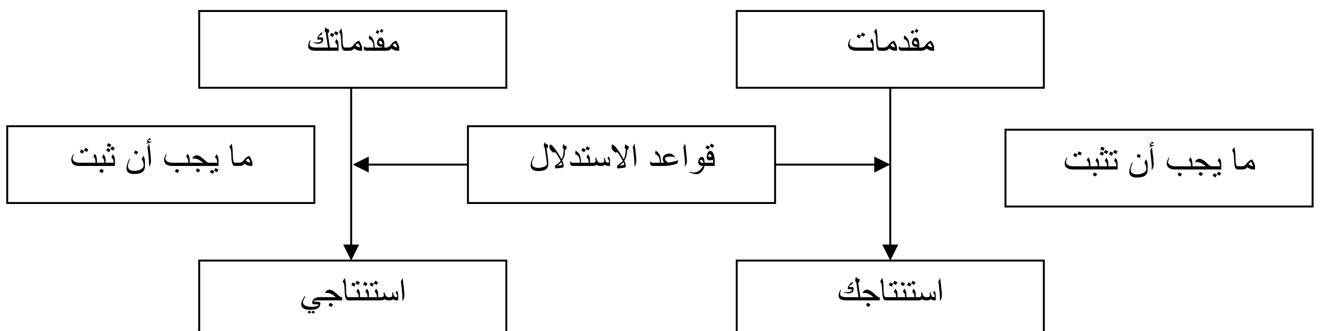
[1]-جميل عبد المجيد ، البلاغة و الإتصال ، ص :109 عن هشام الريفي الحجاج عند ارسطو ، ص : 118-119 . .

[2]-ينظر : المرجع السابق ، ص : 98 .

[3]-جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص : 111 .

و يتضح من خلال هذا الجدول هذا الجدول مركزية الاهتمام بالمتلقي على أنه " هو محور الحجاج ، لذا يعد البعض نظرية الحجج نظرية مركزية المتلقي "[1].

و من جهة أخرى فإنه قد حصر العلاقة بين طرفين – أثناء الحجاج- إما بالتفاهم أو التقارب أو التعاون متناسبا أنه قد تنحصر هذه العلاقة في الخصام و المشادة و التناقض في الآراء بين اثنين لهما مقدمات مختلفة، وهذا ما تسعى إلى زعزته أي الحجاج، للوصول إلى نتائج مشتركة أي توحيد المقدمات لتوحيد النتائج وأعتقد أن ما جاء به دوجلس يثبت هذا، حيث أن عملية التواصل الحجابي بين اثنين هو محاولة كل من طرفيها أن يثبت رأيه اعتمادا على قواعد الاستدلال inference من مسلمات المشارك الآخر[2] .



وجملة القول أن هذا التواصل الحجابي هو نمط خاص من أنماط التواصل يأخذ أشكالا مختلفة، وهذا حسب ما تقتضيه حاجة المرسل وغرضه الحقيقي من التبليغ ابتداء من مقدمات معينة وصولا إلى استنتاجات وافتراضات معينة، وهذا ما قد أقاض فيه دوجلس وقسم الجوار الحجاجي إلى أنواع، نذكرها بإيجاز :

1-المشاجرة الشخصية:

يتسم الوضع بالهياج الانفعالي، وتعتمد على توجيه اتهامات موجعة بهدف التعدي على الآخر، وهي من أحط المستويات الحجاج إذ لا صلة لها بالمنطق[3].

2-المناظرة:

هي عبارة عن مباراة كلامية بين طرفين عن موضوع جدلي لكل منهما فيها وجهة نظر تختلف عن الآخر، أمام جمهور[4] وفي بعض الأحيان يكون الحكم للقضاة أو حكام يحددون أيهما أقوى حجة، وتتميز هذه المناظرة على قدرة إحدى الطرفين في تقديم الحجج والمناورة إن كانت الأدلة زائفة[5].

1-المرجع نفسه ص : 110 .
2- ينظر :المرجع السابق ص 112.
3- ينظر :جميل عبد الحميد:"البلاغة والاتصال"، ص 113.
4- محمد محمود مهدلي:" مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ص 178.
5- ينظر' :جميل عبد المجيد –البلاغة و الاتصال ص:113'

3.التحقيق:

يتسم الوضع فيه بافتقاد دليل يثبت صحة واقعة ما، بل هي عملية جمع مسبق تبنى عليه حجاجا متصاعدا للوصول إلى الأدلة القاطعة[1].

4-المفاوضة:

يتسم الوضع فيها باختلاف المصالح بين طرفين، حيث يهدف كل واحد منهما إلى تحقيق مصلحته الشخصية عن طريق المساومة أو المقايضة[2].

ومن بين أشكال المفاوضة تلك المناقشات على أنها نشاط جماعي يأخذ طابع الحوار الكلامي الذي يدور حول مشكلة أو موضوع تشعر الجماعة بحماس لمحاولة الخروج منها، ولتتبادل أكبر قدر ممكن من الحقائق والمعلومات لاكتساب أفكار جديدة والاستفادة[3].

فالنقاش والحوار ، التوافق والاختلاف التي يعتمدها المخاطب تلزم عليه في كثير من الأحيان الاعتماد على البراهين القوية والحجة المتبعة المؤثرة، فهما لميكانزيم التواصل الحجاجي والبلاغة البرهانية.

وما دام الدرس البلاغي قد اتخذ الاستمالة والإقناع هدفا لفن البلاغة فهو يشترك مع كل من الخطابة القديمة عند أرسطو، والبلاغة الجديدة، عند بيريلمان في غاية موحدة وإن اختلفت أوجه ذلك الحجاج.

[1]- ينظر – المرجع السابق ص:‘113

[2]-ينظر المرجع نفسه ص:114

[3]- ينظر ‘: محمد محمود مهدلي – مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ص:‘116

نموذج تطبيقي "خطبة الوداع "[1]:

-إن تراثنا اللغوي يكاد يفيض بالخطب والرسائل والأشعار باعتبارها نماذج خاصة ومعبرة يحتذ بها ، مفعمة بآليات التبليغ والقدرة على التأثير والتعبير معا إضافة إلى قدرتها الفائقة المساعدة على تخيل محتوى موضوعها ، كصورة حقيقية في أذهان المتلقي، وإن عملية الاختيار نموذج حيوي من دفاتر التراث العربي لشيء صعب ، فحاولنا اختيار نموذج معروف جاء على لسان أفضل الخلق والذي لا ينطق عن الهوى "محمد صلى الله عليه وسلم " ،خاصة أنه حامل رسالة الدعوة وكان رمزا للإقتداء قال عنه الله تعالى : "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَاليَوْمَ الآخر وَذَكَرَ الله كَثِيًرا" ، ألا وهي خطبة الوداع كوجه من أوجه الإعلام الإسلامي وذلك لارتباطه بمفهوم الدعوة إلى الإسلام ، والتي تعني أن كلمة الدعوة هنا تفيد معنى للإعلام والتبليغ [2].

في قوله :"أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنْ "[3].

فالدعوة والمجادلة وجهان من أوجه التواصل الحجاجي لذلك نقترح دراسة خطبة الوداع لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) تتمة لما تطرقنا إليه في هذا الفصل فإن وجه الدراسة يتركز حول نكرة الإقناع والتأثير.

دراسة المرسل :

المرسل هو محمد "صلى الله عليه وسلم" فلماذا تم إختيارنا له ؟

-إن محمدا "ص" من أفضل خلق الله وأحسنهم أخلاقا وطباعا وسيرة ، وقد لا ننجرف في دراسته كإنسان أو حتى كرسول بقدر ما فهمتم بلغته وصحتها وسلامتها ودقة ألفاظها بل وحتى في دقة إختياره لحروف الكلام وإنتظامها تحت إيقاع الغرض المقصود من القول ، واصفا إياه الجاحظ في قوله :

"هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عف الصنعة ونزه عن التكلف "[4]،أضف إلى ذلك أن رسولنا الكريم (ص) هو الإعلامي الأمثل الذي إصطفاه الله تعالى ليكون شاهدا ومسييرا وداعيا إلى الله .

كما تميزت أيضا الخطابة النبوية الشريفة بعدة خصائص منها قوة التأثير ، مع رقة الألفاظ وسمو المعاني والموضوعات ، واختيار الخطب المناسبة للأوقات ، مع الإيجاز [5] ،ومن جملة ما خطب وأشهرها خطبة الوداع.

المضمون الإعلامي للخطبة :

---

[1] -نص الخطبة في الملحق.

[2] ينظر : محمد عبد المنعم خفاجى عبد العزيز شرف . التفسير الإعلامي للسيرة النبوية ـص35-.

[3] سورة النحل الآية : 125.

[4] الجاحظ ـ البيان والتبيين ـج1- ص 225.

[5] ينظر : محمد عبد المنعم خفاجى ـعبد العزيزشرف- التفسير الإعلامي للسيرة النبوية ـص : 26.

دراسة المقدمة :

-بدأت الخطبة بمقدمة قال فيها :"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ......واستفتح بالذي هو خير".

إن هذه الكلمات هي مقدمة استفتاحية لما سيأتي بعدها فجاءت لتهدئة النفوس وإيقاض الآذان وتشويق بما قد يأتي بعدها ، كما أنها سنة حميدة متعارف عليها في أغلب الخطب في الهد الإسلامي ، ذلك أنها تصدرت بالتحميد والاستغفار والاستعاذة والدعوة إلى تقوى الله والحث على طاعته لسببين مهمين لهما تأثير مباشر في عملية التبليغ وهما :

-عدم الخروج عن المألوف وذلك حتى لا تستطيع النفوس وتلقى إقبالا لها ضمن ما تعود عليه المتلقي وبالتالي لا يستنكره .

الاهتمام بالعامل النفسي للمتلقين وهذا باستفزاز الجانب العاطفي والعقادي كمدخل من مداخل القبول لديهم.

ب-فحوى الخطبة :

سوف تتم دراسة محتوى الخطبة من زاوية تواصلية للوصول إلى مضمونها الإعلامي دون تهميش لمحتواها الديني ، حيث يمكن استخلاصها في شكل النقاط التالية وهي :

1. في بداية حديثه استعمل عبارة تحسيسية حينما قال: "...لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا" ،فهذا المدخل هو من أهم المداخل التي تطرق إليها رسول الله (ص) حيث التمس الجانب العاطفي لدى متلقيه،فحرك في داخلهم حبهم له،بل وزاد فيهم لوعة الشوق للسماع له،وشد بذلك انتباه السامعين،ذلك أن الاستفزاز العاطفي من أهم مقومات النجاح في عملية التبليغ الاقناعي والتأثيري .
2. من بين العبارات المهمة في هذه الخطبة هو استعماله الأمثلة الواقعية لبعض المحرمات كالربا الجاهلية وأولهم ربا العباس بن عبد المطلب،وأيضا دماء الجاهلية وأولهم دم العامر بن ربيعة بن الحارث، بل وأضاف في حديثه دليلا قرآنيا ليدعم به أقواله،باعتبارها حجة مقنعة لا نقاش فيها.

   فهذه الأمثلة والدليل القرآني إنما هي زيادة في الفهم وتوسيع في خيال السامعين ،كما أنها فصلة حميدة في عملية إقناع الآخرين باستعمال الدليل والحجة والأمثلة الواقعية،وتسمى البراهين الخطابية الجاهزة- التي تطرقنا إليها سابقا-.
3. بدأها صلى الله عليه وسلم بأسلوب الاستفهام في قوله :"أيها الناس،هل تدرون في أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم؟" ،وذلك حتى ينبه الأذهان الغافلة

عبء الاجابة ،لأنه في حركة ذهنية حتى يصل إلى المطلوب فيستقر في نفسه [1].

ثم هذا السؤال في حد ذاته هو مجابهة بين ما حرم من يوم وشهر وبلد وبين ما حرم الله تعالى من أموال وأعراض ودماء المسلمين [2].

4. توجه صلى الله عليه وسلم خطبته لفئة معينة هم المسلمون في أيام الحجيج ، فقد اختار (ص) المكان والشهر واليوم اختيارا صائبا ليضمن تنوع نسب الملتقين واختلاف منبتهم وبالتالي يضمن انتشارا أوسع لخطبته مع مراعاته نقطة هامة هي نوع الموضوع وهي نقطة نقاط كل المسلمين ذلك لأن المرجعية واحدة وهي المرجعية الدينية والفكرية .
5. رسول الله (ص) في خطبته وضع مخاطبه فيما يبدو موضع التردد والشك ، إن لم يمكن الجحود ،وذلك لما توقعه من اضطراب أحوالهم بعده ، "فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[3].
6. يختم صلى الله عليه وسلم كل فقرة من فقراته قوله "ألا هل بلغت اللهم اشهد " فهي فاصل بين المعاني وكثرة تكرارها لا يعيب المعنى بل يزيد لأنها تحمل وضيفة ندائية انتباهية تلفت انتباه السامع لإيقاض الاستعاب والفهم وإبعاد الملل عنه .

كما أضاف في خاتمة الخطبة قوله " فليبلغ الشاهد الغائب " وهذه العبارة مهمة جدا ، وإن كنا قد تطرقنا إليها فيما مضى حول أنواع التواصل ، حيث يمكن تقسيم التواصل الجماهيري إلى المباشر وغير المباشر ودليل ذلك إن هذه الخطبة مازالت صالحة لكل الأجيال عبر كل الأزمان.

7. قوة المعاني خاصة في كيفية تنسيقها و ترتيبها الذي يضفي على الخطبة نوع من الخطاب الجاد الذي يلزم متلقيه الإصغاء العقلاني لفائدة محددة و هي الابتعاد عن المحرمات و سنن الجاهلية و التمسك بدين الله .

الأسلوب الإعلامي للخطبة :

يضيف هذا النص ضمن فن الخطابة العربية لأن الغاية منه إقناع السامعين و التأثير في سلوكهم و عقولهم و عواطفهم .

و قد وظف صلى الله عليه و سلم هذا الإقناع و التأثير في المحتوى الخطبة في حد ذاته و استعمل طرق التأثير النفسي و العاطفي و العقلي بالعرض الوافي المؤيد بالحجة و الدليل المقنع و الترتيب المنطقي في التفكير ، و هذا النوع من

[1] -ينظر : عبد المنعم خفاجى،عبد العزيز شرف ،التفسير الاعلامي للسيرة النبوية،ص 309.
[2] -ينظر المرجع نفسه ص :309.
[3] -ينظر محمد العمري،في بلاغة الخطاب الاقناعي ،ص 97.

الخطبة سمي الخطبة الوعظية ذلك أن ما جاء به ليس للتعليم بقدر التأكيد و الحث على العمل .
أما أسلوبه سلس سهل سائغ ممتع ،حفيل بالمعاني و غزير بالحكم مع حفله بالمعاني و خلوه من الغريب النافر و المستكره الحوشي و التعقيد اللفظي و المعنوي [1].
كما أن الخطيب كان موفقا في اختيار الألفاظ و التراكيب التي تحقق الغرض الذي يرمي إليه إذ بدأ موضوع خطبته بنداء الناس (الحجيج) للتنبيه و لفت النظر ، بل و أضاف قوله "اسمعوا ....مني ..."ليؤكد عليهم حرصه في أن يلقي خطابه القبول ، كما أتى بالفعل المضارع مثل "أوصيكم ـتلقوا نبدأ..يعيد..." في أغلب النص لأنه يفيد التجديد و الاستمرار و صلاحيته عبر الأجيال.
و قد جاءت أغلب أساليب الخطبة خيرية غرضها يتراوح بين النصح و التوجيه و التذكير و الوعظ.
و من الأساليب الإنشائية القليلة الواردة في النص النداء و التوكيد في "أيها الناس أن..." و هي للفت انتباه السامعين و ارتباطها مع لازمة التي جاءت في صورة الاستفهام "ألا هل بلغت؟" و تفيد لتجديد حسن التواصل و ربط زمامه مع المتلقين .
و الأمر الذي جاء بصيغة النهي في قوله :"فلا ترجعين بعدي كفارا"، و ليس في الخطبة ألوانا بيانية كثيرة ، لأن المقام لا يدعو لذلك إلا ما ورد من استعارات و كنايات قوية ، كقوله صلى الله عليه و سلم :"لا يوطئن فرشكم غيركم"."تحت قدمي هذه" و تشبيهات أصابت غرة الهدف مثل :"...أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم"،"إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله و السموات و الأرض" ،و لا يخفي أثر هذه الكنايات والتشبيهات في تشخيص المعنى و تصويره في أذهان المتلقين ، و توسيع خيالهم لتكتمل بذلك كل ملامح التخيل و الإدراك .و هذا ما تقوم به حاليا وسائل الإعلام الحديثة و المتطورة .

[1] -ينظر :محمد عبد المنعم خفاجي ـعبد العزيز شرف ـالتفسير الإعلامي للسيرة النبوية ـص ـ310.

بعد هذا الاستعراض المتواضع لمظاهر التبليغ في البلاغة العربية في ظل نظرية التواصل توصلنا إلي مجموعة من النتائج التي قد تكون هي الأخرى بذرة لدراسات و بحوث ذات قيمة علمية، وعن أهم النتائج نذكر:

1-إمكانية رؤية الدرس البلاغي القديم " البلاغة العربية" بمنظور حديث معاصر و هو " نظرية التواصل".

2-توفر البلاغة العربية علي أهم مقومات التبليغ من مفاهيم و دعائم و أنواع و وظائف و إن كانت مشتتة بين النصوص و الكتب إلا أنها ومضات تواصلية لها قيمة علمية معترف بها.

3-اهتمام القدامى بأشكال الرسالة التبليغية خاصة " الخطابة العربية " التي استعملت فن الإقناع و التأثير في المتلقين، و هذا بالضبط ما نلحظه ضمن الدعايات الانتخابية و الإعلانات و مختلف أنماط التواصل المتعارف عليها حديثا، و إن اختلفت مناهج تناول الموضوع.

4-أثناء البحث تم التطرق إلي العديد من الآيات و الأمثلة القرآنية التي تضمنت معاني التبليغ و التواصل، بل و أعطت الكثير من النصائح و العبر التي يمكن أن يمتاز بها المرسل، و أدل مثال " "الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ".

5-مدى فاعلية منهج حديث هو المنهج التداولي في البلاغة العربية الذي يعد ذا أبعاد تواصلية باعتباره منهجا تناول الحدث و منتج النص و متلقيه و الوظيفة الإنجازية و موقف السياق.

6-للبلاغة القديمة علاقة وطيدة مع عدة علوم لسانية حديثة أخرى كالأسلوبية بمختلف اتجاهاتها و علم النص و غيرها من العلوم ، و بالتالي لبست حلة جديدة سميت لدى بعض المحدثين – تطرقنا إليهم – " بالبلاغة الحديثة " أو " البلاغة الحجاجية " .

7-بروز هذا المفهوم أي " البلاغة البرهانية " في كثير من كتب البلاغة القديمة من رسائل و أشعار و خطب و أحاديث للنبي " محمد صلى الله عليه وسلم " كقوالب جاهزة قابلة للتحليل و التفكيك الإعلامي بشتى أنماطه.

نـص الخطبـة :

"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله، فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بالتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ،أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهرهم هذا، في بلدكم هذا،ألا هل بلغت اللهم أشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية، موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ما تحقرون من أعمالكم أيها الناس :"إِنَّمَا النَسِئُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الذِينَ كَفَرُوا يُحِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِمُونَهُ عَامًا لِيَوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ" وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشرا شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ، أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق: لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد، أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد. فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده كتاب الله، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد.

أيها الناس ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد، قالوا : نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب، أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا يجوز وصية ولا يجوز وصية

في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من أدعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله ".

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم
2- ابن الأثير،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،أحمد الحوفي ،بدوي بطانة،مطبعة النهضة ، الفحالة ،ج1،ط1 ،1380هـ،1960م.
3- ابن حني ،الخصائص،ت:محمد علي النجار،دار الهدى لبنان،ط2،ج1.
4- ابن خلدون ،المقدمة ،دار الكتب العلمية ،ط1413،1، .1993
5- ابن رشيق القيرواني،العمدة،ت:محي الدين عبد الحميد،بيروت،ج.1
6- ابن عبد الله شعيب،الميسر في البلاغة العربية،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر.
7- أبو هلال العسكري،كتب الصناعتين،الكتابة والشعر،تر:علي محمد البجاوي،محمد أبو الفصل ابراهيم،عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.
8- أحمد سليمان ياقوت،أبحاث في اللغة،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،.1994
9- أحمد عبد الغفار،التصور اللغوي عند الأصوليين،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية ،.1992
10- أحمد مختار عمر،دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب،القاهرة،ط1، 1405هـ،1991م.
11- أحمد مومن،اللسانيات،النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،2002.
12- ادريس حمادي،المنهج الأصولي في فقه الخطاب،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء.
13- الجاحظ،البيان والتبيين،ت:درويش جويدي،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1423، .2003
14- الجاحظ،الحيوان،تر:عبد السلام محمد هارون،دار الكتاب العربي،بيروت،ط3،1388، .1969
15- الجاحظ،رسائل الجاحظ،ت:عبد السلام هارون،الخانجي،1964.
16- الخطيب القزويني ،الايضاح في علوم البلاغة،المعاني والبيان والبديع (مختصر تلخيص المفتاح)،ت:الشيخ بهيج عزاوي،دار إحياء العلوم،بيروت.
17- الزمخشري،أساس البلاغة،عبد الرحمن محمود،دار المعرفة ،بيروت،1999،1997.
18- الزمخشري،الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،انتشارات آفتاب،تهران،ج.1
19- السكاكي،مفتاح العلوم،ت:عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب.
20- السيوطي ،الاتقان في علوم القرآن،ت:محمد أبو الفضل ابراهيم،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،ج3، 1408هـ،1988م.

21- السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها،صيدا،بيروت،ج1،1986.
22- الطيب دبة،مبادئ في اللسانيات البنيوية،دراسة تحليلية ابستمولوجية،دار القصبة،الجزائر،2001.
23- العربية،لبنان،2000.
24- العلوي،الطراز،مكتبة المعارف،الرياض،ج1.
25- القزويني ،الايضاح في علوم البلاغة،محمد عبد المنعم خفاجي،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ج1،ط6،1405هـ،1985.
26- المبرد،الكامل،محمد أبو الفضل ابراهيم،دار الفكر العربي،القاهرة،ج1.
27- أمين الخولي،فن القول،صلاح فضل،دار الكتب المصرية،القاهرة،1996.
28- أنطوان القوال ،فن الخطابة،كتاب القارئ،ط1،1996.
29- برنت روبن،الاتصال والسلوك الانساني،نخبة من أعضاء قسم وسائل تكنولوجيا التعليم بكلية التربية،جامعة الملك سعود،معهد الادارة العامة،1412هـ،1991م.
30- بين ضيف الله الطاحي،دلالة السياق،معهد البحوث العلمية،السعودية ،ط3.
31- تمام حسان،الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب،عالم الكتب،القاهرة،1360، 2000.
32- تمام حسان،اللغة العربية،معناها ومبناها،عالم الكتب،ط3،1998 .
33- جان جبران كرم،مدخل إلى لغة الاعلام،دار الجيل ،ط1،1986.
34- جعفر قدامة ،نقد النثر،دار الكتب العلمية،بيروت،1402هـ،1982م.
35- جون لاينز،اللغة والسياق،تر:عباس صادق الوهاب،مؤسسة الشؤون الثقافية العامة،آفاق عربية،ط1،1987.
36- جيلالي دلاش،مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر:محمد يحايتن،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.
37- جيهان أحمد رشتى،الأسس العلمية لنظريات الاعلام،دار الفكر الغربي،1975.
38- حازم القرطاجني،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،محمد الحبيب ابن الخواجة،دار العرب الاسلامي،بيروت،ط1،1986.
39- حسن طبل،المعنى في البلاغة العربية،دار الفكر العربي.
40- حلمي خليل،الكلمة ،دراسة لغوية معجمية،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1995.
41- حمادي صمود،التفكير البلاغي عند العرب،أسسه وتطوره إلى القرن السادس،منشورات كلية الآداب،منوبة.
42- حميد الحمداني،القراءة وتوليد الدلالة،تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي،المركز الثقافي العربي،دار البيضاء،المغرب،ط1،2003.

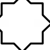
43- حنف ي ب ن عيسى،محاضر رات ف ي عل م ال نفس اللغوي،دي وان المطبوع ات الجامعية،ط2.
44- دراق ي زبير،محاضرات ف ي اللس انيات التاريخي ة والعام ة،ديوان المطبوع ات الجامعية،الجزائر،1990.
45- ربيعي محمد علي عبد الخالق،البلاغة العربية ووسائلها وغايتها في التصوير البياني،دار المعرفة،الاسكندرية،1989.
46- رجاء عيد،البحث الأسلوبي معاصرة وتراث،المعارف،الاسكندرية،1993.
47- رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء،دار بيروت،مج3 ،1403 هـ،1983م.
48- روم ان جاكسون،قض ايا الش عرية،تر:محم د ال والي ومب ارك حن ون،دار توبقال،المغرب،1988.
49- سعيد حسن البحيري،علم لغة النص،المفاهيم والاتجاهات.
50- س مير أب و حمدان،الابلاغي ة ف ي البلاغ ة العربية،منش ورات عوي دات الدولية،بيروت،باريس،ط1، 1991.
51- شهاب الدين القرافي،أنوار البروق في أنواء الفروق،ت:خليل منصور،الدار العلمية،بيروت.
52- صالح خليل أبو أصبع،نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال،دار آرام،عمان.
53- ص لاح فض ل،بلاغة الخط اب وعل م النص،مكتب ة لبن ان ناشرون،المص رية لونجمان،ط1، 1996.
54- طه عبد الرحمن،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي،دار البيضاء ،ط1، 1998.
55- عب د الجلي ل مرتاض،اللغ ة والتواص ل،اقترابات لس انية للتواصل لبين الش فهي والكتابي،دار هومة،الجزائر.
56- عب د الح افظ محم د سلامة،وس ائل الاتص ال والتكنولوجي ا ف ي التعل يم ،دار النشر،عمان،ط1، 1417 هـ،1996م.
57- عبد السلام مسدي،الأسلوبية والأسلوب،دار العربية،ط2، 1982.
58- عبد السلام مسدي،عبد القاهر الهيري،حمادي صمود،النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال المنصوص،الدار التونسية للنشر،1988.
59- عبد العزيز شرف،المدخل إلى وسائل الاعلام،دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني،القاهرة،بيروت،ط2، 1989.
60- عبد العزيز شرف،علم الاعلام اللغوي،مكتبة ناشرون،لبنان،الشركة المصرية العالمية للنشر ،لونجمان،2000.
61- عبد العزيز عتيق،في تاريخ البلاغة العربية،دار النهضة العربية،بيروت.

62- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،ت:محمد الاسكنراني،د.م.مسعود،دار الكتب العربي،بيروت،1318هـ،1998م.
63- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز في علم المعاني،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1422، .2002
64- عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف،التفسير الاعلامي للأدب العربي،دار الجيل،بيروت،ط1، .1991
65- عبده الراجحي،فقه اللغة في الكتب العربية،دار المعرفة الجامعية،.1992
66- فاروق سعد،فن الإلقاء العربي،الخطابي والتمثيلي،العالمية للكتاب،لبنان.
67- فاطمة الطبال بركة،النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون.
68- فاطمة عبد الله الوهيبي،نظرية المعنى عند حازم القرطاجني،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1، .2002
69- فان دايك،النص والسياق ،استسقاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،تر:عبد القادر قنيتي،إفريقيا الشرق،.2000
70- فخر الدين الرازي،التفسير الكبير،مفاتيح الغيب،مطبعة البهية المصرية،ج1،.1998
71- فرحان بدري،الأسلوبية في النقد العربي الحديث،دراسة في تحليل الخطاب،مجد لبنان،ط1 ،.2003
72- فردينارد دوسوسير،محاضرات في الألسنية العامة،تر:يوسف غازي،مجيد نصر،منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986.
73- فرونسوار أرمينكو،المقاربة التداولية،تر:سعيد علوش،مركز الإبهام القومي.
74- فندريس،اللغة،تر:عبد الرحمان الدواخلي،محمد القصاص،مكتبة الأنجلو،المصرية.
75- فيلي ساندريس،نحو نظرية أسلوبية لسانية،تر:خالد محمود جمعة،دار الفكر ،ط1، .2003
76- محمد الصغير بناني،النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،.1983
77- محمد العمري في بلاغة الخطاب الاقناعي،دار الثقافة،ط1، 1986.
78- محمد زكي العشماوي،قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث،دار المعرفة الجامعية،
79- محمد سلامة،محمد غباري،السيد عبد الحميد عطية،الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق ،المكتب الجامعي،اسكندرية،.1991
80- محمد عبد الحميد،نظريات الاعلام واتجاهات التأثير،عالم الكتب،القاهرة،ط2، .2000

81- محمد عبد الرحيم عدس،فن الإلقاء،دار الفكر،ط1، 1995.
82- محمد عبد المطلب،البلاغة والأسلوبية،مكتبة لبنان،ناشرون ،ط1،.1994
83- محمد عبد المنعم خفاجى،عبد العزيز شرف،التفسير الاعلامي للسيرة النبوية دار الجيل،بيروت،.1991
84- محم د عب د الم نعم خفاجي،عب د العزي ز ش رف،البلاغة العربي ة،بين التقلي د والتجديد،دار الجيل،بيروت، 1312، .1992
85- محم د عب د الم نعم خف اجى وآخرون،الأس لوبية والبي ان العربي،ال دار المص رية اللبنانية،ط1، .1992
86- محم د فري د محم ود عزت،دراس ات ف ي ف ن التحري ر الص حفي،في ض وء مع الم قرآنية ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.
87- محمد كشاش ،اللغة والحواس.
88- محم د محم ود مهدلي،م دخل:ف ي تكنولوجي ا الاتص ال ووس ائله ب ين النظري ة والتطبيق،المكتب الجامعي الحديث،اسكندرية، .1991
89- محم د مفتاح،تحلي ل الخط اب الش عري (اس تراتيجية التن اص)،المرك ز الثق افي العربي،دار البيضاء،المغرب،ط2،.1986
90- محم د مني ر حجاب،مه ارات الاتص ال للاعلامي ين والترب ويين وال دعاة،دار الفجر،.1999
91- محمد يسري دعبس،الاتصال والسلوك الانساني رؤية في اتبرولوجيا الاتصال، البيطاش، سنتر اسكندرية.
92- مصطفى ناصف،اللغة والتفسير والتواصل،عالم المعرفة،الكويت،.1995
93- ميشال زكريا،الألسنية (علم لغة الحديث)،المبادئ و الإعلام،المؤسسة الجامعية.
94- نبي ل ع ارف الجردي،مقدم ة ف ي عل م الاتص ال ،مكتب ة الإم ارات،العين،ط3، 1985.
95- نور الدين نيفر،فلسفة اللغة واللسانيات،أبو وجدان ،ط1،1993.
96- هن ريس بليث،البلاغ ة والأس لوبية نح و نم وذج س يميائي لتحلي ل النص،محم د العمري،منشورات ،دراسات سال.
المراجع الأجنبية:

- Benveniste, problème de linguistique général.t2 guallnand ,paris.
- B,galisson d.coste,dictionnaire de didactique,des longues hachette,paris.

- Jean dubois et autres, dictionnaire de linguistique libairie horoussé,paris.
- Jean louis que sais je la phonologie dar el fikr 4éme edition.
- judith lazar,la science de la communication que sais je edition dahlab.



المجلات

- بشير إبرير،التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم،مجلة اللغة،الجزائر،ع4، 2001.
- شعيب مقنونيف،فن القول وعلاقته بفنون الايصال في النقد والبلاغة العربيين قديما،مجلة كلية الآداب،ج2،نوفمبر 2000.
- صالح بن بوزة،مسار البرهنة في النص الصحفي ،المجلة الجزائرية.
- صلاح فضل،علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة،مجلة فصول الأسلوبية مج5،ع1،أكتوبر،نوفمبر،ديسمبر،1984.
- عبد الرحمن الحاج صالح،مقال "الجملة في كتاب سبويه"،مجلة المبرز،الجزائر،ع2،جويلية،1993.
- عبد المالك مرتاض،نظرية بين الحداثة الغربية والتراث العربي،تجليات الحداثة،وهران ،ع1.
- عبد القادر بوزيد،مساهما لوضع وسيولوجية "التأثير"،في الأدب المقارن "بول كورنيا"،مجلة بحوث جامعة الجزائر،ع6، 2000.
- عمر بلخير،مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية(الخطاب المسرحي).
- محمد خرماش ،النص الأدبي بين الوظيفة الشعرية والوظيفة المرجعية،مجلة الدراسات المغربية ،الشبكة المغاربية لدمج العلوم والتكنولوجية في التنمية.
- مختار محمد فؤاد أبو الخير،التواصل والاتصال،دراسة مقارنة للتعرف على الأمصار الشعبية،المجلة الجزائرية للاتصال،الجزائر،ع4، 1992.
- مسعود صحراوي،نظرية أفعال الكلام،المجلة الجامعية،الأغواط،مج1،ع2.
- نموذجا ،مجلة إنسانسات،ع 14، ماي ،ديسمبر 2001.
- للاتصال، ع2 ،1992.

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-ج

المدخل : مدخل في التواصل

اللغة والتواصل.. 1

1-مفهوم التواصل.. 3

2-عناصر التواصل ووظائفه.. 8

2-1-عناصر التواصل لدى دوسوسير وجاكبسون................................ 8

2-2-عناصر التواصل لدى المختصين.. 10

2-3-وظائف التواصل.. 16

3-أنواع التواصل.. 20

3-1-التواصل من حيث اللغة المستخدمة.................................... 20

3-2-التواصل من حيث المستخدمين.. 25

الفصل الأول :التبليغ في ضوء البلاغة العربية

- تمهيد.. 30

1-التبليغ بين البلاغة والبيان.. 33

2-مفاهيم التبليغ في البلاغة العربية.................................... 38

3-عناصر التبليغ في البلاغة العربية..................................... 44

4-وظائف التبليغ في البلاغة العربية..................................... 69

5-أنواع التواصل في البلاغة العربية 73

الفصل الثاني : الرسالة الاعلامية والخطابة الاقناعية

1-بناء الرسالة الاعلامية.. 86
1-1-الاختيار والتأليف.. 87
1-2-اللفظ والمعنى.. 94
1-3-الايجاز والاطناب.. 98
3-4-الحقيقة والمجاز... 105
2-الخطابة العربية.. 113
2-1-تعريف الخطابة... 113
2-2-عناصر الخطابة.. 118
-الخطيب.. 119
-المخاطب... 121
-الإلقاء الخطابي.. 125
-الصوت.. 126
-الظواهر الفنولوجية على مستوى مبدأ النغمة................................ 127
-الرسالة الخطابية... 130

الفصل الثالث: البلاغة الاقناعية وعملية التواصل

1-السياق ومقتضى الحال.. 137

1-1-مفهوم التداولية 137

1-2-السياق عند علماء الأصول في ظل التداولية................................ 141

1-3-السياق عند بعض البلاغيين في ظل التداولية................................ 147

1-4-السياق واللغة الاعلامية... 152

2-الأسلوب واللغة الاعلامية.. 156

3-البلاغة الجديدة... 161

4-البلاغة البرهانية الجديدة... 163

5-نموذج تطبيقي "خطبة الوداع".. 169

-دراسة المرسل.. 169

-المضمون الاعلامي للخطبة... 170

-الأسلوب الاعلامي للخطبة.. 172

-الخاتمة.. 174

-ملحق.. 176

-كتب البحث.. 178

-فهرس الموضوعات.. 185